الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــــامعة غـــــرداية

كليّة الآداب واللـغات

قسم اللغة والأدب العربي

آيات الأحكام دراسة في ضوء المنهج التداولي

(البقرة-التوبة) نموذجا

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصّص: لسانيات عربية

إعدادالطالبة:

نسرين رسيوي

إشراف الأستاذ:

د. عبد الله وايني

الموسم الجامعي: 1440-1441هـ/2019-2020م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــــامعة غـــــرداية

كليّة الآداب واللـغات

قسم اللغة والأدب العربي

آيات الأحكام دراسة في ضوء المنهج التداولي (البقرة-التوبة) نموذجا

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصّص: لسانيات عربية

الاسم واللقب	د.طاهر ابراهيمي	رئيسا
الاسم واللقب	د.عبد الله وايني	مشرفا ومقررا
الاسم و اللقب	د.عائشة برارات	مناقشا

إعدادالطالبة:

نسرين رسيوي

إشراف الأستاذ:

د. عبد الله وايني

الموسم الجامعي: 1440-1441هـ/2019-2020م

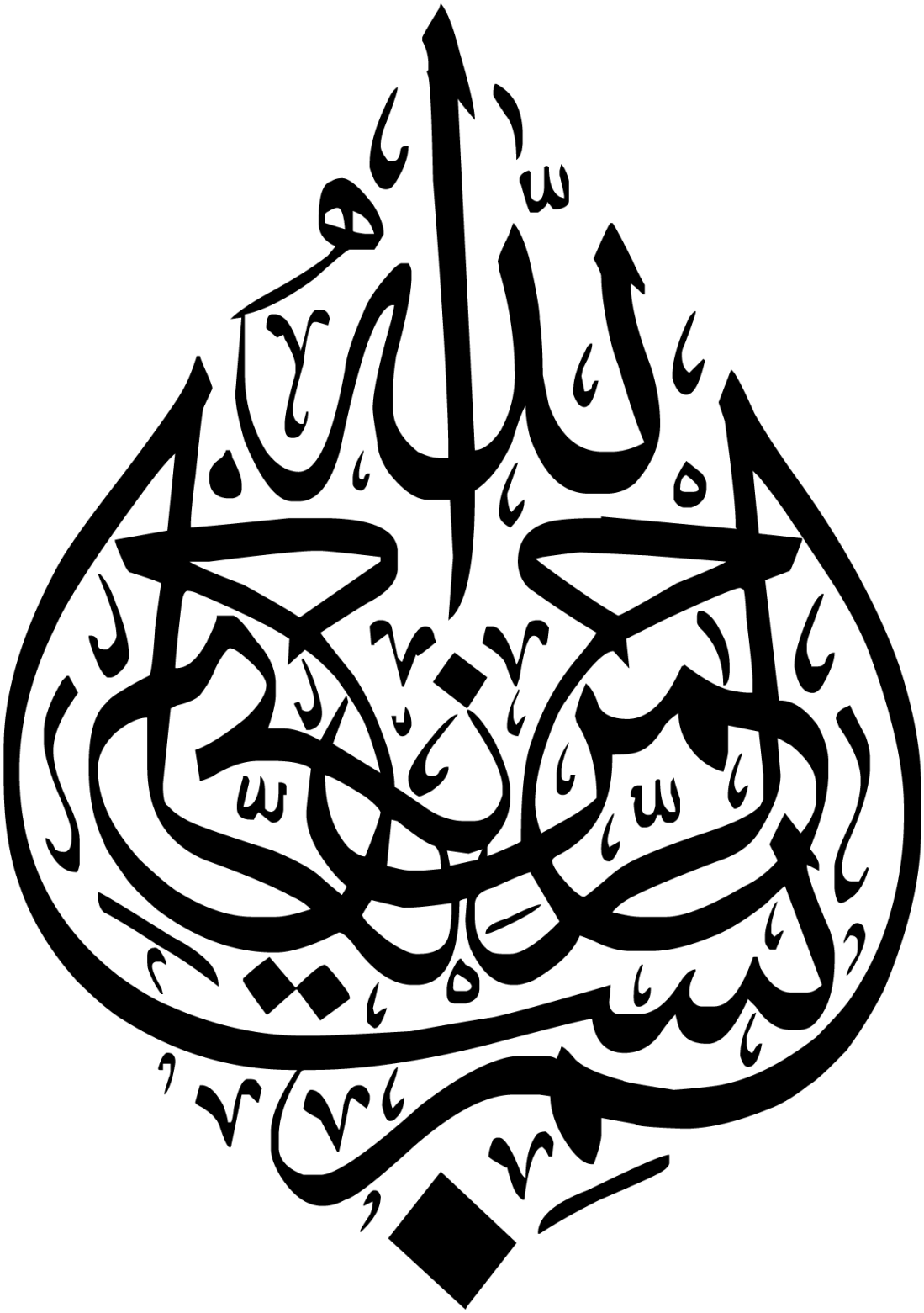

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ التوبة: 51

عنوان المذكرة باللغة العربية

"آيات الأحكام دراسة في ضوء المنهج التداولي " (البقرة- التوبة) نموذجا.

عنوان المذكرة باللغة الفرنسية

Les versets de dispositions، une étude à la lumière de l’approche pragmatique. (El-Bakara et El-Tawba)comme exemples.

جدول المختصرات:

الاختصار	معنى الاختصار
ج	جزء
ط	طبعة
ﷺ	صلى الله عليه وسلم
تح	تحقيق
د	دكتور
*	توضع في الهامش للتعقيب أو الإضافة

الإهداء

إلى قرة عيني وبهجة قلبي إلى الشمعة التي لطالما احترقت لتنير دربي إلى من رافقتني بدعواتها سرا وجهرا، والتي من أخلاقها

تخلقت ومن وصاياها اقتدت إلى " أمي الغالية " حفظها الله وأمدها بالصحة والعافية.

إلى روح " أبي الطاهرة " إلى من أكرمني بحمل اسمه إلى من كان أغلى من في الوجود وكان سندي في هذه الحياة.

إلى أخي الذي أحب وأشعر معه بالأمان، إلى أغلى قلب بعد أمي وأبي...

إلى من شاطرني قسوة الحياة وفرحتها إلى الذين ترعرعت وكبرت بينهم إلى أخوالي وخالاتي حفظهم الله و يسر أمرهم.

إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء و العطاء إلى من كانوا معي على طريقي النجاح و الخير فكل باسمه و مكانته عندي.

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين أنزل علينا الكتاب بالحق لنتدبر آياته ونستخرج مكنونات كتابه ودقائقه وأسراره التي لا تنقضي، تفيض على البشرية في كل زمان و حين بما ينفعها ويكفل مصلحتها ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد من بين العرب والعرب والعجم بين لنا أحكام شرع ربنا وفصلها صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

ضمن إشكالات معرفية ومنهجية في اللسانيات الحديثة، يسعى الباحثون في اللسانيات العربية إلى دراسة النص القرآني بآليات ومفاهيم لسانية حديثة. فلا يخفَى على أي دارس أهمية النظريات اللسانية،التداولية تحديدًا، في تطوير فهم عميق حول القرآن ومقاصده ودلالاته.وقد يكون تبيان مجموع العلائق الممكنة بين القرآن الكريم، باعتباره النص الأول في العربية من جهة، وباعتباره مصدر التشريع الأول للمسلمين من جهة ثانية، واللسانيات العربية من أهم الإشكالات التي مازالت تتبلور في الفكر اللساني العربي، وفي الاجتهاد الفقهي المعاصر. فاللّساني العربي يحاول أجرأة مفاهيم التداولية، من بين نظريات لسانية أخرى، على النص القرآني، بحثًا عن الخروج بالدلالة القرآنية من بنية اللغة إلى سياق الاستعمال، في حين ما زال بعض الفقهاء متمسكين بالعلوم العربية كما جاء بها علماء اللغة العربية قديمًا، محاولين اكتشاف معاني ومقاصد جديدة بنفس الأدوات القديمة، وذلك محال.

إن التداولية ليست مفهوما عالما ومتفقا عليه في أدبيات الباحثين. فتارة يتم تحديد المفهوم انطلاقا من الفعل اللغوي المباشر المتمثل في أفعال الكلام وذلك من قبيل؛ أفعال الأمر والنهي والاستفهام والطلب...إلخ، وتارة أخرى يتم تحديده من منطلق الأفعال اللغوية غير المباشرة، وهذه الأفعال تخضع لسياق الكلام الذي ترد فيه، بمعنى أنه لا يمكن تحديدها إلا في سياق كلامي محدد بين طرفين؛ وذلك من قبيل الاستلزام الحواري، ومبدأ التأدب...إلخ. بهذا المعنى يحاول هذا البحث دراسة آيات الأحكام في القرآن الكريم من جهة نظر تداولية، وقد تم اختيار هذه النظرية لما تتميز به من الثراء المعرفي والنظري من جهة، ولصرامتها المنهجية والمفهومية من جهة أخرى.

لقد حاول البحث دراسة موضوع "آيات الأحكام المالية والتعبدية في سورتي البقرة والتوبة" وفق مقتضيات المنهج التداولي، وبشكل أدق آيات الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية

(الطلاق، والبيع، والربا، وعدة الزوجة...إلخ)، والتعبدية (الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة) في السورتين معًا. فلا يخفى على أحد حجم السجال النظري الذي وقع بين المختصين في العلوم الشرعية، وبين اللسانيين العرب حول إمكانية تطبيق المناهج اللسانية الحديثة على النص القرآني، إذ يرى الفريق الأول أن علماء العربية القدامى قالوا قولهم الفصل في العلوم العربية التي تصلح لفهم القرآن ودراسته، كما أنه لا يمكن دراسة النص المقدس بنظريات غربية يمكن اعتبارها خارج المجال التداولي للقرآن. في حين يرى الفريق الثاني، أن اكتشاف معاني جديدة، وتجديد الفهم حول القرآن يقتضي تجديد المناهج والأدوات التي يُدرس بها. وعليه، يظل يكون التساؤل عن جدوى النظريات اللسانية في فهم مقاصد الشريعة في القرآن مشروعًا، لكن ليس من منطلق أن العلماء العرب قالوا كلمتهم وانتهى، بل في كيفية تطبيق تلك النظريات اللسانية على النص القرآني، والحفاظ على قدسيته، والوصول إلى نتائج تساهم في تبيان وفهم مقاصد الشريعة من جهة، واستخدامها للاستدلال في استنباط الأحكام الشرعية من جهة أخرى. وعلى هذا الأساس يمكن تلخيص إشكالية البحث كالتالي: كيف يمكن تطبيق النظرية التداولية على آيات الأحكام المالية والتعبدية في سورتي البقرة والتوبة؟ وما هي جدوى هذا التطبيق؟ وكيف يمكن أن تساهم تلك النظرية في الاستدلال على الأحكام الشرعية؟

إن اختيار سورتي البقرة والتوبة كموضوع للدراسة راجع إلى ثرائهما من حيث الأحكام، وذلك بسبب عدد آياتهما الكبير، إضافة إلى التنوع والثراء في الموضوعات التي وردت فيهما، فرغم التركيز على آيات المعاملات في النموذج التحليلي للبحث إلا أنّ السورتين تتضمنان مسائل أخرى في الأحكام.

وبهدف تحقيق نتائج هذا البحث فقد اعتمدنا على المنهج الاحصائي والمنهج التحليلي، حيث عمَدنَا إلى تقديم دراسة تفصيلية للنظرية التداولية وفق ما جاء في الأدبيات اللسانية الغربية والعربية، إضافة إلى الدراسات السابقة المتعلقة بدراسة النص القرآني من منظور تداولي أذكر منها:(الأبعاد التداولية للخطاب القرآني لعيسى تومي،مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في الآداب واللغة العربية) ،و(الأفعال الكلامية في القرآن الكريم لمحمد مدور، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان) ،وأيضا مذكرة: (الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي،لمؤبد آل صونيت، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه)، كما اعتمدنا على مجموعة

من المصادر والمراجع، أهمها : كتاب:(نظرية أفعال الكلام العامة لأوستن)، وكتاب: (استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهيري) ، وكتاب:(اللسان والميزان أو التكوثر العقلي لطه عبد الرحمن)، وكتاب: (آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة)، وكتاب:(الاستلزام الحواري في التداول اللّساني للعياشي أدراوي)، وبعض التفاسير : أهمها : تفسير (الكشّاف للزمخشري)، وتفسير: (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيرازي)، وتفسير: (التحرير والتنوير لابن عاشور) ، وتفسير:(تفسير القرآن الكريم لمحمد بن صالح العثيمين)، وتفسير (القرآن العظيم لابن كثير)، وتفسير (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرّازي)، بالإضافة إلى المقالات والدراسات والأبحاث المتخصصة في المجال .

أما **منهجية** دراسة الآيات، فقد عمدنا إلى القرآن الكريم برواية ورش، واستخرجنا الآيات المتعلقة بالأحكام في سورتي البقرة والتوبة، وقمنا بتصنيفها جميعًا، لنستقر على آيات الأحكام المتعلقة بالمعاملات واعتماده في التحليل.

بهذا المعنى، يحاول هذا البحث فهم شامل وعميق حول الإمكانات التي يوفرها الدرس اللّساني عمومًا، والتداولي خصوصًا، في دراسة النص القرآني، وآيات الأحكام بشكل أدق، وذلك من خلال جزء نظري يبسط المصطلحات والمفاهيم المتصلة بالتداولية وقراراتها المنهجية، وجزء تطبيقي يحاول الكشف عن آليات تطبيق المفاهيم النظرية، ومنهجية تحليل الآيات وفق المنظور التداولي. وعلى هذا الأساس:

يحاول **الفصل الأول** تقديم المفاهيم والمصطلحات النظرية للتداولية، من خلال تتبع مفهوم التداولية ومجمل التحديدات التي قال بها المختصون في اللسانيات الغربية والعربية، وأهم النظريات التي تتضمنها النظرية العامة للتداولية، إضافة إلى ربط تلك المفاهيم بمفهوم النص، وآليات تحليله من منظور تداولي، ذلك أن البحث سيتعامل مع النص القرآني.

أما **الفصل الثاني**؛فيحاول الكشف عن الأبعاد التداولية للنص القرآني من خلال سورتي البقرة والتوبة، وذلك من خلال التعريف بالسورتين ابتداءً، ثم ينتقل إلى دراسة آيات الأحكام في السورتين وفق مقتضيات المنهج التداولي؛ خصوصا أفعال الكلام، والفعل اللغوي المباشر كما بلوره بول غرايس.

إن الأسئلة التي يطرحها هذا البحث تنطوي على تعقيدات كثيرة؛ منها قلة الدراسات التي طبقت المنهج التداولي على آيات الأحكام في القرآن الكريم، إضافة إلى أن ثراء المادة المعرفية في النظرية التداولية، مع الضرورة المنهجية الصارمة، يجعل التطرق لجميع آيات الأحكام الواردة في سورتي البقرة والتوبة متعذرا، والصعوبة الأكبر مما سبقَ هي دقة التعبير القرآني والحرص على عدم الانحراف بالمعاني والمقاصد التي جاء بها، أو حملها على وجوه غير الوجوه التي تتسق مع التفسيرات المقبولة شرعًا إنْ في علم التفسير، أو في الفقه. هذا وحسبنا أن نقول إنّ هذا البحث يضيف لبنة مهمة في مسار تطوير الدرس اللساني العربي الحديث في علاقته بالنص القرآني، كما يفتح أفقا لتأكيد أهمية اللسانيات في تطوير الفقه الإسلامي في الجانب المتعلق بالأحكام.

و أخيرا ؛ لا يدعي هذا البحث الإجابة عن كل الأسئلة المطروحة حول علاقة التداولية بالقرآن، أو آليات تطبيق المنهج التداولي على آيات الأحكام فيه. و من الطبيعي أن تأتيه جوانب نقص، وهذه سمة كل عمل بشري، فحسبه أنه فتح بابًا للدراسة وأفقًا للتطوير.

لا يفوتني هنا أن أوجه شكري الجزيل إلى من كان له الفضل في أن تخرج مذكرتي إلى النور وهذا بالتوجيه السديد والرعاية الفائقة التي شملني بها الأستاذ الفاضل "د.وايني عبد الله "، وكان لملاحظاته الأثر في إظهار هذه المذكرة فضلا عن إشرافه علي وتشجيعه ، حتى أصبح البحث ثمرة نابعة بالرغم من الظروف والأيام العصيبة التي أحاطت بي، فله مني جزيل الشكر والامتنان اعترافا بالجهود العظيمة ، وسيظل فضله يحمل مني فائق الاحترام والتقدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفصل الأول:

التداولية المفاهيم والمصطلحات

لا شك أن تحديد المفهوم له أهمية كبيرة في البحث العلمي الرصين، إذ يعتبر الخطوة الأساس والمهمة الأولى للمعرفة العلمية، فالضرورة المنهجية تقتضي تحديد ماهية الشيء قبل الحديث عنه، كما أن القرارات النظرية التي يلجأ إليها البحث تتطلب قبل اتخاذها إحاطته بمعرفة دقيقة بالمفاهيم والمصطلحات التي ينشغل بها. وبعبارة؛ فالمفاهيم هي السياج العقلي الذي يمكّن الباحث والقارئ معًا من ضبط المعطيات المتنافرة داخل حقل المعرفة العلمية عموما، وداخل المجال التداولي للبحث المدروس خصوصًا. من هنا يحاول هذا الفصل تحديد الإطار المفهومي للتداولية وعلاقتها بالنص، وذلك في جزأين اثنين، الأول هو؛ تحديد مفهوم التداولية وتاريخها والنظريات المرتبطة بها، أما الثاني فهو؛ تحديد مفهوم النص وآليات تحليله تداوليا، وبهذا المعنى يسعى الفصل إلى تحديد النظري العام، باتجاه تحديد المفاهيم التي تمكن من تحليل النص القرآني تداوليا.

وعلى هذا الأساس، ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث رئيسية، يتضمن كل مبحث منها عدة مطالب، أما المبحث الأول؛ فهو في مفهوم التداولية، وأما الثاني؛ فهو في التحليل التداولي للنص، وأما الثالث فيختص بنظرية أفعال الكلام.

المبحث الأول: الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي

المطلبالأول: مفهوم التداولية

التداولية اتجاه من الاتجاهات اللسانية تهتم بدراسة اللغة وهي تعمل؛ بمعنى الاهتمام بالمتكلم وسياقات الاستعمال، هذا إلى جانب الاهتمام باللغة وما تحمله من أفعال ومقاصد وغايات، والتي يتوخى المتخاطبون تحقيقها انطلاقا من أقوالهم. ومنه؛ فإن القول فعل، والفعل قول.

فالتداولية تعد حلقة وصل بين علوم عدة، حيث إنه يصعب تقديم تعريف جامع مانع لها، ويعزى ذلك إلى كون التداولية: تجمع بين اللسانيات والمنطق والفلسفة وعلوم إنسانية أخرى (علم الاجتماع، علم النفس المعرفي) من جهة، وتجمع بين دراسة اللغة ومستعملي اللغة من جهة ثانية.

وبناء عليه، وانطلاقا من هذا،سنحاول مقاربة مفهوم التداولية من خلال تقديم بعض التعريفات المتعلقة به، ثم وكيف تمت ترجمته إلى اللغة العربية.

1- في المعاجم العربية:

يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي(دول)، فقد جاء في "لسان العرب" لابن منظور:" تَداوَلنا الأمرَ: أخذناه بالدُّوَل، وقالوا دَوالَيكَ أي مُداوَلةً على الأمر... وتداولتهُ الأيدي أخذته هذه مرَّة وهذه مرَّة...وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة"[1].

أمَّا في مقاييس اللغة فقد وردت على أصلين أحدهما:يدل على تحوّل شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل:على ضعف واسترخاء،فقال أهل اللغة انْدَالَ القوم،إذا تحولوا من مكان إلى مكان و من هذا الباب،تداول القوم الشيء بينهم، إذا صار من بعضهم إلى بعض"[2].

أما في معجم أساس البلاغة للزمخشري فقدت وردت بمعنى: دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدل الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه، وعن الحجاج: إن الأرض ستُدال منا كما أدِلنا منها. والماشي يدول بين قدميه: يراوح بينهما.ونقول دواليك أي دالت لك الدولة كرة بعد كرة"[3].

لفظة التداولية كما يرى مقترحها تفيد في العلم الحديث الممارسة المعبر عنها بـ:

(La praxis)، وتفيد أيضا التفاعل زيادة على أنها من مادة الدلالة نفسها التي تتقاطع معها[4].

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب،مرجع سابق، ص252-253.

[2]- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين: **مقاييس اللغة**،تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر،ط2، 1991، ص 314.

[3]-الزمخشري:**أساس البلاغة**، تح:محمد باسل عيون السود،ج1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص303.

[4]-أرمينيكوفرنسواز:**المقاربة التداولية**،تر:سعيد علوش،الدار البيضاء،المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع،1987، ص11.

وجعله بعض العلماء قسيما للفعل (دار) الذي دلالته نقل الشيء وجريانه، نحو قلنا: دار على الألسن،أي:جرى عليها، وخلصوا إلى أن المعنى الذي حمله الفعل هو التواصل، ومقتضى التداول [1].

عليه واستنادا مما سبق من التعاريف السالفة الذكر يمكن القول: أن "التداولية" من التداول: تداول يتداول وجذره – دَولَ– وهو يفيد معنى ما تناقله الناس وأداروه فيما بينهم.وهي صيغة هذا على سبيل التجاوز، وفيها الممارسة والتفاعل أيضا، وهذا واضح من خلال مادتها المعجمية، إلا أن هذه المادة تنسحب على تعميم كبير من النَّكِرات – أمر؛ شيء... هذه النكرات التي يمكن أن تستبدل باللغة والخطاب، لتفيد بعض التخصص الذي نرجوها. ومن ذلك نقول تداول اللغة: أي استعملها.

2– في المعاجم الغربية:

المصطلح ينحدر من الكلمة اللاتينية (Pragmaticus)التي استعملت عام 1440م المأخوذة من الجذر(Pragma) وتعني الفعل (Action)،ومن الإغريقية (Pragma)وتعني عمل أي الأشياء التي يجري عملها، ثم أصبحت الكلمة اللاتينية –بفعل اللاحقة– تطلق على كل ما له نسبة إلى الفعل أو التحقق العملي.

أما في معجم اللسانيات وعلوم اللغة: فإن التداولية هي جانب من جوانب اللغة يهتم بملامح استعمالها (نفسية المتكلمين، رد فعل المستمعين، الطابع الاجتماعي للخطاب،موضوع الخطاب)بمقابل الجانب التركيبي (الميزات الشكلية للأبنية اللغوية) والدلالي (العلاقة بين الوحدات اللسانية والعالم)[2].

كما ورد في موسوعة كمبريج تعريف لمصطلح التداولية الذي يقابل في اللغة الانجليزية:

" Pragmatics":« Pragmatics is the study of an ability of language users to pair sentences with they would be appropriate »[3]

---

[1]– طه عبد الرحمان: **تجديد المنهج في تقويم التراث**، المركز الثقافي العربي، بيروت،2005، ص243.

[2]–Debois et al()**Dictionnaire de linguistique et des sciences du language,** Lobraire la rousse, P:375.

[3] -Stephen. c. Levenson ;**pragmatics** ; Cambridge ; university press ; P:25.

ومعناها: أن التداولية هي دراسة العوامل التي تؤثر في اختيار الشخص للغة، ثم ينتقل هذا الاختيار في الآخرين وذلك عن طريق التواصل والتفاعل حسب المرسل ورغبة المتلقي.

أمَّا عند فلاسفة اكسفورد: فيعتبرون أن التداولية هي دراسة أفعال الكلام،وهو مفهوم شائع وموجود (المعمول به) في معظم المراجع التي صدرت في الآونة الأخيرة.[1]

المـــــطلب الثاني: مفهوم التداولية اصطلاحا

تحديد المفهوم الاصطلاحي للتداولية هو صعبٌ نظرا إلى عدم وضوح حدوده، وفي ذلك يقول فرانسواز أرمينكو: "التداوليةُ درس جديدٌ وغزيرٌ، إلا أنّه لا يمتلك حدودا واضحةً... تقع التداولية كأكثر الدروس حيويةً، في مفترق طرقِ الأبحاثِ الفلسفية واللسانية"[2]، ولعل سبب من أسباب الصعوبة في تعريف التداولية تداخلها مع كثير من العلوم؛ إذ إنّ جملةً من العلوم قد أسهمت في تشكّل هذا الاتجاه، فهو اتجاه قد تعدّدت روافده المعرفية التي أمدّته بجملة من المفاهيم المستقرة فيها، كالفلسفة التحليلية التي نشأت التداولية في كنفها، وعلم الدلالة، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وغيرها.

1- حد التداولية عند علماء وفلاسفة الغرب:

يعود الاستعمال الحديثُ والحالي للتداولية (Pragmatics) للأمريكي شال موريس (Charles mourris) عام 1938م في كتابه "أسس نظرية العلامات" ففي تعريفه للتداولية يقول: "التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"، وهذا تعريف واسع يتعدّى المجال اللِّساني إلى السِّيميائي، والمجال الإنساني إلى الحيواني والآلي.[3]

و قُسم(علم الإشارات)إلي ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول:النحو أو التراكيب (Syntax): ويعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

---

[1]- ومن بينهم أوستين وسيرل وستراون وجرايس.

[2]- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 07.

[3]- نعمان بوقرة: **محاضرات في المدارس اللِّسانية المعاصرة**، منشورات باجي مختار، عنابة،الجزائر،2006م، ص176.

القسم الثاني:الدلالة (Semantic): وتدرس علاقة الأشياء التي تدل عليها أو تحيل عليها.

القسم الثالث:التداولية (Pragmatics): تهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها، أي علاقة العلامات بالناطقين بها، وبالمتلقي وبالظواهر النفسية الاجتماعية المرافقة لاستعمال العلامات وتوظيفها.

إذن التداولية عند "تشارلز موريس": هي جزء من السِّيميائية وأحد مكوناتها تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات ومستعمليها أو مفسريها (متكلم، سامع، قارئ، كاتب...)، وتحديد ما يترتب عن هذه العلامات.

أ- التداولية عند منقونو (Maigueneau):

ربط الدراسة التداولية بالسياق،فهو يرى أنّ:" المكون التداولي يعالج وصف الملفوظات في سياقاتها"[1]، حيث تسعى التداولية إلى تحديد قصد المتكلم من خلال سياق محدد. ومن خلال تحديد هذا السياق يمكن استخراج متضمنات القول، فالتداولية إذن تدرس:" الطريقة التي يستخرج بها المخاطب مقترحات ضمنية من خلال ما يقال له داخل سياق مفرد، وخاصة عندما تكون العبارة مخصصة لإطلاق استدلال ما... " [2]، حيث يحاول منقونو من خلال هذا التعريف إبراز البعد التداولي للمعنى الضمني (L'implicite) من خلال دراسة العلاقة بين المعنى والسياق.

ب- التداولية عند جورج يول(George Yule):

نجدها: "تختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب) ويفسره المستمع (أو القارئ)، لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة، التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم" [3].يتضمن

---

[1]-دومينيك منقونو: **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، تر:محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005-2006، ص98.

[2] -Dominique Maigueneau; **Aborder La linguistique** ;Edition du Seuil collections Mémo ; paris ;P29.

[3]- جورج يول:**التداولية**، تر:قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم،بيروت، ط1، 2010م، ص19.

ميدان الدراسة هنا بالضرورة تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين وكيفية تأثير السياق فيما يقال.كما يتطلب أيضا التمعن في الآلية التي يُنظم من خلالها المتكلمون ما يريدون قوله وفقا لهوية الذي يتكلمون إليه(أين،ومتى،وتحت أية ظروف...). فالتداولية هي دراسة المعنى السياقي.

ولعل أنه من جملة التعريفات التي قُدمت للتداولية وبعد تفحصها يمكن عد تعريف ج.يول الذي ينص على أن التداولية دراسة اللغة في الاستعمال أو في الاتصال وهو أدق تعريفات التداولية،" لأنّه يشير إلى المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولايرتبط بالمتكلم وحده،فصناعة المعنى تتمثل في تداول (negociation) اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد(مادي،واجتماعي،ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما " [1]، لأن اهتمام يول في هذا التعريف انصب على المعنى الذي يقصده المتكلم في سياق التواصل، "وتأسيسا على تعريف يول هذا وعلى إيجازه الشديد يتبين مدى تشعب ميدان التداولية واتساعه، فهي تنفتح على ما هو لغوي، و ما هو اجتماعي، وما هو نفسي" [2]،الأمر الذي جعلها أكثر تعقيدا وثراء في الوقت نفسه.

2- حد التداولية عند علماء العرب المحدثين:

إنّ المتأمل في مفهوم التداولية في العالم العربي، يلحظ أن المفهوم عرف ترجمات متعددة، إذ يترجم المصطلح(Pragmatique) بعدة مقابلات في العربية، "فهناك: "الذرائيعية، والتداولية، والبراغماتية، والوظيفية، والإستعمالية، والتخاطبية، والنفعية، والتبادلية...، لكن أفضل مصطلح، في منظورنا، هو: التداولية ؛ لأنه مصطلح شائع بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة؛ ولأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول بين الأطراف المتلفظة من جهة أخرى"[3].

---

[1]-نفسه، ص14.

[2]-زاتسيسلاف واورزنياك:**مدخل إلى علم النص**، تر:سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة،1424هـ/2003م، ص50-51.

[3]-جميل حمداوي:**التداولية وتحليل الخطاب**، دت، دط، دار الألوكة، ص5.

في المقابل هناك من ترجم (pragmatique) بـ"التداوليات" ؛ إذ تعود بداية هذا الأخير إلى الباحث المغربي طه عبد الرحمان؛ إذ يقول في هذا الصدد: "وقد وقع اختيارنا منذ 1970 م على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي(براغماتيقا) لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيين: (الاستعمال) و(التفاعل) معا"[1]، و"لقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم" [2]، ثم يحدد طه عبد الرحمان المعنى الاصطلاحي(للتداول) قائلا: " هو وصف لكل ما كان مظهراً من مظاهر التواصل و التفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس و خاصيتهم[3]".

أما مسعود صحراوي فقد عرف التداولية بأنها: إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي،وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي[4]. مقابل هذا نجد د.محمد عناني الذي يستخلص مفهوم المصطلح من الدراسات الغربية التي تناولته فيحدده بأنَّه: "دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات والمواقف الواقعية، أي: تداولها عمليّاً، وعلاقة ذلك بمن يستخدمها، تفريقا لها عن مذهب العلاقات الداخلية بين الألفاظ (Syntactics)، وعلاقة الألفاظ بالعالم الخارجي أو دلالاتها (Semantics)[5].

نستخلص من خلال كل التعريفات سواء كان عند علماء الغرب أو عند المحدثين العرب لمصطلحات التداولية : أن التداولية من التداول، والتداول تفاعل، وكل تفاعل يلزمه طرفان على أقل تقدير، مرسل ومستقبل، متكلم وسامع أو مستمع، كاتب وقارئ، على أن مدار اشتغال التداولية هو مقاصد وغايات المتكلم، وكيف تبلغ مستمعا أو متلقيا. فالتداولية ليست علما لغويا محضا يكتفي بدراسة التراكيب اللغوية وجوانبها الدلالية فحسب، بل هي دراسة التواصل

---

[1]-نعمان بوقرة: **التفكير اللغوي التداولي عند العرب**،الكتابة اللسانية العربية و إشكاليات المصطلح التداولي،ص8.

[2]- طه عبد الرحمان: **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**،المركز الثقافي العربي،ط2، الدار البيضاء،2000م، ص27.

[3]- نفسه، ص8.

[4]- مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب **(دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)**،دارالطليعة،بيروت،ط1،2005م، ص 16-17.

[5]- محمد عناني: **المصطلحات الأدبية الحديثة**، الشركة المصرية العالمية للنشر جولدمان، القاهرة، 1996م، ص76.

اللغوي داخل الخطابات، أي دراسة الظواهر اللغوية في مجال استعمالها، من هذا نخرج إلى أنّ التداولية هي:

- بيان كيف نستعمل اللغة في التواصل بين البشر (وظيفة اللغة).
- بيان المعنى الذي يقصده المتكلم.
- دراسة كيفية لإيصال أكثر مما يقال.
- دراسة التعبير عن التباعد النسبي.

المـــــطلب الثاني: إشكالية المصطلح (الترجمات الأخرى):

تعود كلمة التداولية في أصلها الأجنبي إلى مصطلح (Pragmatique) بالفرنسية، و (Pragmatics) بالإنجليزية ومرادف البراغماتية،والبراغماتيك،البرجمتايةو البراجماتيك باعتبار هذه الاصطلاحات نقلا حرفيا للكلمة الأجنبية[1]. «ومبناها على الجذر (Pragma) ومعناها الفعل (Action) ثم صارت بفعل اللاحقة تطلق على كل ماله نسبة إلى الفعل أو العمل[2]. حيث ترجم مصطلح (Pragmatique) بعدة كلمات باللغة العربية، فهناك: الذرائعية، والتداولية، والبراغماتية، والوظيفية، و الإستعمالية، و التخاطبية، والنفعية، والتبادلية... لكن أفضل مصطلح في منظورنا هو التداولية، لأنه مصطلح شائع بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة، ولأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول بين الأطراف المتلفظة من جهة أخرى[3]. وهذا أن المصطلحات الثلاثة المتمثّلة في: البراغماتية[4] و النفعية و الذرائعية[1] في هذا

---

[1]- خليفة بوجادي:**في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص65.

[2]- نواري سعودي:**في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء**، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص18.

[3]- جميل حمداوي:**المقاربة التداولية في الأدب والنقد، تحديد المصطلح**، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، جانفي 2012م.

[4]- **مصطلح البرغماتية**:اشتملت هذه الكلمة على عدة ترجمات فمنهم من يترجمها" براجماطية " أو "براغماتية " وهناك من يراها "العاقبية " أو هي "التجريبية" أو "العملية" أو الذرائعية عند البعض الآخر(راجع جون ديوي محمد

المقام لا تعني مفهوما واحداً ، فالبراغماتية كانت مع "تشارلز بيرس"،و النفعية مع" وليام جيمس"، و الذرائعية مع "جونديوي "، إلا أنا مصطلح التداولية أكثرها شيوعا وأقربها إلى

جديدي:**فلسفة الخبرة**، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص16.). وهذه الترجمات تختلف بحسب تكوين المترجم وتوجهاته الفكرية، ومن رواد الاتجاه البرغماتي نجد تشارلز بيرس المؤسس الأول للبراغماتية،حيث يؤكد أنه: "أيّة عبارة تزعم أنَّها لها حقيقة ينبغي أن تكون لها نتائج عملية،أي أنها يجب أن « أنَّها تسمح بإمكان قيام فعل معيّن في المستقبل،وتكوين استعداد للتصرّف على هذا النحو في كافة الظروف المماثلة .وهكذا يقال إن معنى قضية ما هو هذه النتائج ذاتها "(راجع براتراند رسل:**حكمة الغرب**، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، تر: فؤاد زكريا، دار الوفاء، مصر، الإسكندرية، ط1، 2009، ج2، ص243.). فالمذهب البراغماتي لا يرتكز على مقدّمات الأفكار؛بل على النتائج المترتّبة على تلك الأفكار،فالعبرة عنده بالنتائج وليس بالمبادئ ، ويكون بهذا قد ربط البراغماتية بكل ما هو عملي فالفكرة التي لا تنتهي بسلوك عملي ليست فكرة وهي الصيغة التي استمد منها وليام جيمس مذهبه البرجماتي (برتراند رسل: حكمة الغرب، ص243).فالبراغماتية إذن تعني محاولة العمل للوصول إلى منفعة حقيقية من خلالها يتم الحصول على المعرفة الصحيحة و الوصول أيضا إلى مبدأ الحياة الاجتماعية، فالحقيقة والمعرفة لا يأتيان إلا من خلال الممارسة و العمل و التجربة القائمة على أسس صحيحة.

[1]– **الذرائعية**:هي كلمة مشتقة من ذرع، "والذريعة :الوسيلة .وقدتَذَرَّعَ فلُانٌ بذريعة،أي توسَّلَ،والجمعُ الذَّرائعُ...و" الذَّريعةُ:السّببُ إلى الشَّيء،...ويُقال :فلانٌ ذريعتي إليك،أي سببي و وُصْلَتِي الذي أَتَسَببُّ به إليك". (راجع ابن منظور:لسان العرب، مادة (د ر ع)، مج 3، ج17، ص1498، ع1).

* **فمفهوم الذرائعية**: مدرسة فلسفية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر مع جون ديوي ووليام جيمس اللذين يريان بأن الحقيقة تكمن في طابعها النفعي والمصلحي.ويعني هذا أن الحقيقة الصادقة واليقينية هي التي تحقق المنفعة والمصلحة للإنسان، وتحقق المشاريع المستقبلية الهادفة، وتساهم في تنمية الأفراد والرقي بالمجتمعات، وذلك عن تحقيق المردودية والإنتاجية، وبالتالي فكل الأفكار والحقائق التي لا تحقق مصلحة أو منفعة للإنسان، ولا تفيد المرء في حياته اليومية والعملية فهي حقائق زائفة، وغير نافعة ولا مجدية إطلاقا، فالحقيقي هو المفيد والنافع والصالح... ومن هنا فإن البرجماتيون يرون أن الأفكار الحقيقة هي:"تلك التي نستطيع أن نستوعبها، ونستطيع أن نصادق على صحتها، ونستطيع أن نعززها بفعل اخراطها فيها، وأخيرا أن نتحقق منها.... (راجع جميل حمداوي: المقاربة التداولية في الأدب والنقد).

– **أما وليام جيمس**: فهو فيلسوف براغماتي، اهتم بكل ما هو عملي، و المعنى المقصود من استعماله لهذه الكلمة: "إنما هو الملموس،المتميّز، الفردي،الخاص و الفعال لا المجرّد و العام وعديم الفعالية ".(راجع محمد جديدي: فلسفة الخبرة، ص33).و قد أضاف جيمس الصدق (الحقيقة) إلى ذلك حيث « يصر في نظريته عن الصدق العقلي على تأكيد الطابع الإنساني من خلال الأغراض التي تعود على السلوك ».(راجع محمد جديدي: فلسفة الخبرة، ص33). فجيمس ربط الصدق بالمنفعة،أي أن الرأي الصحيح هو الذي له فائدة (ذا منفعة) عملية لأكبر عددٍ من الناس وأن الآراء الخاطئة لا تحقق أي فائدة (ليس ذا منفعة).

طبيعة البحث فيها لما يتضمنه المصطلح تداول من دلالة على التفاعل والواقعية والممارسة و التعالق وكلها معاني يسعى هذا العلم (التداولية) لاستكشافها في نظام اللغة واستعمالها [1].

الـــــمطلب الثالث: نشأة التداولية وأشكال تطورها

1- نشأة التداولية:

مما لا شك أنه متعارف لدى الجميع أن العلوم سواء القديمة أو الحديثة، لم تنشأ دفعة واحدة بل نشأت عبر مراحل إلى أن وصلت إلى ما هي عليه من النضج والكمال، وهذا ما يدفعنا للتساؤل التالي:

كيف نشأت التداولية ؟ و ما هي أشكال تطورها ؟

للتداولية جذور في التراث اللغوي عند العرب، وقد ناقشها العلماء العرب في العصور القديمة على الرغم من أنهم لم يأصِّلوا لها بمصطلح التداولية. وكانوا قد ترجموا لعديد من المباحث المتصلة بهذا الموضوع في بابي الخبر والإنشاء. واعتنى بذلك اللغويين من النحاة وعلماء البلاغة وحتى المناطقة والفلاسفة والأصوليين.[2] ومن أبرز العلماء الذين تناولوا مباحثها الزمخشري في أساس البلاغة، كالمجاز بأنواعه، والتشبيه والكناية، والتقديم والتأخير.وكذلك عبد القاهر الجرجاني في مخالفة الأصل في نظرية النظم، وأما السكاكي فقد تمحورت أبحاثه في خروج بعض أفعال اللغة من المعنى الأصلي إلى معان أخرى كالاستفهام والأمر والنهي والنداء.[3]

أمّا عن روّاد التداولية فالجدير ذكره أنّ التداولية قد نشأت في أول أمرها في حاضنة الفلسفة التحليلية، فلو حاولنا البحث الجذور الأولى لها، فيمكن لمسها في الاتجاه الفلسفي التحليلي: وهو الاتجاه الرئيس في فلسفة اللغة أو التيار الغالب في الفلسفة المعاصرة الذي ركز

---

[1]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص52.

[2]- هديل حسن عباس: **اللسانيات النشأة والتطور**، ص6 (بحث منشور على الانترنت).

[3]- نفسه، ص6.

على موضوع اللغة،[1] أي اتخذ اللغة موضوعا للدراسة والبحث فيها وقد وضع فلاسفة التحليل مناهج علمية جديدة في الفلسفة تقوم على التحليل المنطقي للغة، وهذه الطريقة المنهجية العلمية أثبتت جدارتها في القدرة على التمييز بين مفاهيم الميتافيزيقية و قضاياها من جهة وفي إيجاد قواعد علمية تشتمل الاستقراء والاستدلال من جهة أخرى [2].و يعد الفيلسوف الألماني غ.فريجة(G.Frege) زعيما لهذه المدرسة الفلسفية التي تطورت على يده النظرية الفلسفية التي تدعى (منطوقية) (Logisime).ومن أهم نتائج المنطوقة،أنها فصلت الفلسفة التحليلية عن النظريات التي يمكن تسميتها (التأليفية) قد وضع (فريجة) الحجر الأساس لعلم الدلالة،و منورائه التداولية،وذلك بوضع مفاهيم الروابط الدلالية الوضعية والتواصلية [3].

وقد لخّص"مسعود صحراوي مفهوم" الفلسفة التحليلية"حسب الهدف الذي تسعى إليه في جملة من المطالب والاهتمامات من بينها [4]:

-ضرورة التخلّي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم،وخصوصا جانب الميتافيزيقي.

-تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع" نظرية المعرفة " إلى موضوع:" التحليل اللغوي".

-تجديد و تعميق بعض المباحث اللغوية،ولاسيما مبحث" الدلالة "والظواهر اللّغوية المتفرعة عنه.

من خلال هذه النّقاط يبدو لنا أنّا لفلسفة التحليلية قامت على أنقاض الفلسفة التقليدية منهجياً،والتي كان الجانب الميتافيزيقي يطغى عليها،إضافة إلى أنَّها اهتمت بالجانب التحليلي للغة لا النظري الشكلي.

2-أشـــــكال تطـور التـــداولية:

[1]- مؤيد آل صونيت:**الخطاب القرآني دراسة في البعدا لتداولي**، الجامعة المستنصرية، العراق،2009م، ص23.

[2]- خديجة بوخشة: محاضرات في اللسانيات التداولية،ص5 .

[3]- نفسه، ص5.

[4]- مسعود صحراوي التداولية عند العلماء العرب، ص22.

توجد تصورات كثيرة لأشكال تطورها، ولعل أبرزها ما وضعه كل من فرانسواز أرمينكو وهانسون وجان سرفوني وتتلخص هذه التصورات فيما يأتي:

أ- تصور فرانسواز أرمينكو:

صنفها في اتجاهين في كتابه " المقاربة التداولية " هما [1]:

تداولية اللغات الشكلية وتداولية اللغات الطبيعية: قامت التداولية الشكلية بمعالجة العلاقة بين التلفظ وملفوظه وبين الجمل وسياقاتها واهتمت أيضا بدراسة شروط الحقيقية وقضايا الجمل والحدس بين المتخاطبين والاعتقادات المتقاسمة، في حين اهتمت تداولية اللغات الطبيعية بدراسة اللغة بوصفها وسيلة فريدة للتعبير عن مشكلات الفلسفة والمجتمع.

تداولية التلفظ وتشمل: تداولية صنيعة التلفظ: تدرسه من حيث هو صناعة أي كيفية صياغته وتشكيله.

تداولية صيغ الملفوظ التي تهتم بشكل الملفوظ وعباراته: تعالج العلاقة بينه وبين الدلالة، وتحدد السياق المناسب له.

ب- تصور هانسون:

وضع هانسون تصورا جديدا لأقسام التداولية في سنة 1974، قصد من خلاله توحيد أجزائها على أساس درجة تعقد السياق من جزء إلى آخر، ففرق بين [2]:

- تداولية الدرجة الأولى: التي تدرس رموز التعبيرات المبهمة خلال ظروف استعمالها، وتقوم بتناول السياق ومعطيات الزمان والمكان والرمز والإشارة.

- تداولية الدرجة الثانية:ترتكز على دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبّر عنه بملفوظه، فتهتم بشروط التواصل والتمييز بين المعاني (الحرفي-السياقي)، (الحرفي- الموضوعي).

- تداولية الدرجة الثالثة: وتخص نظرية أفعال الكلام، مما قدمه أوستن وطوّره سيرل.

---

[1]-فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص79-80.

[2]-أحمد عزوز:**المدارس اللسانية (أعلامها –مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي)**،دار آل الرضوان، وهران، ط2، 2008 م، ص41-73.

جـ- تـصور جان سرفوني:

ميّز بين ثلاث وجهات نظر تتعلق بالتداولية بعد أوستن هي [1]:

- وجهة نظر اوزوالد ديكرو: تدرس اللسان والعلاقات المتبادلة بين القول و اللاّقول، وتتعرض أيضا إلى دراسة المضمون والحجاج.

- وجهة نظر آلان بيريندونيه: إن أطروحته تناقض فكرة أوستين (القول هو الفعل)، فمفهومه للقول هو الفاعل هو مفهوم عالي الكلفة، والأفعال الإنجازية في نظره ليست مهمتها الإنجاز، بل عدم إنجاز فعل، فهي تستعمل لإحلال الكلام محل الفعل المادي.

- وجهة نظر رماترين: يذهب إلى أن مجال البرغماتية ليس الجملة، ولكنّها تتداخل على مستوى الملفوظ، وهي نتيجة للآلية الدلالية التي تشكل هذه الكلمة علامة لها.اكتفي باثنين وأشير للباقي في الهامش باختصار.

المـــــطلب الرابع: مجالات الدرس التداولي (أهم جوانب البحث التداولي):

نظرا لظروف نشأة التداولية واهتماماتها بالمعنى المراد داخل السياق بين المرسل والمرسل إليه، أكَّد أغلب الباحثين على أن الدرس التداولي يقوم على أربعة جوانب:

1- الإشـــــاريات:

وتسمى أيضا المعينات، وهي عبارات تربط بين اللفظ والتلّفظ ولا يكون لها معنى إلاّ بالنظر إلى ظروف التلفظ، وقد اهتم بها علماء التداولية الذين اعتبروا أنّ النص:« النَّص يتألف من عدد ما من العناصر التي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الإحالية في تحقيقها »[2]، إذا تعتمد الإشاريات اعتمادا كليا على السياق الذي تستخدم فيه، فهي تأخذ

[1]- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 79-80.

[2]- سعيد حسن بحيري:**دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، مكتبة الآداب القاهرة،2005 م، ط1، ص94.

دلالة جديدة في كل وضعية جديدة لأنَّها غير محددة الدلالة أصلا.فما معنى كلمة " هو" أو كلمة " اليوم " أو كلمة "هناك" إذا لم توضع في سياق معيّن، تتحد من خلاله دلالتها.

ولقد جاء الاهتمام بظاهرة الإشاريات متأخرا ولم يبرز إلاّ مع بزوغ فجر الفلسفة المعاصرة للغة، وقد لوحظت الأهمية البالغة التي تحتلها التلفظات الإشارية في سياق التواصل « فأكثر من تسعين من المائة من التلفظات التي ننطق بها في حياتنا اليومية هي تلفظات إشارية يحددها السياق التلفظي الذي وردت فيه »[1].

وتـنقسم الإشـــــــاريات إلى [2]:

أ– الإشاريات الشخصية: وأكثرها وضوحا هي ضمائر المتكلم (أنا، نحن)، ضمائر المخاطب المفرد والمثنى والجمع تأنيثا وتذكيرا، أمّا ضمير الغائب فيدخل في الإشاريات إذا كان حرا أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي، أمّا إذا كان العكس فلن يعتبر من الإشاريات.

ب– الإشاريات المكانية: (مثل:هنا، هناك...) وهي عبارات تشير إلى مكان لمتكلم وقت التكلُّم، فمكان المتكلم يركز الإشارة المكانية، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ولإختيار المكان أثر في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة. كما يدخل النداء ضمن الإشارات الشخصية، وهو لا يفهم إلاّ إذا عُرف المرجع الذي يشير إليه.

جـ– الإشاريات الزمنية: مثل (اليوم، غدا...) وهي عبارات تدل على زمان يحدّده السياق بقياس إلى زمان المتكلّم، فزمان المتكلم مركز الإشارة الزمنية، فإذا لم يعرف هذا المركز التبس الأمر على السامع أو القارئ.

وقد أفضت دراسة (بنفنست) للزمن إلى تقسيمه أقساما ثلاثة، معتمدا على علاقة المتكلم بالزمن[3]:

– **الزمن الطبيعي** : يحس به الإنسان ويدركه في حياته، و يختلف انقضاؤه من بيئة لأخرى ،ويمتاز عن غيره من الأزمنة بالاستمرارية.

---

[1]– نفسه، ص441.

[2]– علجية أيت بوجمعة:**التداولية (دراسة في المجالات والفروع)**، جامعة مولود معمري، تيزي–وزو، ص167–168.

[3]– ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، ص105–106.

– **الزمن التاريخي**: بما أن الإنسان جزء لا يتجزأ من البيئة التي ينتمي اليها ،وبما أنه كائن حي تتعاقب عليه مجموعة من الأحداث، فيمكنه أن يؤرخ لحياته من بدايتها إلى نهايتها ، وذلك عن طريق الذاكرة لتأليف ما يعى بالسيرة الذاتية.

– **زمن الحدث**: وهو المراد في هذه الدراسة ، وقد أطلق عليه (بنفنست) مصطلح (زمن الحديث)، أما (تودوروف) فقد أطلق عليه مصطلح (زمن الخطاب) ، وهو البحث عن تمثيلية الزمن في ارتباطه مع لحظة الحديث ، ويتجلى زمن الحديث الذي يشكل مرجعيته ، أما الماضي والمستقبل فمتعلقان به .

د– الإشاريات الإجتماعية: مثل (جلالتك، سيادتكم...) وهي ألفاظ تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين باعتبارها علاقة رسمية ((Formelأو غير رسمية (Informel)أو علاقة حميمة أو غير حميمة.

ولا يقف دور الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة ، بل يتجاوزها إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى ، وهي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به ، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في استراتيجية الخطاب، لأن التلفظ يحدث اذات بسمات معينة ، وفي زمان ومكان معينين ، وهما مكان التلفظ وزمانه ، إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات ، وهي (الأنا ، والهنا،والآن) [1]، وهي ما اصطلح عليه اسم: الإشاريات الشخصية ، والإشاريات الزمانية ، والإشاريات المكانية .

2– الإفـــــتراض المسبق :

بعض الباحثين المعاصرين يطلق عليه مصطلح «الإضمارات التداولية» وهي المعطيات والإفتراضات السابقة التي تفهم من سياق الكلام، أو يتضمنها التركيب، وتمثل الخلفية المعرفية لأطراف الحوار[2] ، ففي الملفوظين (1)و(2) مثلا:

[1]–عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ط1، ص80.

[2]– محمود عكاشة:**النظرية البرجماتية اللسانية التداولية (دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ)**، مكتبة الآداب– القاهرة،ط1، 2012م، ص 21.

(1) ..... أغلق النافذة.

(2) ..... لا تغلق النافذة.

(في كلا الملفوظين خلفية « افتراض مسبق » مضمونها أن« النافذة مفتوحة »).

يرى الباحثون منذ وقت مبكر ضرورة التميّز بين نوعين من الافتراض السابق المنطقي والتداولي، فالافتراض المنطقي مشروع بالصدق بين قضيتين، فإذا كانت "أ" صادقة كان من اللازم أن تكون "ب" صادقة.

أما الافتراض التداولي السابق فلا دخل له بالصدق أو الكذب فالقضية الأساسية يمكن أن تُنفى دون أن تُؤثر في الافتراض السابق. فإذا قلت مثلا "سيارتي جديدة".ثم قلت "سيارتي ليست جديدة " فعلى الرغم من التناقض في القولين فالافتراض السابق وهو أنَّ سيارة لا زالت قائمة في الحالتين [1].

3- الأقـــوال المـضمرة:

وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه، على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية " القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها،ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث [2]"، ومثال ذلك قول القائل: إن السماء ممطرة، فالسامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى[3]:

- المكوث في بيته.
- الإسراع إلى العمل حتى لا يفوته الموعد.
- الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر.
- عدم نسيان مظلته عند الخروج.

---

[1]- نفسه، ص27.

[2]- مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص32.

[3]- أمزايتي مريم:**التداولية (نشأة المفاهيم والتصورات)**، المركز الجامعي لتسمسيلت،الجزائر، العدد 8، ديسمبر2015م، ص276.

وقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب، والفرق بينه وبين الافتراض المسبق أنّ الأول وليد السياق الكلامي، والثاني وليد ملابسات الخطاب[1].

4- الاستـــلزام الـــحواري:

يعد الاستلزام الحواري واحدا من أهم الجوانب في الدّرس التداولي، فهو ألصقها بطبيعة البحث فيه، وأبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي، فنقطة البدء عند جرايس يجب المحافظة على نسق واحد للأعلام هي " أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال، وما يقصد،فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال،فأراد أن يقيم معبرا بين ما يحمله من معنى متضمن، فنشأت عنده فكرة الاستلزام " [2]. ليؤسس بذلك لهذا الجانب من الدرس التداولي في مقالة نشرت سنة 1975، بعنوان "المنطق والحوار"، قام فيه بتوصيف الظاهرة، وبيان الأسس المنهجية التي يقوم عليها، "ويسجل بذلك تطورا كبيرا في مفهوم الدلالة غير الطبيعية، ويصوغ مقاربة لإنتاج الجمل وتأويلها غير تواضعية حصرا من خلال مفهومين مهمين هما الاستلزام الخطابي، ومبدأ التعاون". حيث أراد تقديم وصف وإقامة معبر بينما يحمله القول من معنى صريح وما يحمله من معنى متضمن [3].

5-الأفـــعال الكـــلامية:

---

[1]- مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص32.

[2]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33.

[3]- عماري محمد: مبادئ التداولية في التراث العربي، ص60.

الكلام الذي ينطق به الناس ينطلق منهم بغرض محدد يقصده المتكلم ويعنيه، وبناء على ذلك تحمل تلك الألفاظ أغراضا مختلفة ضمن هذا الكلام، ويتم بناء على تلك الألفاظ أفعال وأحداث أو ما نسميه (إنجاز) أو نتيجة لهذا الكلام، فالناس إنّما ينجزون أفعالا عبر هذه الألفاظ نحو قول المدير لموظف عنده: أنت مطرود،وتسمى هذه الأفعال المنجزة من خلال الألفاظ عموما ب(أفعال الكلام)" [1].

هذا ما سنتطرق إليه هو الاستلزام الحواري في أجزاء بحثنا المقبلة بالتفصيل.

المـطلب الخامس: أهمية التداولية ومهامها

تنبع أهمية التداولية من محاولتها دراسة اللغة في عالمها الحقيقي وهو الاستعمال حيث يحمل كل دال العديد من المدلولات التي تتغير وتتلون تبعا لعناصر الرسالة (المرسل- السياق- المتلقي)، إضافة إلى عوامل أخرى ثانوية في تأثيرها[2]. إذ تهتم هي واللسانيات النصية –بشكل عام- بالخطاب ومناحيه النصية: القصد و الحجاج والتضمين...، ويركز المنهج التداولي على أسئلة هامة تعتبر الأساس الذي يبني عليه نتائجه وهي:

ما مدى قدرة الأفعال الكلامية على إحداثها تغيرات معينة وبخاصة لدى الآخرين؟

من يتكلم؟ إلى من يتكلم؟ وماذا نقول عندما نتكلم؟ و ما هو مصدر التشويش؟ [3].

عليه يمكن القول: أن التداولية [4]تجيب عن الكثير من الأسئلة التي لم تجب عنها مجموع النظريات اللسانية السابقة، بما عرضته من مفهوم أوسع للتواصل والتفاعل، وشروط الأداء،

---

[1]- عطية سليمان أحمد:**الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية**، الأكاديمية الحديثة للكتاب، جامعة السويس، دط، 2014م، ص176.

[2]- يومبعي جميلة:**تداولية المجاز من خلال سورة الكهف**، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر،2014-2015م، ص20.

[3]- فان ديك: علم النص، ص131.

[4]- مما تجدر الإشارة إليه أنّ التداولية تسعى إلى أن تكون مندمجة في اللسانيات لا ككملة لها، بل جزء لا يتجزء منها (راجع آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مرجعة لطيف زيتوني، دار الطبيعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2003 م، ص47).

ولكنها مع ذلك، لا ينبغي مقابلتها بمجال محدد، لأن نشأتها غير المستقرة، جعلت منها تداوليات عديدة: تداولية حقيقية لدى المناطقة، تداولية مقاربة لدى اللسانيين، وتداولية الاقناع لدى البلاغيين... وغيرها، وهذه الصفة تفتح أمامها رهانات عديدة،وتجعل تطورها انطلاقا لايحد، وتنوعها غير محصور، وامتدادها غير محدود [1].

إن التداولية تهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة البشرية، كما أنها تهتم باللغة في الخطاب وتنظر في الوسميات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبي، فهي تهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل" [2]، كما أن الاكتفاء بتحليل مستوى واحد من مستويات اللغة أو الخطاب، أمر ترفضه المقاربة التداولية، إذ لا يمكننا الاكتفاء بالتراكيب مفصولة عن دلالاتها مثلما هو الأمر في نظرية تشومسكي، في مراحلها الأولى، إذ لم تلتفت إلى مسألة قدرة الفرد على إنتاج الخطابات، النصوص وفهمها، ليس من منطق أنها تتمتع بخصيصة النحوية –التي هي مبدأ من مبادئ قبول الجمل أو ورفضها– فحسب، بل لأنها تتوافر إلى جانب مبدأ النحوية، على الخصيصة التداولية بمعنى مراعاتها للسياق الذي تم فيه إنتاج هذه النصوص وفق القدرة التواصلية [3].

أما مهام التداولية فيمكن تلخيصها في مايلي[4]:

أ– دراسة " استعمال اللغة " التي لا تدرس " البنية اللغوية " ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها "كلاما محددا " صادرا من من " متكلم محدد " وموجّها إلى مخاطب محدد " بلفظ محدد " في "مقام تواصلي محدد " لتحقيق غرض تواصلي محدد ".

ب– شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

---

[1]– خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص136.

[2]– فيليب بلاشيه:**التداولية من أوستن إلى غوفمان**، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط2007،1 م، ص18–19.

[3]– يوسف أحمد:**سيميائيات التواصل وفعالية الحوار**، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران، ط2004،1 م، ص54.

[4]– مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص26–27.

جـ- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

د- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات.

المـــــبحث الثاني: التحليل التداولي للنص

المـــــــطلب الأول: مفهوم النص

1- في اللُّـــــــغة:

تعددت تعريفات النص وتنوعت، بل وتداخلت إلى حد الغموض أحيانا أو التعقيد أحيانا أخرى، فبعض تعريفات النص تعتمد على مكوناته الجملية وتتابعها، وبعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط، وبعض ثالث يعتمد على التواصل النصي والسياق، وبعض رابع يعتمد على الانتاجية الأدبية أو فعل الكتابة، وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصا، فيكون لدينا حصيلة كبرى من التعريفات التي تقربنا من ملامحه[1].

يقول الأزهر الزناد أنَّ تعريف النص: "... أمر صعب لتعدد معايير هذا التعريف ومداخله ومنطلقاته، تعدد الأشكال والمواقع والغايات التي تتوفر في ما نطلق عليه اسم "نص" [2]، لذا ينبغي أن يكون المفهوم الأساسي لأي نص أنَّه وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، فهو ينقل شيئا ما إلى المخاطب، وهو ليس هدفا في حد ذاته، إنَّما هو طريق للخطاب.

أ- النص في المعجم العربي:

إنّ المتتبع لكلمة "النص" في المعاجم العربية يلاحظ كثرة الدلالات التي ترتبط بها حيث جاء في لسان العرب في مادة "نصص": (النص: رفْعُك الشي.نصَّ الحديث ينصُّه نصّا: رَفَعَه.وكل ما أُظهر،فقد نُصَّ.وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنَّصَّ للحديث من الزَّهري

---

[1] - **الفرق بين النص والتخاطب** ، منتديات تخاطب ta5ayub.com

[2] -الأزهر الزنَّاد:**نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)**، المركز الثقافي العربي، بيرت، ط1993،1م، ص11.

أَيْ أَرفَعَ له وأَسنَدَ. يُقال: نصَّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصتهُ إليهِ. ونصَّت الظبيةُ جِيدَها: رَفَعته.وَوُضِعَ على المِنصَّةِ: أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور.والمِنصَّةُ: ما تُظهر عليه العروس لِتُرى، ونصَّ المتاعَ نصًّا: جعل بعضه على بعض.والشواء نص،بتضعيف الصاد.نصيصا: صوت على النار،ونص القدْر: غلت، ونص الشيء ينص نصا: عينه وحدده، ويقال نصوا فلانا سيدا: نصبوه... وأصل النص: أقصى الشيء وغايته)[1].

أمَّا عند الزمخشري فإن المعنى الحقيقي أو المعنى الرئيس في (النص): هو الرفع والانتصاب وماسوى هذا المعنى من المجاز[2]. يتبين أنّ الزمخشري قد قصر معنى النص على الرفع والانتصاب وهذا عكس ابن منظور الذي وسع دلالته في اللّسان.

نخلص إلى أنّ النص هو الكلام الواضح المعنى المفهوم المقصد، الذي لا غموض ولا إبهام، فهو كل كلام له بداية ونهاية، محدد المعالم، كما أنّ الدلالة المركزية الأساسية للدال الصواب لمادة "نص" في المعاجم العربية هي الظهور والاكتمال في الغاية.

ب- النص في المعنى اللاتيني:

في اللغات الأوروبية، نجد كلمتي:"Texete و Text " مشتقتين من الفعل" Texture " الذي يعني يحوك أو ينسج، ويوحي بسلسلة من الجمل والملفوظات المنسوجة بنيويا ودلاليا " [3]، فالأصل اللاتيني يحيل على النسج ويوحي بالجهد والقصد، ولعله يوحي أيضا بالاكتمال والاستواء.

كما أنّ لفظة (نسيج):" في منشئها الصناعي المادي تحيل على الحياكة أو الغزل عبر خيوط ينضم بعضها إلى بعض انضماما قوامه التداخل والالتواء والترابط، مكوّنة لحمة وسدى قطعة النسيج المطلوبة، فإنّ النص هو نسيج من الكلمات تتشابك فيما بينها عبر تراكيب

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص98.

[2]- الزمخشري، أساس البلاغة، ص635-336.

[3]- فاضل ثامر: **اللغة الثانية**، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1994م، ص72.

مختلفة، قوامها التضام والترابط، والتداخل والانسجام لتُكوِّن نوع النص المطلوب، حيث يكوّن هذا الأخير سطحا ظاهريا، فهو نسيج الكلمات المستعملة والموظفة فيه بشكل يفرض معنى قابلا للإدراك بصريا من خلال عملية الكتابة التي تجعل منه موضوعا مؤسسيا يتصل بالقانون والدين والأدب"[1].

هذا المفهوم اللاتيني للنص، نجد في التراث العربي ما يقابله ويطابقه[2]: فقد ربط العرب قديما بين نسج الثوب ونسج الشعر وبين الشعر والنسج والتصوير، واعتبروا أنّ جميعها تحتاج إلى تناسق وتداخل وتفرد ويكون الهدف من الإبداع والوصول إلى غاية الصناعة.

2- أما النص في معناه الاصطلاحي:

فقد تباينت حوله التعريفات، بحسب توجهات الباحثين اللغوية، وبحسب خلفياتهم ومرتكزاتهم العلمية، وانتماءاتهم الثقافية، العربية والغربية، فمن بين التعاريف العربية التي نجدها لمفهوم النص:- النص عند علماء أصول الفقه: لا يمكننا ونحن نتحدث عن مفهوم النص أن نتجاوز دور علماء أصول الفقه المسلمين في التأصيل لهذا المفهوم، حيث أنهم يطلقون" النص " على كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة،سواء أكان ظاهرا أو نصا أو مفسرا، أي أن كل ماورد من صاحب الشرع فهو نص [3]. أما من منظور لساني تداولي يعرفه(فان ديك) النص بأنه "عبارة عن ممارسة نصية "[4]. أي يصفه بأنه نتاج وأساس لأفعال عمليات التلقي من جهة، وهو استعمال داخل نظام التواصل والتفاعل من جهة ثانية، فالنص عبارة عن بنية سطحية

---

[1]- سعيد يقطين: **انفتاح النص الروائي النص والسياق**، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، 2001م، ص22.

[2]- يجب الإشارة هنا إلى أنَّ الجاحظ أكد هذا التطابق حين قال: "...فإنّما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير ".(الجاحظ: **الحيوان**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1969م، 131/3).

[3]-السيد أحمد عبد الغفار: **التصور اللغوي عند الأصوليين**، شركة مكتبات عكاظ، ط1، جدة، 1401هـ/1981م، ص146.

[4]-فانديك: **النص بنياته ووظائفه (مدخل أولي إلى علم النص)**، تر: محمد العمري،افريقيا الشرق،دط،الدار البيضاء،1996 م،ص54.

توجهها وتحفزها بنية دلالية عميقة، ويتصور البنية العميقة للنص بكونها(كلا منظما من التتابعات) فهي تعرض المنطقية المجردة، وتعد البنية العميقة الدلالية بالنسبة لفانديك أيضا نوعا من إعادة صياغة مجردة تتحد في النواة (البنية الموضوعية للنص)، ويقوده فهم البنية العميقة الخاصة بالموضوع إلى تجريد مفاده أنه يمكن النظر إلى البنية العميقة للنص على أنها خطة نص ما على نحو ما يبدو أنه يحدد سلوكنا من خلال خطط أساسية [1].

أما هاليداي ورقية حسن فكلمة "نص" عندهم تستخدم في علم اللغة للإشارة إلى أي فقرة منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو امتدت، والنص هو وحدة اللغة المستعملة،وليس محددا بحجمه... والنص يرتبط بالجملة في النوع [2].ورأى كل من هاليداي ورقية حسن أن النص وحدة لغوية في طور الاستعمال،وهما يركزان على الوحدة والانسجام في النص من خلال الإشارة إلى كونه وحدة دلالية لها ثلاثة وظائف، هي الوظيفة التجريبية التي تبرز في مضمون الاستعمال،والوظيفة التواصلية التي تتصل بالبعد الاجتماعي بين الأشخاص كوظائف اللغة التعبيرية،وفيها يتم تحديد زاوية المتكلم ووضعه وأحكامه وتشفيره، والوظيفة النصية التي تتضمن الأصول التي تتركب منها اللغة لإبداع النص كوحدة دلالية[3]. وهكذا فإن كل مقطع لغوي له وحداته الدلالية وانسجامه في سياق مقام معين يشكل نصا.

وفي قول هاليداي:" إن النص وحدة لغوية في طور الاستعمال"، ما يعنيه أن الوحدة اللغوية هنا،ليس الوحدة النحوية التي أساسها الجملة أو شبه الجملة، وإنما هي الوحدة الدلالية التي قد يكون أساسها الكلمة الجملة والعمل الأدبي بكامله.لذلك نجد أن النص عنده لا يتألف من الجمل، ولكنه يتحقق بواسطتها ويرجع السبب في ذلك حسب هاليداي إلى أن القارئ/المستمع يمكنه فك الشفرة النصية مادام النص وحدة دلالية، وهذه الوحدة هي أساس العمل الأدبي.

---

[1]-صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، دار الكتاب اللبناني المصري، بيروت-القاهرة،2004 م، ص229.

[2]-Halliday.M.A.K and ROUQUYA HASSAN ;**cohesion in english** ; London ;P12

[3]- محمد عزام:**النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، 2001 م، ص14.

ويري جوليا كريستيفا أنَّ النص: "جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان عن طريق ربطه بالكلام التواصلي، راميا بذلك إلى الإخبار المباشر، مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمعاصرة "[1].

يقول صلاح فضل: " النص عند جوليا كريستيفا،هو جهاز غير لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة، ذلك بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرا إلى بيانات مباشرة، تربطها أنماط مختلفة من الأقوال السابقة عليها والمتزامنة معها"[2].

المـــطلب الثاني: آليات وإجراءات تحليل النص من منظور تداولي

يعد المنهج التداولي من أحدث المناهج النقدية التي تناول الأصح استعملها أو استخدامها الباحثون في تحليل النصوص وفق الآليات التالية: المعيّنات وتمثل المعينات الإشارية التي تظهر مدى حضور المبلغ والسياق الزماني والمكاني، أما بقية المعينات في الخطاب فقد يطلق عليها (مبهمات) أو (متحولات)، وهي "العلامات اللغوية التي يحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي، لأنّها خالية من أي معنى في ذاتها[3]. لذلك سميت مبهمات أو متحولات، ورغم أن الكلمات في اللغة تحيل على مدلول معين، إلا أن المعينات توجد في المعجم الذهني للمتكلمين باللغة دون ارتباطها بمدلول معين.متضمنات القول، وأفعال الكلام، والاستلزام الحواري...، حيث يقوم هذا المنهج على دراسة استعمال اللغة في إطار العلاقة بين المتكلم والمخاطب.

وقد لاحظنا تباينا في الآراء، هل التداولية منهج أم مقاربة ؟

نجد عمر بلخير وهو يتحدث في مقال له بعنوان "إجراءات التحليل التداولي للخطاب" يقول: إنه لمن الممتع حقا، أن نحلل نصّا ما، ما بالوقوف على إجراءات المنهج

---

[1]-جوليا كريستيفا، **علم النص**، تر: فريد الزاهي وعبد الجليل ناظم، دار توبقال، المغرب، ط2، 1997م، ص22.

[2]- صلاح فضل،**مناهج النقد المعاصر**، دار افريقيا الشرق، 2002، المغرب/بيروت، ص127.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري:**استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، طرابلس، ط1، 2004م، ص80.

التداولي نظرا لما توفره لنا التداولية من إجراءات، بعدما استطاع منظرون أمثال أوستين وسيرل وجرايس وبنفيست، أن يفتحوا آفاقا جديدة وسُبلا واسعة في النظر إلى اللغة [1].

كما يرى رضوان الرقبي: أنّ "المنهج التداولي" هو مستوى تصنيف إجرائي في الدراسات اللغوية يتجاوز دراسة المستوى الدلالي، ويبحث عن علاقة العلامات اللغوية بمؤوليها، مما يبرز أهمية دراسة اللغة عند استعمالها، ومن ثم فإنّه يعنى بدراسة مقاصد المتكلم، وكيف يستطيع المرسل أن يبلغها في مستوى يتجاوز مستوى دلالة المقولة الحرفية، كما يعنى المنهج التداولي بكيفية توظيف المرسل للمستويات اللغوية المختلفة في سياق معين، حتى يجعل إنجازه ملائما لذلك السياق[2].

أما مصطلح المقاربة ففي اللغة يرجع معناه إلى: "الدنو والاقتراب، مع السّداد وملامسة الحق، فيقال: قارب فلان فلانا إذا دناه، ويقال قارب الشيء، إذا صدق وترك الغلو، ويقال قاربه مقاربة بمعنى حادثه بكلام حسن[3].فالمقاربة هي الطريقة، أو مجموعة من التصورات التي يتناول بها الباحث الموضوع سواء من ناحية تصور منهاج أو التخطيط له وتقديمه، ويستطيع الباحث أن يتناول النص الأدبي من منظور مقاربة تداولية.

إذ تكمن الصعوبة التي تعيق الباحث الذي يرغب في تطبيق التداولية على أي خطاب كان في ذلك الركام الكبير من المصطلحات والمفاهيم التي نشأت من مشارب ومنابع متفاوتة (لسانية وفلسفية وأنثربولوجية... إلخ)، وتداخلت على مستويات عديدة، جعلت الباحث يقف حائرا في أمره ويفتقد إلى نقطة بداية [4]، ينطلق منها لدراسة نصه أو خطابه، وقد حمل هذا الأمر، بعض الباحثين إلى إطلاق القمامة الإسبانية على التداولية، ولذلك دعا بعضهم إلى

---

[1]- عمر بلخير:**إجراءات التحليل التداولي للخطاب**،http://omarbelkher.wordpress.com.

[2]- رضوان الرقبي: **التداولية المفهوم والتصور**، صحيفة المثقف، ع4281،http://:allmoyhaqaf.com

[3]- لويس معروف:**المنجد في اللغة**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط19، 2010م، ص610.

[4]- طه عبد الرحمان: **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الملتقى الوطني لتحليل الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة تيزي وزو،16-17-18 ديسمبر 2002م، ص25.

محاولة وضع تصنيف منهجي لذلك الركام المعرفي والاصطلاحي، يسمح بمقاربة اللغة بإجراءات تكون أكثر فاعلية ونتائج التحليل أكثر فائدة ووجاهة.

سنقترح بعض الإجراءات، التي نعتقد أنّها ستختصر الطريق لكل من يقوم بتطبيق المنهج التداولي على الخطاب، مهما كان نوعه وطبيعته، من اللغة وعناصر السياق المرتبطة بالمتكلم والمخاطب وكل الظروف التي كانت سببا في نجاح العملية التواصلية[1] لفهم التداولية وتيسير إجراءاتها لتحليل الخطاب تحليلا سليما. وهنا يجب أن نقر أن التداولية بكل إجراءاتها ومفاهيمها، لا يمكن لها أن تقوم مقام البنيوية، بالرغم من نقائصها، لأن التداولية ما هي سوى زاوية من بين الزوايا الكثيرة التي ينظر بها إلى اللغة، وقد نجحت في سد العديد من الثغرات التي عجزت عن سدها النظريات اللسانية والنقدية والبنوية، فقد تحل التداولية محل البنيوية في العديد من المجالات لكن ليس في كلها.... وهذه الإجراءات هي:

1- القصـــــديــة:

تتعلق النقطة الأولى بالمتكلم وما يدور في خلده باستمرار أثناء إصداره لملفوظاته حيث يرتبط هذا المفهوم بكل ما من شأنه أن يحفز المتكلم[2]، على العملية التبليغية سواء تعلق ذلك بما تم التصريح به من ملفوظات أو لم يرتبط فمن الناحية المنهجية يلعب " القصد " دورا محوريا في تأويل الملفوظات والنصوص باعتبارها صادرة على شخص لا يصرح عن مقاصدها قليلا[3] . تقول آن روبول: "إنّه لمن تحصيل الحاصل أن نقول إن مفهوم الحالة الذهنية أو بمعنى أدق، القصد يشكل محور إنتاج وتأويل الملفوظات والخطابات.

انطلقت آن روبول: في منهجيتها لبناء نظرية تعتمد على القصد لتأويل الخطابات من تمييز " ويلسون" و " سبربر" [4]بين نوعين من المقاصد:

---

[1]- عمر بلخير: إجراءات في التحليل التداولي للخطاب، مقال، الفقرة 4.

[2]- نفسه،الفقرة ص 5.

[3]- نفسه.

[4]-AReboul , moscher.op.cit , P152.

أ- القصد الإخباري: يكمن في رغبة المتكلم في إظهار مجموع ما يصطلح عليه المخاطب.

ب- القصد التبليغي: وهو أن يعلن المتكلم صدقه بحقيقة قصده الإخباري فيمكن القول، انطلاقا من هذا التحديد، إن استراتيجية المؤول تكمن في التنبؤ بسلوكات الأشخاص بالوقوف على مقدمتين:

- الأولـــــى: تشير إلى أن الأشخاص هو عامل أو ذات عقلانية.
- الثـــــانية: وتشير إلى أن هؤلاء الأشخاص، هم نتاج معتقداتهم ورغباتهم وأحوالهم الذهنية [1].

هذا التمييز بين المقاصد الإخبارية والتبليغية، تميز روبول بين القصد المحلي "IntentionLocale"،الذي نجده على مستوى الملفوظات، و القصد التبليغي "Intentioncommunicative" المتواجد على المستوى التبليغي [2].

2- الاستراتيجيات التخاطبية.

وجب علينا في البداية الإشارة إلى نقطة في غاية الأهمية وهي أن الاستراتيجية التي يتبناها المتكلم في خطاباته، لابد أن تكون نتاج القصد وعليه تكمن غاية المتكلم أثناء مخاطبته للآخر في انسجام مقاصده بالأساليب التي يصوغ عليها ملفوظاته[3]، فإننا لا نستطيع التأثير في شخص آخر إذا لم تكن لدينا استراتيجية معينة يفرضها علينا المقام التبليغي ومختلف سياقاته[4].

حسب ميدان علم النفس الذهني فإنّه يحدد فهوم الاستراتيجية على أنّها تتابع لعمليات تعكس خيارات يتبناها الشخص بغرض الوصول إلى غايته قبل أن تتحقق، وبأسلوب فعال وغير مكلف، كأن يسعى المخاطب إلى إقناع الآخر بأحقيَّة تأويليه في قضية ما، وتختلف هذه الاستراتيجيات باختلاف العقبات والمعوقات، وباختلاف القدرات الذهنية للمتخاطبين أو كليهما[5].

---

[1] -Reboul A: Moeschler(1998) , la pragmatiquedu duscous.A , Mmandcalin , Paris.

[2]- عمر بلخير: إجراءات في التحليل التداولي للخطاب، الفقرة 5.

[3]- نفسه،الفقرة6.

[4]- نفسه،الفقرة7.

[5]- نفسه.

من هذه المعطيات كلها يمكن، يمكن أن نستنتج أن الاستراتيجيات هي من صميم الخيارات التي تتبناها الذوات المتخاطبة، سواء أكان ذلك بوعي أو بغير وعي، والغاية من ذلك هو تحقيق عمليات لغوية، وتخضع هذه العملية لمجموعة من العقبات التي تتشكل أو أعراف، ويضيف "شاردو" بعد تحديده للعمليات الإستراتيجية أنها تتمحور حول عدد من الرهانات منها رهان إضفاء الشرعية الذي يحدد سلطة المتكلم ورهان الصدق الذي يسعى إلى تحديد وضعية صدق المتكلم، ورهان الإشارة الذي تكمن الغاية منه في حمل الآخر على المشاركة في العملية التبادلية التبليغية انطلاقا مما يفكر فيه المتكلم[1].

3- الغـــــاية التـــأثيرية للعـــملية الخـــطابية

لا يمكن أن نتصور فعلا تبليغيا أينما كان،ومهما كانت طبيعته، يخرج عن الغاية التي سعى إليها المتخاطبون، فتجعل المتكلم يشد انتباه الجمهور الافتراضي بأسلوب يجعله يفهم الغاية من الخطاب أو الكلام المراد تبليغه، فهذه الغاية التأثيرية في الكلام تهدف إلى حمل الآخر على تأويل خطاب المتكلم بالصفة التي يريدها هذا الأخير، وهي الغاية التي تخضع أساسا لمقاصد المتكلم [2].هنا يمكننا القول بأن جميع الأفعال التبليغية وبدون استثناء ومهما بلغت درجة بساطتها أو تعقيدها، تسعى إلى تحقيق غاية معينة نسميها الإقناع أو التأويل أو التأثير أو الحمل عل القيام بفعل...أو جعل فلان يقول كذا أو يفعل كذا

وفي الأخير لا يسعنا القول أن التحليل لا يعدّ تحليلا تداوليا إلا إذا تناول الدارس كل الإجراءات التي جاءت بها التداولية، وذلك بربط انجازه اللغوي بعناصر السياق الذي حدث فيه، فمنها ما هو ذاتي مثل مقاصد المتكلم ومعتقداته، وكذلك اهتماماته ورغباته، ومنها أيضا المكونات الموضوعية؛ أي الوقائع الخارجية، مثل زمن القول ومكانه، وكذلك العلاقة بين طرفي الخطاب. وتساهم هذه العناصر في تحديد الدلالة عند المتلقي، إذ يعتمد عليها في تأويل الخطاب في سياق معين، كما يعين على معرفة أثر السياق في لغة الخطاب عند إنتاجه[3]. ويجب

---

[1] -D.Maingueneu pchareudeau.(2002) **dictionnaire: d'analyde du discoui** paris suit , P549.

[2]- عمر بلخير، المرجع السابق، الفقرة 9.

[3]- نفسه.

علينا أن نقر بأن أفضل إجراء لتحليل أي خطاب كان هو الأخذ بعين الاعتبار أن الخطاب، مهما كان مصدره أو طبيعته أو درجة تعقيده، لا يمكن أن يخرج عن الماهية التي من أجلها صدر وهي القصد، والنسق الذي يبنى عليه يخضع هو أيضا لهذا القصد الذي يحدد بدوره الغاية التي من أجله صدر الخطاب.

المـبحث الثالث:نظرية أفعال الكلامية في الدرس اللغوي الغربي

سنتعرض إلى نمط من التداولية، أطلق عليه اسم: "تداولية أفعال الكلام"، و مؤسس هذه النظرية هم الفيلسوفان الإنجليزي أوستين و سيرل، فهذه النظرية ذات فائدة كبيرة في البحث التداولي، خاصة بتركيزها على مفهوم السياق والمحيط وعلاقات الأشخاص، وهو الأمر الذي جاء ليهدم التصوّر التقليدي المرتكز على الجملة الخبرية المرتبطة بالصدق والكذب في دراسة المعنى، هذا ما جعلني أخصص لها حيزا واسع من هذا الفصل[1].

المـــــــطلب الأول: نظرية أفعال الكلام المباشرة "جون أوستين و سيرل "

تعد نظرية الأفعال اللغوية إحدى أهم النظريات الفلسفية اللغوية التي ظهرت في منتصف القرن العشرين في انجلترا، وهي وإن كانت اليوم تصنف ضمن موضوعات البحث اللساني الدلالي التداولي، فإن منشأها الأول على يد أوستن "Austin"، في أحضان الجدال والنقاش الفلسفي الذي ساد جامعة أكسفورد خلال الأربعينيات من القرن العشرين حول صلاحية اللغة العادية، باعتبارها أداة للتعبير عن القضايا الفلسفية والمنطقية، هذا النقاش الذي جاء كرد على متزعمي الدعوة إلى أطروحة اللغة المثالية[2].

هكذا جاءت نظرية أفعال الكلام لجون أوستن، لتجسد موقفا مضادا للاتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعي؛ الذين دأبوا على تحليل معنى الجملة مجردة عن سياق خطابها اللغوي،

---

[1]- عماري محمد: **مبادئ التداولية في التراث العربي (نظرية الخبر والإنشاء نموذجا)**، بحث معد لنيل درجة دكتوراه العلوم في علوم اللغة، جامعة باتنة 1، 2016-2017م.

[2]- رضوان الرقبي: **النظرية التداولية (المفهوم والتصور2)**،صحيفة المثقف، ع4943، الأربعاء 18-03-2020 م.

إضافة إلى ما وصفه أوستن بالاستحواذ أو التسلط المنطقي؛ القائل بأن الجملة الخبرية هي الجملة المعيارية، وما عداها من أنماط مختلفة للجملة هي مجرد أشكال متفرعة عنها[1].و الحديث عن أفعال الكلام يؤدي بالضرورة إلى التطرق إلى مساهمات كل من"أوستين " وتلميذه " سيرل "، الذي اتخذ من جهود سلفه " أوستين " نقطة انطلاق في بناء نظريته، إذ أن مرحلة التأسيس لنظرية الأفعال الكلامية يمثلها الفيسلوف اللغوي " أوستين"، أما مرحلة البناء لنظرية الأفعال الكلامية يمثلها تلميذه " جون سيرل ".

1- جـــــهود " جون أوستين " في نظرية أفعال الكلام:

ما يميز التصور الجديد النظر إلى اللغة ذات وظائف متعددة هذا، التصور ذو البعد التداولي في اللغة العادية والطبيعية، ومن مؤسسي مدرسة أكسفورد هو الفيلسوف واللغوي "جون أوستين"، هذا الفيلسوف الذي كتب كتاب سمَّاه:" HOW TODOTHINGS WITH WORDS"، كيف نفعل بالقول أو كيف نفعل الأشياء بالأقوال أو ما شابه من الترجمة، هو المؤسس للنظرية المعروفة بـ: " نظرية أفعال الكلام"، حيث تعد هذه النظرية فاتحة اللسانيات التداولية. وتصور أوستين كان كالتالي:

يرى أنّ الإنسان حينما يحاول التعبير عن أغراضه لا يُنتج فقط أقوالا ذات بنيات نحوية وألفاظ معينة، بل إنّه بذلك يُنتج أفعال مخصوصة.فالإنسان عندما يتكلم لا يتكلم فقط كلام، نقول له هذا مجرد قول بل إنّ تكلُّمه وكلامه "فِعل" ينتج أفعال وليس أقوال فقط.أي: "إن قولنا شيئا ما يعني أننا قد تصرفنا أو فعلنا شيئا ما أو على وجه آخر إن النطق بشيء ما هو حصول تعلق المفعولية؛إذ التصرف يحتاج في حدوثه إلى النطق "[2]. فالفعل الذي ينتجه الإنسان بالقول مثله مثل جميع الأفعال التي يقوم بها الإنسان في حياته.

---

[1]- رضوان الرقبي: المرجع السابق.

[2]- جون لانكشو أوستين:**نظرية أفعال الكلام العامة**، تر: عبد القادر قينيني، المغرب،إفريقيا الشرق، ط2008،2م، ص 123.

وعليه فالفعل الكلامي عند أوستين هو:" التصرف الاجتماعي المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام كالأمر والنهي وغيرها والتي تعتبر أغراضنا تواصلية ترمي إلى صناعة الفعال ومواقف اجتماعية أو فردية ومن هنا فاللغة ليست أداة للتواصل ولا رموز للتعبير عن الفكر بل هي أداة لتعبير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه"[1].

وقد ميز أوستين بين نوعين من الأقوال:[2]

إنَّ معارضة أوستين لآراء فلاسفة اللغة الذين اعتبروا الأقوال الوصفية هي أقوال لا معنى لها، ولا يوجد داع لدراستها حيث أطلق مفهوم "الوهم الوصفي" لأنها حصرت اللغة في الجمل الوصفية فقط، جعل أوستين يقسم الأفعال الكلامية في البداية إلى قسمين:

أ- الأفعال الإخبارية: وهي أفعال تخبر عن الوقائع في العالم الخارجي، ولها خاصية أن تكون صادقة أو كاذبة، وآثر أن يعدل عن تسميتها أفعالا وصفية (descriptive) لأنه ليس كل ما يقبل الصدق و الكذب وصفيا[3]. وهذا ما أشار إليه محمود نحلة في قوله: " أنها جمل تخبر عن وقائع العالم الخارجي وهي توصف بالصدق أو الكذب فقولنا مثلا: الشمس تشرق من الشرق فعل إخباري يتأكد صدقه لمطابقته للواقع وقولنا الأرض ثابتة لا تدور فعل إخباري كاذب لأنه

---

[1]- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 10-11.

[2]- يتمثل النوع الأول في تلك الأقوال التي تصف حالا معينا لشيء أو شخص... ويسميها: "الأقوال التقريرية"، وقد سماها العرب بالأساليب الخبرية، وهي "أن الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، سمي كلاما خبريا، والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع. أما أما النوع الثاني من الأقوال فهي لا تصف ولا تخبر ولا تمثل ولا هي خاضعة لمعيار التصويب، إن ميزتها الأساسية تكمن في أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع، ويسميها أوستين: الأقوال الإنشائية.(راجع عبد السلام هارون (1981):**الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، ط 3، مكتبة الخانجي،القاهرة، ص 13).

[3]- عبد الله حسن طودي: **التركيب الخبري (أنماطه ووظائفه بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية)**، إشراف: د.محي الدين عثمان محسِّب، جامعة الملك سعود، نوفمبر 2007م، ص56.

مخالف للواقع "[1]. هذا وعرض أوستين في محاضرته الرابعة من كتابه "كيف ننجز الأفعال بالأقوال " ضرورة توفر مبدأين أساسين لتحقيق الحكم في العبارة الخبرية:

– المـــبدأ الأول: مفاده أن صدق الجملة الخبرية التالية مثلا: "أنه يركض الآن"، يستلزم أن يكون هناك على الأقل شخص ما موصوف بحال إركض في الوقت الحالي[2]. ذلك أن إثبات الحكم في هذه القضية يستلزم صدق رؤية المتلفظ بها لشخص معين وهو في حالة الركض.

– المـــبدأ الثاني: يقوم على عدم تناقض العبارة الخبرية امتثالا لضرورة استيفاء مناط الحكم في العبارات الخبرية[3].فمثلا التلفظ بالعبارة التالية: " حلق أبناء جون رؤوسهم جميعهم "، فإنّه يقتضي الحكم فيها أن يكون للمدعو "جون" على الأقل طفلين، إذ ليس صحيحا أن يصبح ل "جون" طفل واحد ثم نقر مع ذلك أنّ له "أبناء حلقوا رؤوسهم كلهم ". إذا فإثبات الحكم في القضايا الخبرية يقضي بعدم الوقوع في التناقض مع مرجعها الإحالي (الواقع الحقيقي)، وأنّ اللزوم وعدم التناقض مبدآن يحققان إيجاب الحكم في كل قضية خبرية[4].

ب– الأفـعال الأدائية: هي عبارة عن أفعال يؤديها المتكلم بقوله،وهي أفعال كلامية لا توصف بالصدق أو بالكذب، وإنما تكون موفقة إذا راعى المتكلم شروط أدائها، أو تكون فاشلة إذا لم يراع شروط الأداء. والأفعال الأدائية مصطلح للأساليب الإنشائية عند أوستين[5].

ويقول محمود نحلة في أن الأفعال الإنشائية: " هي التي ينطق بها المتكلم إذا أنجز فعلا عكس النوع الأول الذي ينفي عنها الصدق والكذب"[1]. ويقصد بالنوع الأول هنا الأفعال الإخبارية.

---

[1]– محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر، ص79.

[2]– أوستين:نظرية أفعال الكلام العامة، ص 75.

[3]–نفسه، ص76.

[4]– الحسين أخدوش:**نظرية أفعال اللغة لدى الفيلسوف أوستين**، أسسها وحدودها الفلسفية،21أكتوبر 2016م، ص19.

[5]– عبد الله حسن طودي: التركيب الخبري (أنماطه ووظائفه بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية)، ص56.

وقد نفى وصفها بالصدق والكذب وأكد أن هذه الأقوال يمكن لها أن تنجح أو تخفق، وهي أفعال لا تصف الواقع ويحكم عليها بمعيار هي النجاح والتوفيق والإخفاق ويسمى أوستين هذه الأقوال ب:"الأقوال الإنشائية".

ووضع أوستين شروطا لتحقق الأفعال الإنجازية سماها شروط الملائمة وهي كالتالي[2]:

- حصول الاتفاق والمواضعة بصدد العبارات التي يتلفظ بها.
- مناسبة الظروف المحيطة بعملية التلفظ بالعبارات الإنشائية، وكذلك وجوب اعتبار مناسبة الأشخاص المعنيين بالتلفظ.
- ضرورة إلمام المتكلمين بقواعد التلفظ على الوجه الصحيح.
- وكذلك على الوجه الكامل والتام.

يطلق أوستين ضروب الإخفاق التي تطال العبارات الإنشائية على سوء تطبيق هذه الشروط الأربعة وذلك لاستحالة تأدية المعنى بالكلام من دون أن يستوفي مقتضيات صلاحية الاستعمال التي تمثلها هذه الشروط [3]. وعليه يمكن القول أن أوستين في المرحلة الأولى:(معيار الصدق والكذب)،يشمل الجملة الوصفية فقط، فهي صادقة إذا كانت المطابقة حاصلة بينها وبين ما تصفه، وكاذبة إذا كانت غير ذلك. أما الجمل الإنجازية: (تخضع النجاح والفشل)، وبالاستناد إلى هذا المعيار نميز بين نوعين من الجمل الإنجازية:"الجمل الإنجازية ذات القيد القوي، والنوع الثاني الجمل الإنجازية ذات القيد الضعيف، فالأولى تعرف بأنها تلك التي تخضع في إنجازها لعادات ثقافية محددة، ومثالها "أنت طالق" فلكي تكون ناجحة يجب أن يكون المتلفظ بها الزوج، وأن يكون ذلك أمام عدلين، أمّا النوع الثاني: فإنه لا يخضع لقيود ثقافية مثل: "أوصي بما أملك لابني الأكبر"، فنجاح هذه العملية مرتبط بكون مفهوم الوصية متعارف

---

[1]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ص44-45.

[2]- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ص49.

[3]- نفسه، ص50.

عليه داخل الجماعة اللغوية " [1]. إذ أنَّ الفعل المنجز عبر إنشاء لفظ معين، ميز أوستين فيه بين ثلاثة أفعال[2]:

– الفـــعل التعبيري: هو إنشاء تعبير لغوي ذي معنى، الذي يعتبر فعل اللفظ الأساس، ويتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي ينتج عنه معنى محدد أصلي.

– الفـــعل الوظيفي أو الإنجازي: تصاغ الألفاظ لتؤدي وظيفة، وينجز الفعل الوظيفي عبر قوة اللفظ التواصلية، فالإنجاز هو المعنى الإضافي الذي يكمن خلف المعنى الأصلي.

– الفـــعل التأثيري: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع[3].

ويمكننا تلخيص ذلك بتحليل هذا القول[4]: إن لم تتعلم سأهجرك.

إن فعل الكلام إنما هو إنتاج هذه الجملة في حد ذاته، أما الفعل الإنشائي فيتمثل في التهديد أو التحذير، في حين أن الفعل التأثيري يتعلق في هذه الحال، باستثارة الخوف أو العدوانية أو التصميم على التعلم...(وهو نتيجة للفعل الانشائي[5]).

لذلك نجد أن أوستين وجه اهتمامه إلى الفعل الإنجازي الذي يعد جوهر أفعال الكلام بل أصبحت تدعى نظرية الأفعال الإنجازية أو النظرية الإنجازية وذلك كله لأنّه يرتبط بمقصد المتكلم وعلى المتلقي بذل جهد للوصول إلى مفهومه فهو يحاول فك شفرة الكلام داخل الاستعمال

---

[1]–العياشي أدراوي: **الاستلزام الحواري**، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، المغرب، ط1، 2001، ص83-84.

[2]– عطية سليمان أحمد:**الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية**، الأكاديمية الحديثة للكتاب، جامعة السويس، دط، 2014م، ص176.

[3]– سامي شهاب: التداولية وصلتها باللسانيات البنيوية والسيميائية، ص84.

[4]– عمر بلخير:**تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي**، جامعة تيزي وزو الجزائر، الجزائر، 13-03-2012.

[5]– يشترط أوستين في تحقيق الفعل الإنشائي عامل القصد: والمقصود بذلك هو أن الفعل الإنشائي الذي يصدر عن شخص، يرفض، في قرارة نفسه، دلالته، يعتبر فعلا غير متحقق، فإذا قال شخص معزيا شخصا آخر: إنا لله وإنا إليه راجعون وهو لا يشعر بأي أسف نحو ذلك الشخص، فلا نقول إن فعل التعزية قد تحقق، لأن المتكلم قد يقصد أشياء أخرى وراء تلفظه بصيغة التعزية. (راجع ما سبق لعمر بلخير:تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي).

فيقول: ماهو موجود بالقوة إلا ونجده موجود فعلا وبناء على الأفعال الإنجازية. كما أدرك أن الفعل القولي لا ينعقد الكلام إلا به، وأنَّ الفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعا، فمنها مالا تأثير له في السامع أو المخاطب، ومن ثمَّ كان "الفعل المتضمن في القول" عنده أهمها جميعا فوجّه اهتمامه حتى أضحى محور هذه النظرية [1].وهذا الفعل المتضمن في القول أو الفعل الإنجازي له خصائص، أهمها [2]:

- إنَّه فعل دال.
- إنَّه فعل إنجازي(أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).
- إنَّه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا).

2- تصنيف أوستين للأفعال الكلامية:

اقترح أوستين تصنيفا أوليا للأفعال الكلامية وهذا التصنيف هو نفسه لم يكن راضيا عنه وهذا يتجلى في قوله: "فإني أمير خمسة أصناف أو فئات عامة، وإن كنت مع ذلك غير مسرور ولا راض عن أية واحدة منها " [3].

واستنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية، قام أوستين بتصنيف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف خمسة وهي [4]:

أ- الحكميات: تتمثل في الحكم، نحو التبرئة، الإدانة، الفهم، إصدار أمر، الإحصاء، التوقع،التقويم، التصنيف، التشخيص، الوصف، التحليل،...

---

[1]-محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص69.

[2]-مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، ص44.

[3]- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص186.

[4]- فيليب بلا نشيه: التداولية من أوستين إلى غوفلمان، ص62.

وبالتالي فهي ناتجة عن إصدار حكم في المحكمة سواء كان ذلك الحكم من هيئة قضائية أم من محكم تختاره الأطراف أم من محكم (في الملعب مثلا)، ويتعلق الأمر في جميع الحالات بإصدار حكم حول شيء ما [1].

ب- التنفيذيات: وتقضي بمتابعة أفعال مثل: الطرد، العزل، التسمية، الاتهام، التوصية، الانتقالية، التوسل، الفتح أو الغلق... ويبدوا هذا القسم فسيحا جدا، ما يميّز الأعمال المندرجة في الصنف الأول (الحكميات) عن الأعمال المندرجة ضمن الصنف الثاني (التنفيذيات) كون التنفيذيات هي أعمال تنفيذ أحكام ولكنها ليست في حد ذاتها حكميات.

ج- الوعديات: إن الوعديات تقوم بإلزام المتكلم بالقيام بتصرف بطريقة ما، مثل: الوعد والموافقة والتعاقد والعزم والنية و القسم والإذن والتفضيل.

د- السلوكيات: وهي أفعال أعمال تتفاعل مع أعمال الغير، نحو الاعتذار والشكر و التهنئة والرأفة و النقد والتصفيق والترحيب و الكره والتحريض.

هـ- العرضيات: وهي أفعال تختص بالعرض مثل: التأكيد، والنفي والوصف والإصلاح و الذكر والمحاجة والقول والتأويل والشهادة والنقل والتوضيح والتفسير والتدليل والإحالة.

ويمكن تلخيص الفعل الكلامي كالآتي:

الفعل الكلامي الكامل = فعل القول +الفعل المتضمن في القول + الفعل الناتج عن القول

ولفهم العبارة السابقة يمكن الاستناد على القول التالي: "إن لم تتعلم سأهجرك" فإن فعل الكلام هو إنتاج هذه الجملة في حد ذاته.أما الفعل الإنشائي فيتمثل في التهديد أو التحذير. في حين أن الفعل التأثيري يتعلق في هذه الحال باستثارة الخوف أو العدوانية أو التصميم على التعلم [2].

3- جهود "جون سيرل " في إحكام نظرية أفعال الكلام (منطق الإنجاز):

---

[1]-أوستين: **نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات**، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 1991م، ص174.

[2]- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص158.

لقد كانت جهود أوستين مركز انطلاق أو نقطة إقلاع لتأسيس نظرية أفعال الكلام حيث أكمل الباحث سيرل مساعي وأفكار أوستين حين حدد مفهوم الفعل الإنجازي الذي عُدّ مفهوما محوريا في نظرية أفعال الكلام، وأحكم الأسس المنهجية التي تقوم عليها لكن الفعل يعود لأوستين بالرغم من أنّه لم يستطيع أن يحقق ما سعى إليه من وضع نظرية متكاملة الأفعال الكلامية، ويمكن تلخيص جهود سيرل في النقاط التالية [1]:

أ- نص سيرل على الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللّغوي، وأن للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية، ويبين أن الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه لجملة معينة يكون باستعماله لصيغة معينة تدل على دلالة معينة، كالأمر أو النهي أو التنغيم.

ب-الفعل الكلامي عنده مرتبط بالفرق اللغوي والاجتماعي، وهو أوسع من أن يُقتصر على مراد المتكلم.

ج- طور سيرل شروط الملائمة وجعلها أربعة وهي على التوالي:

- **شروط المحتوى القضوي:** وهو الذي يقتضي فعل في المستقبل يطلب من المخاطب، كفعل الوعد.
- **شروط التمهيدي:** يتحقق الشرط إذا كان المخاطب قادرا على انجاز الفعل، والمتكلم على يقين بالقدرة.
- **شرط الإخلاص:** ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل فلا يقول غير مايقصد ولا يزعم أنَّه قادر على فعل مالا يستطيع.
- **شرط الأساسي:** ويحقق من خلال محاولة المتكلم التأثير في السامع للقيام بالفعل وانجازه حقا.

[1]- جيلالي دلاش:**مدخل إلى اللسانيات التداولية**، ت: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،1992 م، ص25.

د- قد فرق أوستين بين الأفعال اللفظية والأفعال الإنجازية وفرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأولية جاء سيرل فميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير مباشرة [1]:

-الأفعال المباشرة:

انطلق سيرل من مبدأ فلاسفة اللغة العادية القاتل بأن القول هو العمل[2]. لأن القول باعتباره شكلا من السلوك الاجتماعي، وهذا يعني انجاز أربعة أفعال في الوقت نفسه وهي: فعل القول، فعل الإسناد، فعل الإنشاء، فعل التأثير، فأمَّا القول هو الذي يتمثل في التلفظ بكلمات وجمل ذات بنىرتكيبية صرفية ونحوية، أمَّا فعل الإسناد فهو الذي يقوم بربط الصلة بين المرسل والمرسل إليه، وأما فعل الإنشاء فهو القصد المعبر عنه في القول الذي قد يكون تحذيرا، أو تهديدا، أو وعدا، أو أمرا، وأمَّا الفعل التأثيري فيكمن في محاولة المتكلم التأثير على السامع ولكن دون أن ننسى دور المستمع الذي يريد الوصول إلى مقاصد المتكلم باعتماده على جميع العناصر المفصلية للتواصل [3].

فالفعل المباشر عند سيرل هي الأقوال التي تتوفر على تطابق بين معنى الجملة ومعنى القول، أو تطابق المعنى مع القصد [4].

- الأفعال الغير مباشرة:

فيها ينتقل المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وهي أفعال تحتاج إلى تأويل لإظهار قصدها الإنجازي كالاستعارة والكناية "إذ تجير المستمع من الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يسنده المتكلم في قوله"[5].

---

[1]- عطية سليمان أحمد: الإشهار القرآني والمعنى العرفاني، ص182.

[2]- محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص44.

[3]- المرجع السابق، ص50.

[4]- جيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص29.

[5]- نفسه، ص50.

4- تصـــــنيف ســـــــيرل للأفعال الكلامية:

أعادسيرل النظر في تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية فبين مافيه من ضعف و قدم تصنيفا بديلا[1]، حيث حاول أن يحصر الأفعال الكلامية في اللغة في خمسة أصناف رئيسية تقوم على ثلاث أسس منهجية، فأما الأسس الثلاثة فهي[2]:

أ- الغرض الإنجازي.

ب- اتجاه المطابقة.

جـ- شرط الإخلاص (الصدق).

أمـــــا الأصـــــناف الخـــمسة فـــهي [3]:

أ- الإخباريات أو التمثيلات (التقريريات): والهدف الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية[4].

ب- التوجيهيات (الطلبيات): والهدف المتضمن في القول للتوجيهات هو أن المتكلم يسعى إلى أن يجعل المخاطب يقوم بشيء ما واتجاه المطابقة من العالم للكلمات والموقف الموافق لشرط النزاهة هو الرغبة، والمحتوى القضوي هو أن المخاطب يجب أن يفعل شيئا ما.

جـ- الوعديات: الهدف المتضمن في القول للوعديات هو التزام المتكلم بتحقيق عمل ما واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، ويتعلق شرط النزاهة بالقصد، والمحتوى القضوي هو أن المتكلم سيقوم بشئ ما.

---

[1]- محمد مدور: **نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، الجزائر،غرداية، العدد 16،2012م، ص51-52.

[2]- محمد أحمد نحلة:آفاق جديدة البحث اللغوي المعاصر، ص49.

[3]- خالد ميلاد:**الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية**، جامعة منوبة، تونس، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001 م، ص504.

[4]- محمد مدور: نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة، ص51.

د- التعبيريات (الإفصاحيات، البوحيات): الهدف المتضمن في القول للتعبيريات هو التعبير عن الحالة النفسية التي يخصصها شرط النزاهة بالنسبة إلى حالة الأشياء التي يخصصها المحتوى القضوي، وتخلو التعبيريات من اتجاه المطابقة، وصدق القضية المعبر عنها صدق محتواها.

هـ- الإيقاعيات (التصريحيات): هي الاعمال التي في بداية نظرية الافعال الكلامية ضمن صنف الإنشائيات (الإنشاء غير الطلبي بالمفهوم التراثي البلاغي)، وتستلزم مؤسسة غير لغوية، ومنازل خاصة لكل من المتكلم والمخاطب، واتجاه المطابقة مزدوج فهو من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات،والغرض منها إحداث تغيير في العالم الخارجي.

إن ماقدمه لنا أوستين وأكمل مسيرته فيه سيرل، يعد بعدا جديدا للنظر في اللسانيات الحديثة التي ترى اللغة ليست مجرد قواعد نحوية، تحلل وحدات مكونة لجمل تسمى بالتراكيب، كما يرى تشومسكي ومدرسته، بل هي وسيلة تواصل بين البشر الذين يستخدمونها ليل نهار، ولهذا انصب اهتمامها على الجانب التواصلي في اللغة، وهو استخدامها لتحقيق هذا التواصل، فكان ما رأينا من تعريف أوستين لهذا العمل بأنّه عملية تواصلية ويقصد بها:"دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل، فالمعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع وحده إنّما في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي،ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما [1] فالتداولية تدرس الدلالة في علاقتها بمواقف فعل الكلام[2] ".[3]

[1]- محمود أحمد نحلة: المرجع السابق، ص14.

[2]- جيوفري ليتش:**مبادئ التداولية**، ت: عبد القادر قنيني، إفريقيا، الشرق، الدار البيضاء،2013م، ص24.

[3]- عطية سليمان أحمد:الإشهار القرآني والمعنى العرفاني، ص178.

وضع عباس حشاني مخططا يوضح فيه تصنيف الأفعال كما صنَّفها "جون أوستين John Austin" و " جون سيرل John Searle "[1]:

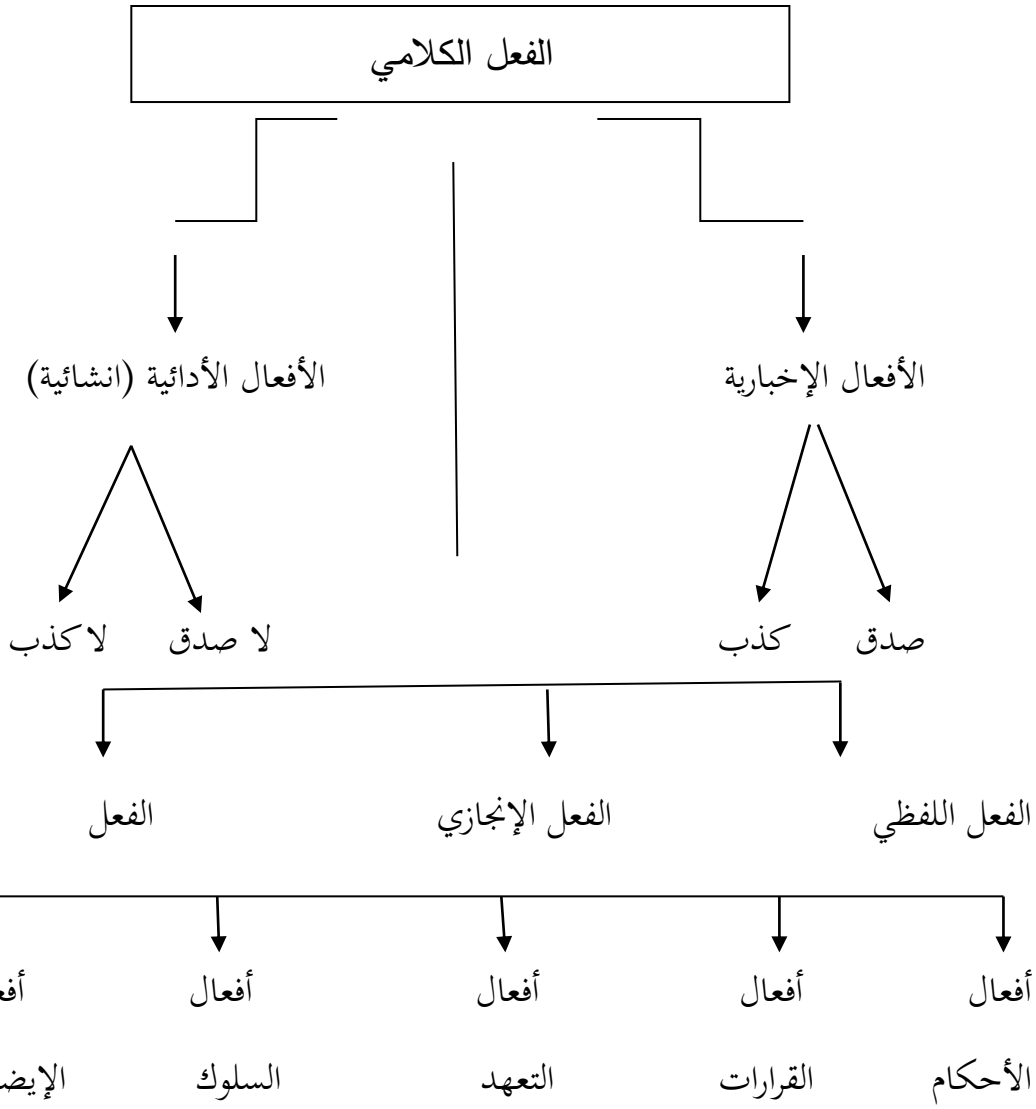

المطلب الثـــاني:الفعل اللغوي غير المباشر "بول غرايس"

إنَّ مقال "غرايس" (1975م) مثل بداية لتناول ظاهرة الفعل الكلامي غير المباشر، فإذا كانت أعمال "أوستين" ركزت على إنجازية الأفعال المباشرة من خلال المعنى الحرفي الذي يكشف عن

[1]- عباس حشاني:**خطاب الحجاج والتداولية –دراسة في نتاج ابن الأدبي**، عالم الكتب الحديث، ط1،2013م، ص266.

المقاصد، فإن جهود "سيرل" ركزت بالأساس على الجانب المرتبط بأفعال اللغة المباشرة وغير المباشرة، أمّا غريس" فانطلق من خلال اعتقاده أنَّ الفعل اللغوي المباشر لا يمثل حلا لمشكل المعنى، ورأى:" من خلال الأمثلة التي عرضها أنّ تأويل جملة ما غالبا ما يتجاوز كثيرا الدلالة التي بالمواضعة " [1].

عليه يمكن عد أعمال "غرايس وسيرل" تطويرا لنظرية الأفعال الكلامية بعد " أوستين "، للإشارة فإن الفعل اللغوي غير المباشر من الظواهر التي تصدى لها الفلاسفة التحليليون، وأكدَّوا على أنّ هذه الظاهرة لا يمكن أن تهمش في إطار النظرية اللغوية بالنظر إلى أنّه يلاحظ وجود احتمال تأويلين دلاليين للجملة يمكن حسب المقام الذي أنجزت فيه أن تقوم بفعلين لغويين: فعل لغوي مباشر (دلالة لغوية مباشر)، فعل لغوي غير مباشر (دلالة لغوية غير مباشرة)، لأنّه عادة ما توجد في اللغة جمل تحتمل تأويليين دلاليين[2]:

- تأويلا دلاليا يطفو على سطح الجملة، وتدل عليه قرائن لفظية.
- تأويلا دلاليا لا يطفو عل سطح الجملة، ولا توجد قرائن لفظية تدل عليه.

وقد أشار بول غرايس إلى هذه الظاهرة في بعض محاضراته، واصطلح على تسميتها بظاهرة: الاستلزام الحواري " Conversational implicature"،التي ميز من خلاله بين القوة الإنجازية الحرفية التي نستدل عليها من خلال الخصائص البنيوية للمقال كصيغة الفعل الإنجازية والتنغيم وبعض الأدوات كأدوات الاستفهام والنهي...، وبين القوة الإنجازية المستلزمة التي تدرك من خلال الطبقات المقامية أو السياقية بصفة عامة [3].

1- ماهية الاستلزام الحواري ونشأته:

[1]- آل ريبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل اليوم علم جديد في التواصل، ص55.

[2]- العياشي أدراوي:**الاستلزام الحواري**، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، المغرب، ط2011،1م، ص96.

[3]- يحي بعطيش:**نحو نظرية وظيفية للنحو العربي**، أطروحة دكتوراه دولة، إشراف عبد الله بوخلخال، جامعة منتوري(قسنطينة)، ص156.

إنَّ ظاهرة الاستلزام التخاطبي حديثة المعالجة، يرجع البحث فيها إلى المحاضرات التي ألقاها غرايس في جامعة هارفارد سنة 1967م بعنوان: (المنطق و التخاطب)، ومحاضرات 1971م بعنوان: (الافتراض المسبق و الاقتضاء التخاطبي)[1] وقد ابتكر غرايس مصطلح الاقتضاء "implicature"، والفعل "imlicate"، واشتقه من الفعل" imply"بمعنى يتضمّن، أو يستلزم، وقد اشتق من الفعل اللاتيني " plicare" بالمعنى نفسه [2].

وينطلق غرايس من فكرة أن جمل اللغة تدل في أغلبها على معان صريحة، وأخرى ضمنية تتحدّد دلالتها داخل السياق الذي وردت فيه، هذه الظاهرة سماها غرايس (الاستلزام الحواري)[3]أو (نظرية التخاطب) أو (نظرية الاقتضاء)[4] ويتمثل مفهوم نظرية غرايس كما مرّ سابقا في بحثنا:" أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، ويقصون أكثر مما يقولون وقد يقصدون عكس ما يقولون"[5]. وبالتالي نلاحظ اهتمام غرايس بما يعرف بالقول وما يعرف بالقصد، أما القصد هو ما أراد المتكلم إيصاله للسامع من خلال تأويله الذهني، بينما القول هو ما أشار إليه تركيب النص حرفيا.

يمكن أن نوجز مفهوم الاستلزام التخاطبي، بأنّه: " عمل المعنى، أو لزوم الشيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل: – إنَّه شيء يعنيه المتكلم، ويوحي به، ويقترحه، ولا يكون جُزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية " [6]. وقد لاحظ غرايس أنّ بعض الأقوال تبلغ أكثر مما يدّل عليه مجموع الكلمات التي تكوّن الجملة، ويُسمّي غرايس هذا الجانب من دلالة الأقوال الذي يَفلِتُ عن شروط الصدق استلزاما خطابيّا. ويتعيّن انطلاقا من هذا أن نفهم أنَّ المتكلم يجعل سامعه

---

[1]– صلاح إسماعيل: نظرية المعنى في الفلسفة بول غرايس، ص16.

[2]– المصدر نفسه: ص78.

[3]– مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص33.

[4]– بول غرايس: نظرية المعنى في الفلسفة، ص 78.

[5]– محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر، ص33.

[6]– نفسه، ص 78.

يدرك من الدلالة ما يفوق المعنى الحرفي للجملة[1]. وبهذا يحمل الخطاب معنيين، معنى صوري يتحدد من خلال تركيب الجملة أو القول، ومعنى ثان، وهو المقصود من القول، ويحدد عن طريق عملية الفهم والتأويل.

2- الدلالة الطبيعية والدلالة الغير طبيعية:

يذهب غرايس إلى أنّ المعنى صنفان هما[2]: " المعنى الطبيعي والمعنى الغير طبيعي".

ويقارن أمثلة من قبيل "يشير منبه الحافلة إلى الانطلاق " وتدل البثور المنتشرة على جلد زيد على أنَّه يعاني من مرض جلدي " بأمثلة من قبيل أن يقول زيد لعمرو: " غرفتك زريبة خنازير "، فإنه يقصد أن غرفة عمرو وسخة وغير مرتبة وتوافق الأمثلة الأولى الدلالة الطبيعية في ظواهر وضعت في علاقة مع أعراضها أو نتائجها، وتوافق الأمثلة الثانية "الدلالة الغير طبيعية " فهي صلة قائمة بين محتويات يريد القائلون إبلاغها،والجمل التي استعملوها لإبلاغها "[3]، وقد أوضح غرايس مفهوم الدلالة الغير طبيعية بقوله: " أن تقول إن القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معينة، فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه، بفضل فهم هذا المخاطب لنيته "[4].

وبهذا نلاحظ أن جرايس اهتم بالدلالة غير الطبيعية لكونها ترتبط بمقاصد المتكلمين، وما يدور في أذهانهم أثناء كلامهم، سواء ظهر ذلك بشكل صريح أو لم يظهر[5].

---

[1]- زينب عادل محمود الشِّمري:**قواعد التخاطب اللِّساني في معاني القرآن للفرَّاء(ت207هـ)**، جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية، العدد 32،2017م، ص422.

[2]- عبد القادر البار:**الاستلزام الحواري وديناميكية التخاطب في مفهوم جرايس**، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح (ورقلة)، العدد 14/جوان 2018م، ص120.

[3]- آل روبول جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص53.

[4]- المرجع السابق، ص53.

[5]- عبد القادر البار: الاستلزام الحواري وديناميكية التخاطب في مفهوم جرايس، ص120.

3- المبدأ العام التي تبنى عليه نظرية "الاستلزام الحواري ":

لقد كان ما يشغل غرايس هو كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ ثم كيف يكون ممكنا أيضا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر؟ وقد وجد حلاّ لهذا الإشكال فيما أسماه مبدأ التعاون[1] تتجسد فكرته في مساهمة المتكلمين وتحكمهم في المبادلة الخطابية، وبالتالي تحقيق التعاون بين أطراف الحوار في سياق محدد وتحقيق نوعا من الانسجام، وهو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة قواعد فرعية أو كما يسميها مسعود صحراوي بالمسلمات الحوارية وهي:[2]

أ- مبدأ القدر أو الكم:(**Maxim of quantity**)

اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه فيقول المتكلم ماهو ضروري بالقدر الذي يضمن تحقيق الغرض.

ب- مبدأ الكيف: (**Maxim of quality**)

لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه، فالمحاور لا ينجح في حواره بما يراه كذبا أو غير إقناعي وبما لا يستطيع البرهنة عليه لأنه يضعف حجته.

جـ- مبدأ الطـريقة:(**Maxim of mannuer**)

كن واضحا ومحددا وأوجز، ورتب كلامك، فيجب تجنب الإبهام واللبس والاضطراب في الترتيب والخلل المنطقي في الحوار.

د- مبدأ المناسبة: (**Mxim of relation**)

اجعل كلامك مناسبا للموضوع، فيجب أن يكون الكلام مناسبا لسياق الحال، وهو السياق البرجماتي، فيجب أن تكون المشاركة في موضوع الحوار مناسبة ومفيدة.

هذه هي القواعد التي يتحقق بها التعاون بين المتكلم والمخاطب وصولا إلى حوار مثمر. وينبغي هنا الأولى التنبيه إلى أمرين:

---

[1]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33-34.

[2]- محمد عكاشة:النظرية البرغماتية اللسانية (التداولية)، ص91-92.

أحدهما: أن بعض الباحثين رأى في مبدأ التعاون تعبيرا عن فردوس الفلاسفة " Philosopher's Paradise " الذي لا يمت إلى الواقع بصلة فهو يرى الناس جميعا متعاونين، صادقين، مخلصين، واضحين، وليس من الممكن ولا المشاهد أن يتحدث الناس على هذا النحو كل حين، بل إن أغلب أنواع الحوار الذي يدور بين البشر يخالف هذا المبدأ.والحق أن الرجل لم يقصد بمبدأ التعاون الحواري ما عجل هؤلاء إلى فهمه، بل كان يقصد أن الحوار بين البشر يجري على ضوابط وتحكمه قواعد يدركها كل من المخاطب والمتكلم [1]، ولكي نوضح ذلك نسوق الحوار الآتي بين زوج (أ) وزوجة (ب):

أ- أين مفتاح السيارة ؟

ب- على المائدة.

والظاهر أن مبدأ التعاون والمبادئ الحوارية التي يتفرع إليها متحققة كلها في هذه المحاور القصيرة، لقد أجابت الزوجة إجابة واضحة (الطريقة)، وكانت صادقة (الكيف) واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون أن تزيد (الكم) وأجابت إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال زوجها (المناسبة)، ولذلك لم يتولد عن قولها أي استلزام،لأنها قالت ماتقصد[2].

ثانيها: أن الرجل لم يغب عنه أن المبادئ التي يجري عليها الحوار كثيرا ما تنتهك بل إن النظرية كلها قائمة على ذلك، فانتهاك مبادئ الحوار " Flouting of maxims" هو الذي يولِّد الاستلزام،مع ملحظ شديد الأهمية هو الإخلاص لمبدأ التعاون، بمعنى أن يكون المتكلم حريصا على إبلاغ المخَاطَب معنى بعينه، وأن يبذل المخَاطَب الجهد الواجب للوصول إلى المعنى الذي يريده المتكلم، وألا يريد أحدهما خداع الآخر أو تضليله[3].

---

[1]-Levinson ,S.C: (1983): **Pragmatics** , Cambridge University Press , P102.

[2]-Thomas, J, (1996):**Meaning in Interaction ,An Introduction to Pragmatics , Longman** London and New York , P64.

[3] -Brown ,G, & Yule , G.(1998): **Discourse analysis**. Cambridge University Press.P.32.

وعلى ذلك إذا انتهك المتكلم مبدأ من مبادئ الحوار أدرك المخاطب اليقظ ذلك وسعى إلى الوصول إلى هدف المتكلم من هذا الانتهاك. وسنضرب الآن الأمثلة التي توضح ذلك [1]:

1-(في حوار يجري بين أم (أ) وولدها (ب))

أ- هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة.

ت- اغتسلت.

في هذا الحوار خرق أو انتهاك لمبدأ الكم لأن الأم سألته عن أمرين فأجاب عن واحد وسكت عن الثاني، أي أن إجابته أقل من المطلوب. ويستلزم ذلك أن تفهم الأم أنه لم يضع ثيابه في الغسالة، وأنه لم يرد أن يجيب بنعم حتى لا تشمل الإجابة شيئا لم يقم به ولم يرد أن يواجهها بتقاعسه عن وضع ثيابه في الغسالة[2].

4- طبيعة الاستلزام الحواري وأهم خصائصه:

إن نظرية الاستلزام الحواري تقوم على انقسام الحمولة الدلالية للعبارة إلى معان صريحة ظاهرة، وأخرى ضمنية تفهم دلالتها من خلال السياق التي وردت فيه.ومن هنا يعتبر غرايس أن الدلالة اللغوية للعبارة تنقسم إلى معنيين: معاني صريحة ومعاني ضمنية[3]،ومن هنا يمكن القول بأن الاستلزام الحواري هو المعنى الثاني لا يصرّح به المتكلم، ولكنّه يظهر من خلال عملية التأويل والفهم.

وبهذا يحمل الخطاب معنيين، معنى صوري يتحدد من خلال تركيب الجملة أو القول، ومعنى ثان، وهو المقصود من القول، ويحدد عن طريق عملية الفهم والتأويل.

أ- المعـــــاني الصريحة:

[1]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص36.

[2]-Lyons , J , (1996): **Linguistic Semantics.An Introduction**.Cambridge University Press ; P278.

[3]- أحمد المتوكل:**اللسانيات الوظيفية مدخل نظري**، منشورات عكاظ،(الرباط، المغرب)، دط،1987م، ص24-25.

هي المعاني المستخلصة من الصيغة الحرفية للجملة ذاتها (معاني مباشرة) ويندرج تحت هذا الصنف من المعاني:

– المحتوى القضوي: يتمثل في معاني مفردات (الصيغة الحرفية للجمة).

– القوة الإنجازية الحرفية: المتمثلة في القوة الإنجازية المتضمنة في الجملة والمؤشر لها بصيغة الاستفهام، الأمر، النهي.

ب– المعـــاني الضمنية:

هي المعاني التي تفهم انطلاقا من السياق الذي ترد فيه (المعنى المستلزم) فالسياق هو الذي يقوم بتحديد دلالاتها، ويندرج تحتها صنفان من المعاني:

– معاني عرفية: هي المعاني المرتبطة بالجملة والتي لا تتغير حتى ولو تغير سياق الجملة ويواكبها نوعان من المعاني الاقتضاء والاستلزام المنطقي.

– معاني حوارية أو سياقية: وهي المعاني التي تتولد طبقا للسياقات التي تنجز فيها الجملة ويواكبها نوعان من المعاني قام "جرايس" بتسميتها بالاستلزام الحواري الخاص وهو عبارة عن المعاني الناتجة عن سياق خاص، والاستلزام العام وتندرج تحته المعاني التي لم تعد مرتبطة بطبقة مقامية معينة، ويسمي غرايس الانتقال من المعنى الأول (الخاص) إلى المعنى الثاني (العام) ب: "تحجر القوة الإنجازية المستلزمة"[1].

[1]– أحمد المتوكل:اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص26.

ويمكننا تلخـيص هذه المعـاني ضمن المخطط الموالي [1]:

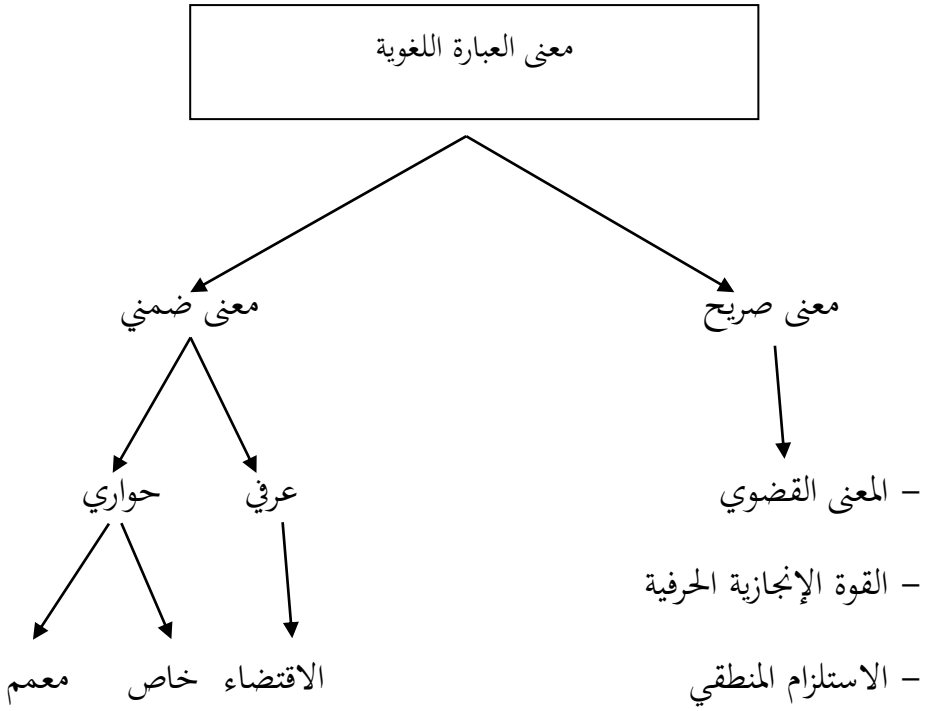

(الشكل أ):مخطط توضيحي للحمولة الدلالية للعبارة اللغوية.

وللاستلزام الحواري عند "غرايس "خواص تميزه عن غيره من أنواع الاستلزام الأخرى[2]:

-الاستلزام ممكن الغاؤه: ويكون بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه،فإذا قالت قارئة لكاتب:(لم أقرأ كل كُتُبكَ)، فقد يستلزم ذلك عنده أنّها قرأت بعضها، فإذا أَعقبت كلامها بقولها: (إنِّي لم أقرأ أيَّ كتاب منها) فقد ألغت ذلك الاستلزام.

- الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي: فالاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يقال لا بالصيغة اللغوية التي قيل فيها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى تُرادفها. فإن أخبرت أُخت أختها قائلة: (لا أُريدكِ أن تصعدي لغرفتي على هذا النحو)،فقالت

[1]- أحمد المتوكل: المرجع السابق، ص25.

[2]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص 39-41.

الأخرى:(أنا أمشي على أطراف أصابعي خَشيةَ أن أُحدث ضوضاء). فعلى الرَّغم من تغيُّر الصياغة في قول الأخت الثانية فإنّ ما يستلزمه القول من عدم الرضا من هذا السلوك لا يزال قائما.

– الاستلـــزام متغير: والمقصود بالتغير أنَّ التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، فإذا سألت طفلا يحتفلُ بيوم ميلاده مثلا: (كم عمرك؟)فهو طلب للعلم، وإذا سألتَ السؤال نفسه لصبي عمرهُ خمسة عشر عاما فقد يستلزم السؤال مؤاخذة له على سلوك لا تراه عنه.

– الاستلزام يمكن تقديره: والمراد به أنَّ المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتَّجهُ بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام، فإذا قيل مثلا:(الملكة فكتوريا صُنِعت من حديد) فإنَّ القرينة تُبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي، فيبحث عمَّا وراء الكلام من معنى، فيقول لنفسه: إنَّ المتكلم لا يريد بي خداعا ولا تضليلا وهو ملتزم بمبدأ التعاون، فلا بدَّ من أنّه يريد أن ينزع من الملكة بعض صفات الحديد كالصلابة والمتانة وقوة التحمّل، وهو يعرفُ أنّني أستطيع أن أفهم هذا المعنى غير الحرفي، فلجأ إلى هذا التعبير.

محصول القول أنّ الغرض الرئيسي من هذه المبادئ التي أسسها "غرايس": هو تحقيق الفعالية القصوى لتبادل المعلومات بين أطراف المحاورة، أي تحقيق تواصل مثالي وشفاف،ويتجاوز مجالها التبادل الكلامي إلى مختلف المعاملات الأخرى كتقديم المساعدة على سبيل المثال.ويعد احترام المبادئ السابقة، ولاسيما مبدأ التعاون الذي لا يمكن خرقه في المحاورة، وفي كل عملية تواصلية تفاعلية بمثابة تعاقد مواز لمجال الخطب، ويؤدي خرق إحداهما، مما يقود إلى استنباش وتولد ما يسمى عند "غرايس" ب:" الاستلزام الحواري"[1].

لقد أراد "غرايس" لهذه القواعد أن تكون ضابطا للمخاطب من أجل بلوغ الغاية في الوضوح، وترسّم "للمشاركين ما يجب عليهم أن يقوموا به، لكي يتم التخاطب بالطريقة المثلى

[1]– حسن بدوح: **المحاورة مقاربة تداولية**،عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1، 2012م، ص162، وينظر: العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص102.

من التعاون والعقلانية والفعالية.بالطبع هذا لا يعني أن يتبعوا القواعد المذكورة حرفيا في كل الأوقات (...) بل المقصود من ذلك أنه حتى عندما لا يجاري التخاطب ما ترسمه القواعد المذكورة، يظل السامع يفترض، خلافا للظاهر، أن المتكلم مازال يأخذ بهذه القواعد، ولو على مستوى أعمق، حتى يتسنى له التوصل إلى معنى ما " [1].

نتـــــائج الفصل الأول:

لقد خلصنا في هذا الفصل الأول على عدة نتائج يمكن أن تكون خطوة منهجية مهمة في تقدم التحليل، من ذلك، أن التداولية في تعريفها العام غير مستقرة على تحديد واحد، وعلى خلاف ما قد يبدو أن هذا جانب سالب قد يسبب ضعفا نظريا في اتصال المقدمات المفهومية بالنتائج النظرية، فإنه يظهر للباحث أن عدم الاستقرار على تعريف واحد يمنح إمكانات واسعة للفهم والتحليل وتتبع الدلالات المختلفة للمفهوم من جهة، وتوسيع إمكانات تطبيقها على النصوص من جهة أخرى. وقد ترتب عن هذه النتيجة استنتاجٌ آخر هو أن التداولية تركز على اللغة في الاستعمال، والبنيات اللغوية في مفهومها ليست إلاقوالب لحفظ معاني يتم استخدامها في سياقات تداولية معينة، وفائدة هذه النتيجة ستكون كبيرة في تقدم تحليل آيات الأحكام في سورتي البقرة والتوبة، بمعنى أن ربط التداولية باستعمال اللغة لتوليد المعنى في سياقات محددة، يحيل على ضرورة تفسير آيات الأحكام في السورتين كلما دعى الاستعمال لذلك، وكلما تجدد السياق.

[1]- عادل فاخوري:**الاقتضاء في التداول اللساني (بحث)**،أستاذ بقسم الفلسفة –جامعة الكويت- عالم الفكر، مجلد20، عدد3، 1989م، ص146.

الفصل الثاني:

تحليل آيات الأحكام تداوليا في سورتي

(البقرة–التوبة)

يحاول هذا الفصل الثاني من البحث مساءلة المفاهيم التداولية، والقرارات المنهجية والنظرية التي تحدث عنها الفصل الأول. وهو بذلك يُخضع النظري لمحك التجربة على نص من نصوص العربية هو القرآن الكريم. إن تطبيق المنهج التداولي على القرآن الكريم يكتسي طابعا مختلفا عن تطبيقه على النصوص العربية الأخرى، وذلك راجع بالأساس إلى نقطتين؛ قدسية القرآن الكريم، وتعاليه عن التأويلات التي لا تتسق مع مقاصد الشريعة، ثم غياب التفاعل اللحظي بين المرسل والمرسل إليه كما يقتضيه كل سياق تداولي، ويجعل هذا الباحث أمام مرسل قال كل شيء "ما فرطنا في الكتاب من شيء" في لحظة زمنية دقيقة، والمفسّر يسعى للتأويل منذ تلك النقطة إلى قيام الساعة وفق الأدوات المنهجية المتوفرة. غير أن هذا لا يمنع من استنفاذ الدلالات الكامنة في القرآن عموما، وفي سورتي البقرة والتوبة، وآيات الأحكام المالية والتعبدية موضوع التطبيق خصوصا. إن سورتي البقرة والتوبة تتضمنان آيات كثيرة للأحكام الشرعية؛ وبهدف الوصول إلى الدقة في التحليل والاستنتاج سيقتصر هذا الفصل التطبيقي على آيات الأحكام المالية والتعبدية فقط في التحليل. وعلى هذا الأساس، ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين، ويضمن كل منهما عدة مطالب، أما المبحث الأول؛ فهو يسعى للتعريف بسورتي البقرة والتوبة كما هو محدد في علوم القرآن والتفسير، وأما المبحث الثاني؛ فيهدف إلى دراسة الأبعاد التداولية في آيات الأحكام المالية والتعبدية انطلاقا من السورتين.

المبـــحث الأول: التعريف العام بالسورتين

قبل الحديث عن السورتين نشير إلى أن هذا الجزء التطبيقي من بحثنا، يعد جزءا أساسيا أو نظرية رئيسة في اللسانيات التداولية التي باتت من أحدث النظريات اللسانية في الوقت المعاصر وهي نظرية "الأفعال الكلامية"؛ بنيت على يد "فيتغنشتاين" وطورها كل من اللغويين الانجليزيين "أوستين" وتلميذه "سيرل" وواصل تطويرها غيرهم من المنظرين –كما أسلفنا الذكر في الجزء النظري من بحثنا بالتفصيل –، والتي تقضي بأن كل كلام يترتب عنه فعل منجز في الواقع،وسنحاول في هذا الجزء إثبات إمكانية تجسيد المفاهيم الإجرائية لهذه النظرية، وذلك من خلال تطبيقها على بعض الآيات من القرآن الكريم، لتبيين مدى إعجازه وعظمته ومواكبته لكل التطورات والمستجدات المعاصرة في الدراسات اللغوية و اللسانية الحديثة .فلم

تعُد قيمة الملفوظات في مدى صدقها أو كذبها بل بالقبول أو عدمه، كما أقرّ أوستن "بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز فعل لغوي واحد على الأقل"[1]،أي أن هناك فعلا على الأقل منجزا متزامنا مع الملفوظ المستعمل في العملية التواصلية، ومن ثَّم قسم "أوستين" أفعال اللغة إلى ثلاثة أنواع كما أشرنا سابقا هي: فعل القول، والفعل المتضمن في القول والفعل الناتج عن القول،وقد ميّز بين نوعين من الجمل هي:الجمل التقريرية والجمل الإنشائية [2].حيث فرّق بين ما هو تقريري وما هو إنشائي فحدّد الأولى بأنها تنقل حقائق الكون كما هي في الواقع، يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، بينما الثانية لا تصف الكون، ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب بل تنجز أفعالا، تمتاز بأنها تستند إلى ضمير المتكلم في زمن التلفظ، كما أنها تتضمن أفعالا مثل: أمر، وعد، أقسم... كما قدّم خمسة أنماطا مختلفة للفعل الإنجازي حسب قوتها الإنجازية، سواء كانت صريحة أو ضمنية وهذا ما اعتمدنا عليه في تصنيفنا لآيات الأحكام.

وعليه فأفعال الكلام هي أفعال نتلفظ بها على نظام شكلي ذي دلالة ننجز من خلالها فعلا يؤثر على المتلقي وهي أيضا نشاط مادي يعتمد أفعالا قولية لتحقيق أغراض كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض أو القبول، ومن ثم فهو فعل تأثيري أي يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا، ومن ثم انجاز شيء ما، والفعل التأثيري هو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع.

المـــــــطلب الأول: التعريف بسورة البقرة

هي أطول سورة في القرآن الكريم، وتُعتبر أول سورة نزلت في المدينة المنورة، ونزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى-" فقد ثبت في الصحيحين، عن ابن مسعود رضي الله عنه:"أنه ﷺ رمى جمرة من بطن الوادي، فجعل البيت عن يساره، و منى عن يمينه، ثم قال:(هذا مقام الذي

[1]- آن ريبول، جاك موشلار: التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، تر: سيف الدين دغفوس وآخرون، ص 31.

[2]- نفسه، ص 31.

أنزلت عليه سورة البقرة)"-[1]، وهي من السور العظيمة والتي تُعتبر ذات الثواب العظيم، عدد آياتها 286آية، ولها الكثير من الفضل في قراءتها، وهي السورة الثانية بعد الفاتحة بحسب ترتيب المصحف العثماني، وتبدأ بحروف "الم"، وتم ذكر لفظ الجلالة فيها أكثر من 90 مرة، و يتخللها آية الدين، والتي تُعتبر هي أطول آية في القرآن الكريم، وتُعتبر سورة البقرة أيضاً من السور التي تُعالج الكثير من قضايا المجتمع وتعمل على تنظيمه وتشريع القوانين الخاصة به، وهي التي يحتاجها المسلمون في حياتهم.

1- أســـماء السورة:

"سميت هذه السورة بعدة أسماء، منها السنام، الذروة،والزهراء. أما تسميتها بالاسمين الأولين، فلقوله ﷺ:(البقرة سنام القرآن وذروتة، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا) (رواه أحمد وغيره)،وأما تسميتها الزهراء، فلقوله:(اقرؤوا الزهراويين: البقرة وسورة آل عمران) (صحيح مسلم:804)"[2].

أما تسميتها باسم البقرة بسبب ذكر قصة بقرة بني إسرائيل فيها، بيد أننا نجد سببا أعظم دلالة من هذا السبب، ألا وهو كون القصة دالة على حال بني إسرائيل مع أوامر الله تعالى،وتعنتهم وتشددهم، وتمنعهم من تلقي أمر الله تعالى، وهذا في غاية المناسبة لسورة البقرة، التي تضمنت تربية المؤمنين على تلقي شريعة الله تعالى، ولذلك تضمنت السورة كليات الشريعة وأصولها، فكان الاسم شعار للمؤمنين، ليحذروا من التشبيه بأصحاب البقرة "[3]. وقد قال الزركشي: "وتسمية سورة البقرة بهذا الاسم، لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها "[4].

---

[1]- وليد مهدي،**بغية السائل من أوابد المسائل**، دار العراف، 27-06-2018، ص444.

[2]- وليد مهدي: المرجع السابق، ص444.

[3]- بحث مقاصد السور القرآنية،**مقاصد سورة البقرة**،13-03-2016، ar.islamay.net

[4]- أبو عبد الله محمد الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 02-02-2007، ص156.

2- سبب نزول السورة:

لمعرفة أسباب النزول أهمية في الوقوف على المعنى، إذ لا يمكن معرفة تفسير الآيات إلا بالوقوف على أسباب نزولها، يقول الزركشي في فوائد معرفة أسباب النزول:" وأخطأ من زعم أنّه لا طائل تحته، لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك، بل له فوائد منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها: الوقوف على المعنى...، وهكذا أنّه قد يكون اللّفظ عاما، ويقوم الدليل على التخصيص"[1].

نزلت آيات سورة البقرة مُتفرّقةً، ولكل آية أو مجموعة من الآيات سبب خاصّ لنزولها، لهذا كل آية سنقوم بدراستها لاحقا نذكر سبب نزولها.

3- مـــــحتوى السورة وفضلها[2]:

هذه السّورة أطول سور القرآن، ومن المؤكد أنّها لم تنزل مرّة واحدة بل في مناسبات عديدة، حسب متطلبات المجتمع الإسلامي في المدينة. وتتميز بشمولها لمبادئ العقيدة ولكثير من الأحكام العملية (العبادية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية)، ففي هذه السّورة[3]:

- موضوعات حول التوحيد ومعرفة الخالق، عن طريق استنطاق أسرار الكون.
- جولات في عالم المعاد والبعث والنشور مقرونة بأمثلة حسيّة، مثل قصّة إبراهيم (عليه السلام) وإحياء الطير، وقصّة عُزير (عليه السلام).
- آيات ترتبط بإعجاز القرآن وأهمية كتاب الله العزيز.
- سرد مطوّل حول وضع اليهود والمنافقين ومواقفهم المعادية للقرآن والإسلام وشدّة ضررهم فيهذا المجال.
- استعراض لتاريخ الأنبياء، وخاصة إبراهيم وموسى (عليهما السلام).
- بيان لأحكام إسلامية مختلفة مثل: الصلاة، والصوم، والجهاد، والحج، والقبلة، والزواج

---

[1] - البرهان في علوم القرآن، مرجع نفسه ، ج1، ص22.

[2] - https://www.hodaalquran.com

[3] - علي هاني العقرباوي: **محور سورة البقرة**، عمان الأردن . 10/شعبان/1440هـ، 2019/4/15م.

والطلاق، والتجارة والدَّين، والربا، والإنفاق، والقصاص، وتحريم بعض الأطعمة والأشربة، والقمار، وذكر نبذة من أحكام الوصية وأمثالها..

وأختم هذه الكلمات بما جاء في فضل هذه السورة، فقد قال رسول الله: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر،إنّ الشيطان ينفر من البيت التي تقرأ فيه سورة البقرة " [1] وقال رسول الله أيضا: اقرأوا سورة البقرة، فإنّ أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة "[2] أي السحرة.

المـــــــــطلب الثاني: التعريف بسورة التوبة

نزلت هذه السورة الكريمة في السنة التاسعة من الهجرة في المدينة المنورة، وهي من أواخر ما نُزل على رسول الله ﷺ من القرآن الكريم، مدنية ما عدا الآيتان 128، 129 فمكيتان، عدد آياتها 129 آية، وهي من السور المئين وهي الوحيدة في السور المدنية.

1- أسماء السورة:

سميَّت هذه السورة بأسماء عديدة أوصلها بعض المفسِّرين إلى أربعة عشر اسما،قال الزمخشري: "لها عدّة أسماء: (براءة، والتوبة، والمقشقشة، والمبعثرة، والمشردة، والمخزية، والفاضحة، والمثيرة، والحافرة، والمنكِّلة، والمدمدمة، وسورة العذاب)، لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه، وتبعثر أسرار المنافقين، وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها، وتفضحهم، وتنكل بهم، وتشردهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم"[3].

أما عن سبب تسميتها بسورة التوبة، فقد ذكر العلامة الشيخ الزمخشري في قوله سابقا أنّها سميت بذلك لأنّ فيها التوبة على المؤمنين، وتبعه ابن عاشور بقوله: "وتسمى سورة التوبة

---

[1]- رواه مسلم، كتاب المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته و جوازا ها في المسجد (539/1)(ح779).

[2]- أخرجه مسلم:(الرقم 804).

[3]- الزمخشري، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج3، دار المعرفة، 1430هـ-2006م، ص5.

في كلام بعض السلف في مصاحف كثيرة، ووجه التسمية: أنّها وردت فيها توبة الله تعالى على الثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك، وهو حدث عظيم"[1].

أما القوني بقول في هذا: "والمراد من التوبة الكائنة في السورة إما بمعنى قبول التوبة، أو توفيق التوبة وهما: صفاته تعالى، أو بمعنى الرجوع عن المعصية إلى الطاعة التي وصف بها العبد والكل مذكور فيها.

وعن سبب تسميتها في بعض المصاحف بالتوبة،وفي بعضها الآخر براءة قال ابن عاشور: " ووقع هذان الاسمان معا في حديث زيد بن ثابت، وفي صحيح البخاري، في باب جمع القرآن، قال زيد: فتتبعت القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري: حتى خاتمة سورة براءة،وهذان الاسمان هما الموجودان في المصاحف التي رأيناها "[2]. إلا أن اسم التوبة كان هو الغالب، فرأيت أن أسير على ماسارت عليه أغلب المصاحف خاصة المصحف العثماني.

2- سبب عدم ابتداء السورة بالبسملة [3]:

المتتبع للسور القرآنية يجد أنها قد افتتحت بعد البسملة، إما بحمد الله تعالى أو تسبيحه، أو بالحروف المقطعة يتبعها تعظيم الله تعالى أو بيان عظمة آياته، أو بيان وجه من وجوه الإعجاز، أو بنداء الملاطفة، أو قَسم أو خبر للتذكير أو التنبيه أو الإخبار عن شيء أو غير، بخلاف سورة التوبة، التي لم تنزل بالبسملة، ولم تبدأ بما بدأت به غيرها و[4]. ذلك للأسباب التالية:

---

[1]- ابن عاشور:**تفسير التحرير والتنوير**،ج10، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1984م،ص95.

[2]- نفسه، ص94.

[3] - **أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية"** ، حسن عبدالله طه الخطيب، بحث مقدم استكمالا للحصول على درجة الماجيستر في التفسير و علوم القرآن ، الجامعة الاسلامية ، غزة، 1429ه-2008م ، ص11.

[4]- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص267.

أ– سبب توقيفي، فعن يزيد الفارسي قال: سمعت ابن عباس قال: لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى براءة وهي من المئين، وإلى الأنفال وهي من المثاني، فجعلتموها في السبع الطوال ولم تكتبوا بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم" قال عثمان: كان النبي لما تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له ويقول له: "ضع هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"، وتنزل عليه الآية والآيتان فيقول مثل ذلك، وكانت الأنفال من أول ما نزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها. فمن هناك وضعتهما في السبع الطوال، ولم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم".

ب– حرمان المنافقين من الأمان والرحمة، (فعن محمد بن الحنفية): قلتُ لأبي: لم تكتبوا في براءة "بسم الله الرحمن الرحيم"؟ قال: "يا بني إن براءة نزلت بالسيف، وإن بسم الله الرحمن الرحيم أمان". وسئل سفيان بن عيينة عن هذا؟ فقال: "لأن البسملة رحمة، والرحمة أمان، وهذه نزلت في المنافقين").

جـ– ونقل عن قتادة، "قوله: هما سورة واحدة "، فهي سورة مستقلة عن الأنفال وترك التسمية في هذه السورة لا مدخل لرأي أحد فيه، وإنما هو الوحي، وليس المقصود ها هنا إلا إظهار صفة القهر الناتجة عن الوعيد والتهديد والعذاب، وهذا لا يتناسب مع آية الرحمة "البسملة".

د– من خلال سورة التوبة وهي من آخر ما نزل من القرآن الكريم، حض الله جلّ في علاه على القتال والجهاد أيما حضَّ فيها فكان قوله: ﴿ فَإِذَا انسلَخَ الأَشْهر الْحرم فَاقْتُلُواْ الْمشْرِكِين حيثُ وجدتُّموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ﴾ (التوبة:5)،وبيَّن محاسن الجهاد في أولها، فقال: ﴿قَاتِلُوهم يعذِّبهم الله بِأَيدِيكُم ويخْزِهِم وينصركُم علَيهِم ويشْفِ صدور قَومٍ مؤْمِنِين *ويذْهِب غَيظَ قُلُوبِهِم ويتُوب الله علَى من يشَاء والله علِيم حكيم ﴾(التوبة:14)، وشجع على قتال كافة المشركين كما يفعلون، فقال: ﴿وقَاتِلُواْ الْمشْرِكِين كَآفَّةً كَما يقَاتِلُونَكُم كَآفَّةً ﴾ (التوبة:36)، فسورة التوبة تمثل الحرب الضروس من أولها لآخرها على المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، ومعلوم أن "بسم الله الرحمن الرحيم" فيها البركة والرحمة والأمان، والموقف الجهادي لا يتطلب رحمةً على الكافرين والمنافقين.

هـ- أراد الله أن يحرم المنافقين من هذه البركة الذين خذلوا رسول اللهﷺ في مواقف كثيرة، فلا أمان لهم، ولا رحمة أو بركة؛ بل البراءة منهم هو العنوان.

3- سبب نزول السورة:

سبب نزولها فقد قال المفسرون: أنّ العرب أخذت تنقض عهودا بنتها مع رسول الله ﷺ فأمره الله تعالى بإلقاء عهودهم إليهم،فأنزل براءة في سنة تسع فبعث رسول الله أبا بكر أميرا على الموسم،ليقيم للناس الحج في تلك السنة، وبعث معه صدرا من براءة، ليقرأ ها على أهل الموسم،فلما سار، دعا رسول الله ﷺ عليا، فقال: اخرج بهذه القصة من صدر براءة،وأذن في الناس بذلك، فخرج علي على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر فرجع أبو بكر، فقال: يا رسول الله أنزل في شأني شيء، قال: لا ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني، أما ترضى أنك كنت صاحبي في الغار،وأنك صاحبي على الحوض، قال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر أميرا على الحج وسار علي ليؤذن [1].

4- هدفها العام و فضلها:

قال ابن عاشور: "افتتحت السورة كما تفتتح العهود وصكوك العقود بأدل كلمة على الغرض الذي يراد منها، كما في قولهم: هذا ما عهد به فلان، وهذا ما اصطلح عليه فلان وفلان، وقول الموثقين: باع، أو وكّل، أو تزوّج، وذلك هو مقتضى الحال في إنشاء الرسائل والمواثيق ونحوها". وبالفعل فإن هذه السورة ابتدأت حديثها بإعلان البراءة من أفعال الكافرين، وأعلنت المفاصلة بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الإيمان وأهل الشرك، وأهل الإسلام وأهل النفاق "[2].

هذا من حيث فاتحة السورة، وتحديد هدفها العام، أما فضلها فإنّ القرآن كلّه خير، وتلاوته خير وتفسيره خير، والتأمّل في عظمة كلام الله -سبحانه وتعالى- علم وخير، وقد جاء في فضل سورة التوبة، وتحديدًا في فضل الدعاء الذي اختُتِمَتْ به سورة التوبة في الآية الأخيرة، "وقد ورد

---

[1]- السيد المرعشي:**شرح إحقاق الحق عن تفسير الثعلبي المخطوط**، ج 3،ص 430.

[2]- ابن عاشور الطاهر:تفسير التحرير والتنوير، ص102.

في فضل الآيتين الأخيرتين من هذه السورة ما رواه أبو داود موقوفاً وابن السني عن أبي الدرداء مرفوعاً، قال: قال رسول الله ﷺ :من قال: حين يصبح وحين يمسي:﴿حسبيَ الله لا إلهَ إلاَّ هو عليهِ توكَّلتُ وهو ربُّ العرشِ العظِيم﴾[1] سبع مرات، كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة ".

المـــبحث الثاني: آيات الأحكام في سورتي البقرة والتوبة(دراسة في ضوء المنهج التداولي)

المـــــطلب الأول: البعد التداولي للإشـــاريات في سورة البقرة والتوبة.

نتناول في هذا الجزء الإشاريات في سورة البقرة وسورة التوبة . وهي تداوليا تندرج ضمن الدرجة الأولى، حيث تهتم بدراسة العناصر اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلاّ في سياق الخطاب وهي أنواع: الإشاريات الشخصية، والإشاريات الزمانية، و الإشاريات المكانية وقد تطرقنا لكل عنصر بالتفصيل في الجزء النظري من بحثنا.

وسنورد بعض آيات الأحكام كصور لذلك :

1- في ســـــــــورة البقرة:

أ- الإشـاريات الشخصية:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿215﴾﴾

وردت الإشاريات الشخصية في الضمير المتصل للفعل (يسألونك)، " فهنا استئناف ابتدائي لابتداء جواب عن سؤال سأله بعض المسلمين للنبيﷺ " [2]، وتقدير الكلام: يسألك – أيها النبي- المسلمين ماذا ينفقون والمعنى: أن السائل يسأل رسول الله ﷺ عن نوع المال الذي ينفقه، "لأنّهم كانوا في الجاهلية ينفقون على الأهل وعلى الندامى وينفقون في الميسر، يقولون

[1]- (التوبة: الآية129)

[2]- ابن عاشور الطاهر:تفسير التحرير والتنوير،ج2، ص317.

فلان يتمم أيساره أي يدفع عن أيساره أقساطهم من مال المقامرة ويتفاخرون بإتلاف المال "[1]، لذلك جاء تعبير هذه الآية بهذا الشكل ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾، "وفي الجواب بيّنت الآية نوع الإنفاق، ثم تطرقت أيضا إلى الأشخاص المستحقّين للنفقة" [2]—سنتطرق لهذا الجزء بالتفصيل في النقاط القادمة من بحثنا-، ففي الآية أمر بالإنفاق على هؤلاء والترغيب فيهم.

ب- الإشـــاريات الـــزمانية:

في قوله تعالى::﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴿197﴾﴾

لفظة:﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ**﴾ إشارة زمنية تدل على زمن العبادة أثناء الحج، وقد حددها بهذه الصيغة ليدرك المتلقي أنها الفترة التي يكون فيها موسم تأدية شعيرة الحج،" والمراد بهذه الأشهر: شوال، ذو القعدة، ذو الحجة (شهر ذي الحجة بكامله أو العشرة الأوائل منه) وهذه الأشهر تسمى (أشهر الحج) لان قسما من أعمال الحج والعمرة لا يمكن الإتيان به في غير هذه الأشهر، وقسما آخر يجب الإتيان به في اليوم التاسع إلى الثاني عشر من شهر ذي الحجة، والسبب في أنَّ القرآن الكريم لم يصرح بأسماء هذه الأشهر لأنها معلومة للجميع و أكّد عليها القرآن الكريم بهذه الآية، ثم إن هذه الآية تستنبط نفيا لأحد التقاليد الخرافية في الجاهلية حيث كانوا يستبدلون هذه الأشهر بغيرها في حالة حدوث حرب بينهم فيقدوا ويؤخروا منها كيفما شاؤوا، ونزلت هذه الآية لأنه في الجاهلية كانوا يستبدلون هذه الأشهر بغيرها في حالة حدوث حرب لبينهم فيقدّموا ويؤخروا منها كيفما شاءوا [3] "، فالقرآن هنا يبين أنّ هذه الأشهر معينة ولا يصح التقديم والتأخير فيها.

جـ- الإشـــاريات المكانية:

---

[1]- نفسه، ص317.

[2]- الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،**الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، ج2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1434هـ- 2013م، ص431. (بتصرف)

[3]- الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص399. (بتصرف)

في قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴿115﴾﴾

الآية تختص بأمر الصلاة، وترشد العباد إلى أن يتوجهوا في عبادتهم إلى ربهم حيثما كانوا، لقوله تعالى:﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾، الشاهد في قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: " الفاء رابطة لجواب الشرط؛ و﴿ثَمَّ﴾ اسم إشارة يشار به للبعيد؛ وهو ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم؛﴿ وَجْهُ﴾مبتدأ مؤخر؛ والجملة من المبتدأ، و خبره في محل جزم جواب الشرط.قوله تعالى: ﴿تُوَلُّوا﴾أي تتجهوا؛ ﴿فَثَمَّ﴾ أي فهناك؛ والإشارة إلى الجهة التي تولوا إليها؛ و﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾: اختلف فيه المفسرون من السلف، والخلف، فقال بعضهم: المراد به وجه الله الحقيقي؛ وقال بعضهم: المراد به الجهة: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يعني: في المكان الذي اتجهتم إليه جهة الله عز وجل؛ وذلك؛ لأن الله محيط بكل شيء؛ ولكن الراجح أن المراد به الوجه الحقيقي؛ لأن ذلك هو الأصل؛ وليس هناك ما يمنعه؛ وقد أخبر النبي ﷺ أن الله تعالى قِبَل وجه المصلي، والمصلُّون حسب مكانهم يتجهون؛ فأهل اليمن يتجهون إلى الشمال؛ وأهل الشام إلى الجنوب؛ وأهل المشرق إلى المغرب؛ وأهل المغرب إلى الشرق؛ وكل يتجه جهة؛ لكن الاتجاه الذي يجمعهم الكعبة؛ وكل يتجه إلى وجه الله؛ وعلى هذا يكون معنى الآية: أنكم مهما توجهتم في صلاتكم فإنكم تتجهون إلى الله سواء إلى المشرق، أو إلى المغرب، أو إلى الشمال، أو إلى الجنوب" [1].

2- في ســــــــورة التوبة:

أ- الإشارات الشخصية:

في قوله تعالى:﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴿٨ ﴾﴾

[1]- محمد بن صالح العثيمين:**تفسير القرآن الكريم** (الفاتحة –البقرة)،ج2، دار ابن الجوزي، ص13-14.

إنّ الإسلام ألغى جميع العهود التي كانت بينه وبين المشركين و عبدة الأوثان – إلاّ جماعة خاصّة – وأمهلهم مدّة أربعة أشهر ليقرروا موقفهم منه، والآية محل البحث بيان لعلّة إلغاء العهود من قبل الإسلام [1].

تضمنت هذه الآية ستة ضمائر تشير إلى المشركين الناكثين للعهود، وكلها ضمائر متصلة وردت بصيغة الغائب، والمقصود من هذه الآية ليس الاستفهام كما هو واضح من خلال ظاهر الألفاظ المشكلة لهذا الخطاب الرباني، وإنّما هو استفهام بمعنى الإنكار، و في ذلك تحريض لمؤمنين على معاداتهم و التبرئ منهم [2]، وتضيف الآية معقبة بأن هؤلاء يريدون أن يخدعوكم بألفاظهم المزوقّة لقوله تعالى:﴿**يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ**﴾ لأن قلوبهم مليئة بالقسوة والحسد والانتقام وعدم الاعتناء بالعقد، وفي نهاية هذه الآية إشارة إلى جذر هذا الموضوع وأساسه وهو فسقهم، فيقول::﴿**وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[3].

ب– الإشاريات الزمانية:

في قوله تعالى: ﴿ **وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾**﴾

إن العنصر الزماني الوارد في هذه الآية هو:﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾، و قد اختلف في تفسيره، فهناك من يقول أنّه يوم النحر، الذي تنتهي فيه فرائض الحج و أركانه، ويجتمع الحاج لإتمام واجبات المناسك وسننها في منى "، وهناك من يقول أن المراد به هو الحج كله، وهناك من يرى أنّ المقصود به هو يوم عرفة، فقد روي من أصحاب النبي ﷺ قال:(قام فينا رسول الله

[1]– الشيرازي،نفسه، ج9، ص131.

[2]– إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط2، 1999 -1420م، ص916.

[3]– الشيرازي،نفسه، ص132.

ﷺ على ناقة حمراء مخضرمة فقال: لا تدرون أي يوم يومكم هذا؟ قالوا: يوم النحر، قال: صدقتم يوم الحج الأكبر [1].

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

العنصر الزماني هنا ﴿الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، يحمل معنى البعدية[2]، لأن المقصود به هو يوم يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، أي يوم تقوم الساعة التي لا ريب فيها، والتي لا يعلم وقتها إلا الله سبحانه وتعالى.

جـ- الإشاريات المكانية:

في قوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴿ ٢٨﴾﴾**

الإشاريات المكانية الواردة في هذه الآية الكريمة هي: ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾، و اسم الإشارة ﴿ هَذَا﴾، " فإذا تأملنا العنصر المكاني ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ نجد أن استعماله في هذا المقام يختلف عن معناه المعجمي، لأنّه أطلق ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾، وقُصد به الحُرم كله "[3]"، وأما اسم الإشارة ﴿ هَذَا﴾ فقد جاء للتوكيد، والتبيين، أي: لا يقربوا المسجد الحرام ولا

---

[1]- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص914.

[2]- يجب الإشارة هنا أن الزمن في اللغة يتجلى بواسطة القرائن التي تتحد بجوار الأفعال عند نهايتها، أو بواسطة ظروف زمان،(راجع ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلّفظ وتداولية الخطاب، ص 106) مثل: البارحة، وفي الصباح،...الخ، أما لحظة الخطاب فتبقى المحور الذي يترتب بواسطته مبهمات الزمن، ولتحديد هذه المبهمات تبعا لأزمنتها تقترح (أركيوني) التصنيف التالي (نفسه، ص 107): 1- المبهمات التزامنية: استعمالها ودلالتها يقترن بالحاضر،2-المبهمات القبلية: زمنها انقضى وفات،3- المبهمات البعدية: الزمن الذي لم ينقض بعد، 4- المبهمات الحيادية: زمنها غير محدد، وسميت كذلك لأنّها تخرج عن المبهمات المحددة بسبب اختلافها عنها.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص530.

يدخلوه، " فلا شبهة في أنّ المراد بقوله: ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ السنة التي حصل فيها النداء من المشركين، وهي السنة التاسعة من الهجرة، أي إن المنع يبدأ من العاشرة "[1].

المـــــــطلب الثاني: أفعال الكلام في سورتي (البقرة – التوبة)

نتناول في هذا الجزء أفعال الكلام وظاهرة الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني من خلال دراسة وتحليل المعاني المستلزمة التي خرجت إليها بعض الأساليب الخبرية والاساليب الإنشائية (الطلبية) في خطاب كل من سوتي البقرة والتوبة، والأغراض التداولية التي تؤذيها، مع الأخذ بعين الاعتبار المقامات التخاطبية و السياقية، بالإضافة إلى التطرق إلى آراء بعض العلماء والمفسرين حول ذلك.

1– الإخباريات (التقريريات، أفعال الإثبات، الأفعال التمثيلية):

والهدف أو الغرض من هذا النوع يرتبط بمسؤولية المتكلم (وبدرجات متفاوتة) حول حقيقة الاقتراح المعبر عنه (الغرض التقريري)، وهي تصف كيف هي الأشياء. وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل "الصدق والكذب"،واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم. "ولا يوجد شرط عام للمحتوى في التقريريات، والشرط المعد لجميع التقريريات هو حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجح أو تؤكد صدق المحتوى القضوي، والحالة النفسية التي تعبر عنها التقريريات هي الاعتقاد"[2]. ويضم هذا الصنف معظم"أفعال الإيضاح" عند" أوستين "وكثيرا من أفعال الإحكام.

أ– في سورة البقرة:

والآيات المتعلقة بأفعال الإثبات كالتالي:

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿3﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿4﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿5﴾

[1]– محمد رشيد رضا:**تفسير المنار**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1981،4م، مج1، ص275.

[2]– طبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، ص72.

تتضمن هذه الآيات أفعال كلامية إخبارية وصفية تقريرية، بين الله عزوجل لنا فيها صفات المتقين والمؤمنين الذين خصهم الله بالهدى والفلاح فذكر في هذه الآيات ست صفات:

الصفة الأولى: الإيمان بالغيب في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أي يقرون بما غاب عنهم مما أخبر الله به عن نفسه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وغير ذلك مما أخبر الله به من أمور الغيب.[1]

الصفة الثانية: إقامة الصلاة في قوله تعالى:﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، أي يقومون بها على وجه مستقيم، كما جاءت عن رسول الله ﷺ، والمراد ﴿ بالصَّلَاةَ﴾ هنا الجنس، فتعم الفريضة والنافلة[2].

الصفة الثالثة: الإنفاق مما رزقهم الله في قوله تعالى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أي مما أعطيناهم من المال يخرجون.

الصفة الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، أي يؤمنون بجميع الكتب المنزلة، وبدأ بالقرآن مع أنَه آخرها زمناً، لأنه مهيمن على الكتب السابقة ناسخ لها، والمراد ب ﴿ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وموسى، وغيرها.[3]

الصفة الخامسة: الإيقان بالآخرة في قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾، والمراد بذلك البعث بعد الموت، ومايتبعه مما يكون يوم القيامة من الثواب، والعقاب، وغيرهما.

---

[1]- محمد بن صالح العثيمين:**تفسير القرآن الكريم(الفاتحة –البقرة)**،المجلد1، دار ابن الجوزي، ص30.

[2]- نفسه.

[3]- محمد بن صالح العثيمين: المرجع السابق، ص30.

قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، تضمنت هذه الآية فعلا كلاميا إخباريا – حسب سورل – وقد تضمن هذا الفعل الكلامي قرار من الله يقضي بهداية وفلاح المؤمنين جزاء إيمانهم وتقواهم.

كما نجد في الآية تكرار لاسم الإشارة (أولئك) يفيد الالتفات والإشارة إلى المؤمنين، وتقوية الحكم عليهم بالفلاح في الدنيا والآخرة، ليصبح بمثابة وعد وبشارة في حق عباده المؤمنين، وأشار إليهم بصيغة البعد لعلو مرتبتهم، ودليل هنا ﴿عَلَىٰ﴾ للاستعلاء وتفيد علوهم على الهدى وسيرهم عليه.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴿60﴾﴾

الإخبار: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الإخبار هنا غرضه التذكير بنعمة عظيمة كفرو به، لما عطشوا في التيه، فدعا لهم موسى بالسقيا، "﴿اسْتَسْقَى﴾:السين والتاء للطلب، أي طلب لهم السقيا،﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا...﴾ أمر للإباحة على الشكر والتذكير بقدرة الله، ورزق الله الذي أمروا أن يأكلوا منه هو المنة، والسلوى، والماء الذي أمروا أن يشربوا منه هو المتفجر من الحجر، ولتقوية الفعل الكلامي أضيف: ﴿رِزْقِ اللَّهِ﴾ أي: من غير كد منهم ولا تعب، بل هو من خالص إنعام الله، وأفضاله"[1]،﴿لَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: العثي: أشد الفساد، فنهاهم عنه وقيل لا تعثوا أي لا تتمادو فيه في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه.

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ

[1]- الشيخ محمد علي طه الذرة:**تفسير القرآن الكريم(وإعرابه وبيانه)**، ط1، دار ابن كثير،دمشق-لبنان،1430هـ-2009م، ص176.

بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿109﴾وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿110﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿111﴾﴾

نزلت الآية الكريمة في نفر من اليهود، وذلك: أنهم قالوا لحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر –رضي الله عنهم– بعد وقعة أحد: لو كنتم على حق ما هربتم، فارجعا إلى ديننا، فنحن أهدى سبيلا منكم، فقال عمار–رضي الله عنه–: كيف نقْضُ العهدَ فيكم؟ قالوا: شديدٌ. قال: إني عاهدت الله ألا أكفر بمحمد ﷺ ما عشت! قالت اليهود: أما هذا فقد صبأ، وقال حذيفة –رضي الله عنه–: أما أنا فقد رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً،وبالكعبة قبلةً، وبالمؤمنين إخواناً، ثُم إنهما أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك، فقال: (أصبتما الخير، وأفلحتما).انتهى خازن"[1].

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿110﴾﴾

فعل كلامي توجيهي أمري، فالفعل الكلامي المتضمن في القول ممثلا في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾ هنا الفعل الكلامي هو الأمر في معناه الحرفي الذي يعبر عن محتوى قضوي هو الأمر للمؤمنين بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.لكن المؤمنين يقومون بهاتين الفريضتين، فاستلزم ذلك أن الأمر خرج عن مقتضى الظاهر إلى معنى مستلزم مقاميا، فالأمر هنا بالثبات والمداومة على الإسلام فإن الصلاة والزكاة ركناه فالأمر بهما يستلزم الأمر بالدوام على ما هم عليه على طريق الكناية. وكان هذا الانتقال بسبب تخلف عنصر الزمان، والمراد بعنصر الزمان هو:أن يكون المطلوب بالأمر، هو القيام بالفعل في المستقبل، أي بعد وقت التكلم، ومن ثم فالفعل المأمور به هو إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ينبغي ألا يكون حاصلا وقت

[1]– محمد علي طه الذرة: المرجع السابق، ص286.

الطلب [1]، فهنا ترغيب للأمر بالصلاة والزكاة و الحث والترغيب فيها، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ أي من طاعة وعمل صالح، وقيل أراد بالخير المال يعني صدقة التطوع، لأن الزكاة تقدم ذكرها ﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾يعني ثوابه وأجره حتى الثمرة واللقمة مثل أحد، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ كناية عن عدم إضاعة جزاء المحسن والمسيء، " أي لا يخفى عليه شيء من قليل الأعمال، وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات، وأعمال البر وزجر عن المعاصي "[2]. " هنا فعل كلامي متضمن في القول وهو "الوعد" وهذا الفعل ينطوي تحته فعلا كلاميا آخر هو " الوعيد " لغير المؤمنين، لأنه إذا كان بصيرا بما يفعل المؤمنين، كان بصيرا بما يفعل غيرهم"[3].

﴿تجدوه﴾: فعل تلفظي كلامي تقريري غرضه الإنجازي الوعد، قوته الإنجازية أنْ وعد الله عباده من يعمل صالحا يجده يوما القيامة، وأن الله بصير بنا في كل خطوة، وتكمن قوته أيضا في بيان قدرة الله تعالى ورحمته وأن الحق عند الله لا يظلم عنده أحد سبحانه.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿114﴾وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿115﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ نزلت في خراب بيت المقدس وذلك أن طوطوس الرومي غزا بني إسرائيل قتل مقاتلهم، وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خراباً حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فأنزل الله تعالى:﴿وَمَنْ

---

[1]- حسام أحمد القاسم:**تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف**، ط1،، دار الآفاق العربية، القاهرة-مصر،2007 م، ص53.

[2]- محمد بن ابرهيم البغدادي –الشهير بالخازن-: **تفسير الخازن (المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل)**، ج1، دار الكتب العلمية، يروت-لبنان، دت، ص71.

[3]- ابن عاشور الطاهر:تفسير التحرير والتنوير، ط1، ص672.

أَظْلَمُ﴾ أي ومن كفر وأبغى ممن منع مساجد علاء الدين علي بن الله، يعني بيت المقدس ومحاربيه أن يذكر فيها اسمه أي يعبد ويصلي له فيها ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ وقيل: أن بيختنصر المجوسي من أهل بابل هو الذي غزا بني إسرائيل وخرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى من أجل اليهود، قتلوا يحي بن زكريا ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس: لم يدخلها بعد عمارتها رومي أو نصراني إلا خائفا إن علم به قتل وقيل أخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي، والقتل على الحربي وقيل: خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث: قسطنطينية ورومية وعمورية ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يعني الصغار والذل والقتل والسبي ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني النار.وقيل: إن الآية نزلت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك أنهم منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه أن يصلوا فيه في ابتدأ الإسلام، ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية، وإذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سعوا في خرابه أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين يعني مشركي مكة يقول الله تعالى: أفتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم، ففتحها عليهم وأمر النبي ﷺ أن ينادي بالموسم لما نزلت سورة براءة: ألا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم، وإن كانوا قد منعوا رسول الله ﷺ في بعض الأوقات من الصلاة فيه، وأيضا فإن الآية التي قبل هذه والتي بعدها في ذم أهل الكتاب، ولم يجر لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون المراد بهذه بيت المقدس[1].

احتوت الآية على الأفعال الكلامية الآتية:

– **الاستفهام**: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ فالفعل الكلامي ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: ﴿مَنْ﴾اسم استفهام؛ وهي مبتدأ؛ و﴿أَظْلَمُ﴾ خبرها؛ والاستفهام هنا بمعنى النفي؛ يعني لا أحد أظلم؛ والميزان الذي يبيّن أن الاستفهام بمعنى النفي أنك لو حذفت الاستفهام، وأقمت النفي مقامه لصح؛ والفائدة من تحويل النفي إلى الاستفهام

[1]– الخازن:مرجع سابق، ص72.

أنه أبلغ في النفي؛ إذ إن الاستفهام الذي بمعنى النفي مشرب معنى التحدي؛ كأنه يقول: بيّنوا لي أيّ أحد أظلم من كذا وكذا.

وتجدر الإشارة إلى أن الاستفهام هو من أحد أكثر الأساليب الإنشائية استعمالا وأهمية، ويُراد به طلب الفهم أو معرفة ماهو خارج الذهن. وهو قد يرد على سبيل الحقيقة بحيث إن المستفهِم يرجو من سؤاله حصول مالم يكن يعلم قبل السؤال، وقد يرد على سبيل المجاز فيخرج إلى أغراض ومعان أخرى يحددها الموقف والسياق وقرائن الأحوال كالتقرير والنفي والتوبيخ وغيرها، والسؤال من الله تعالى هو من هذا القبيل، لأنه —سبحانه– مستغن عن سؤال خلقه فهو يعلم الأشياء قبل كونها، وإنَّما يستفهمهم ليقرّرهم ويذكّرهم أنهم علموا حقيقة ما سئلوا عنه، وهو من الأساليب البديعة التي تميز بها الخطاب القرآني"[1].ففي هذه الآية:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ عن الاستفهام، وإذا خرقت شروط الإجراء على الأصل فيكون الاستفهام مجازيا أو بلاغيا المتكلم خرق شرط العلم فهو لا يستفهم عن وجود من أظلم من هو أظلم ممن منع مساجد الله بل ينفيه وينكر أن يكون أحد أظلم منه، هذا النفي هو الفعل الكلامي الغير المباشر المتحول [2] فالاستفهام في الآية لا يراد به الجواب وإنما لإثبات أنه لا أحد أظلم من ذلك.

– **النفي**: من المعاني التي يخرج إليها أسلوب الاستفهام، معنى النفي في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...﴾ الإستفهام هنا إنكاري لإفادة النفي بقرينة المقام، بمعنى: لا أحد يظلم من هؤلاء.

– **الوعد**: الوعد في قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ فعل كلامي مباشر أخرج على وجه الخبر عن الجميع، وهو خبر عن (من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه)، لأن " من " في معنى الجميع، وإن كان لفظه واحد،وهو فعل كلامي إخبار نفي بمعنى:

---

[1]– عيسى تومي: **الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني–مقاربة تداولية في آيات من سور البقرة–**، جامعة محمد خيضر بسكرة: الجزائر، المجلد:8، عدد: 01 السنة 2019، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، 2019/02/10، ص54.

[2]– السكاكي أبو يعقوب،**مفتاح العلوم**،ضبط وتعليق:نعيم زرزور،دار الكتب العلمية،بيروت، ط2،1987م، ص304.

"النهي " أي نهي الله عز وجل عمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، أنه قد حرم عليهم دخول المساجد التي سعوا في تخريبها، ومنعوا عباد الله المؤمنين من ذكر الله عز وجل فيها، ما داموا على مناصبة الحرب، إلا على خوف ووجل من العقوبة على دخولهم لها، فالفعل الكلامي، ويتضمن الخبر هنا فعلا كلاميا غير مباشر هو:"الوعد" وذلك في قوله تعالى:﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ فيه وعد من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بالنصرة وتحرير المساجد من المعتدين الظالمين بعد أن تصبح بيد عبده المؤمنين طبعا، وعليه حينئذ لا يمكن للكفار أن يدخلوها إلا على خوف ووجل من العقوبة بسبب منعهم المسلمين من دخولها سابقا.

– **الوعيد:** في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾" فقد اختلفو في الخزي، فقال بعضهم: ما يلحقهم من الذل بمنعهم من المساجد،وقال آخرون بالجزية في حق أهل الذمة وبالقتل في حق أهل الحرب، واعلم أن كل ذلك محتمل فإن الخزي لا يكون إلا ما يجري مجرى العقوبة من الهوان والإذلال.." [1]، في هذه الآية الله تعالى يتوعد الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعيهم في خرابها في الدنيا بالذلة والهوان والقتل والسبي، وعلى معصيتهم وكفرهم بربهم وسعيهم في الأرض فسادا عذاب جهنم، وهو العذاب العظيم.

فلمّا كانت الآية السابقة قد أفادت أنّ بعض الظالمين قد يمنعون المصلين من الصلاة في مساجد الله جاءت الآية التالية تفيد إباحة الصلاة في الأرض غير المساجد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿115﴾﴾

سبب نزول هذه الآية: " ما روي عن بعض الصحابة قولهم:كنا مع رسول الله في ليلة مظلمة فلم نَدْرِ أين القبلة ! فصلى كل رجُل منا على حياله ثم أصبحنا فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فأزل الله ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ورُوي أن هذه الآية نزلت في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا جهتها فصلُّوا على أنحاء مختلفة، فقال الله عزَّ وجل لهم: لي المشارق والمغارب فأنَّى ولّيتم

[1]– محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر:**تفسير فخر الرازي**، ج4، دار الفكر، ط1، 1401هـ–1981م، ص12.

وجوهكم فهنالك وجهي وهو قبلتكم، مُخبرهم بذلك أن صلاتهم صحيحة ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وهو سبحانه واسع إنعامه ورحمته لا يضيّق على عباده، وهو عليم بنية من يتجه إليه بالعبادة"[1]. "﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها لله هو مالكها ومتوليها، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ ففي أي مكان فعلتم التولية، يعني تولية وجوهكم شطر القبلة، ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي جهته التي أمر بها ورضيها. والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس، فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها، وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان لا يختص... ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ الرحمة يريد التسعة على عباد والتيسير عليهم،﴿عَلِيمٌ﴾بمصالحهم..."[2]

نلاحظ هنا كناية عن عمله فحيث أمرهم باستقبال بيت المقدس فرضاه منوط بالامتثال لذلك. وهو أيضا كناية رمزية عن رضاه بهجرة المؤمنين في سبيل الدين لبلاد الحبشة ثم للمدينة ويؤيد كون الوجه بذا المعنى قوله في التذييل ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ فقوله:﴿وَاسِعٌ﴾ تذيل لمدلول ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ والمراد سعة ملكه أوسعة تيسيره والمقصود عظمة الله وأنه لا جهة له وإنّما الجهات التي يقصد منها رضى الله تفضل غيرها وهو عليم بمن يتوجه لقصد مرضاته وقد فسرت هذه الآية بأنّها المراد بها القبلة في الصلاة"[3]، "فالكناية بهذا المفهوم تعبر عن معنى معين بصورة غير مباشرة هو فعل الإثبات أن الأرض لله، مما رشحها لتكون إحدى الوسائل الفعالة لإنجاز الفعل الكلامي غير المباشر"[4].

فالمجال الغير مباشر سمة مشتركة بين الكناية والأفعال الكلامية غير المباشرة. فعل كلامي غير مباشر دلت عليه جملة التذييل ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ غرضه التهديد، أي تهديدا لمن منع

---

[1]- عفيف عبد الفتاح طبارة:**روح القرآن(تفسير سورة البقرة)**، دار العلم للملايين، ط1، سبتمبر2007 م، ص 135.

[2]- الزمخشري: الكشاف،ص308.

[3]- ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ط1،ص682.

[4]- الألوسي أبو الفضل شهاب الدين محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، القاهرة،2005م، ص503.

مساجد الله أن يذكر فيها اسمه،وسعوا في تخريبها، ومنعوا عباد الله المؤمنين من ذكر الله عز وجل فيها، أن الله يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال و الجود ، وهو عليم بأفعالهم لا يغيب عنه منها شيء أينما كانوا .

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿142﴾وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿143﴾﴾

ينتقل القرآن الكريم إلى الكلام عن مسألة تحويل (القِبلة)"[1] من بيت المقدس إلى الكعبة وما أثير حولها من شبهات وطعن واستهزاء من اليهود والمشركين العرب والمنافقين.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ " والسفهاء: جمع سفيه وهو الخفيف العقل، والمعنى: سيقول ضعاف العقول من اليهود والمشركين والمنافقين على وجه الإنكار: إذا حولتم وجوهكم أيها المسلمون عن استقبال بيت المقدس في الصلاة، ما صرفهم عن استقبال القبلة التي كانوا عليها ؟ هذه لآية تدل على أنه سيقع حادث في أمر القِبلة وأنّ السفهاء سيتخذونه وسيلة إلى الطعن في حكمة التشريع الإسلامي، وقد أخبر الله بما سيقوله السفهاء قبل وقوعه ليكون وقعة خفيفة على قلوب المسلمين عند حدوثه لأن مفاجأة المكروه يكون أشدّ إيلاما للنفس، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الآية إخبار بالغيب مما سيقع، ومما حدث فعلا، مما يدل على أن القرآن وحي إلهّي ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾

[1]- **القِبلة:** بكسر القاف وهي الجهة التي يستقبلها الإنسان في صلاته، وقبلة كل شيء للإنسان ما قابل وجهه.

– وقد ثبت أن الصلاة فرضت في مكة وكانت قبلتهم في الصلاة آنذاك إلى بيت المقدس، ثم لما هاجر النبي ﷺإلى المدينة المنورة استمروا على ذلك ستة عشر شهرا أو سبعة عشر، وكان ذلك بأمر من الله ووحيه، ثم نسخ الله حكم التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة، وأمر بالتوجه إلى الكعبة.

وإذا كان لله المشرق والمغرب فله الأرض كلها، فكل مكان منها مشرق عند قوم ومغرب عند آخرين، فإذا كانت الأرض كلها لله، فله سبحانه أن يختار منها ما يشاء ليكون قبلة للمسلمين يتجهون إليها في الصلاة ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يرشد الله سبحانه من يشاء من عباده إلى طريق قويم يختاره له ويخصه به " [1].

ففي هذه الآية فعل كلامي صريح ومباشر من خلال القوة الإنجازية الحرفية في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ (إخبار)[2] بالغيب مما سيقع، فدخول السين على الخبر تؤكد وقوعه، مما يدل على أن القرآن وحي إلهّي.ومن جهة أخرى هناك فعل كلامي غير مباشر من خلال المعنى الضمني فيه تنبيه من الله عزّ وجل لعباده المسلمين على وقوع حادث في أمر القِبلة مستقبلا، وإخبارهم بما سيقوله السفهاء قبل وقوعه ليكون وقعة خفيفة على قلوب المسلمين عند حدوثه.

قوله تعالى: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ الآية تضمنت مايلي:

- فعل كلامي مباشر هو الاستفهام: وهو المعنى الصريح تعبر عنه (القوة الإنجازية الحرفية)[3]، هنا استفهام إنكاري.
- فعل كلامي غير مباشر هو الاستنكار والاستغراب الصادر عن المتكلمين وهو المعنى الضمني الذي تعبر عنه القوة الإنجازية الحرفية[4].

---

[1]- عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن(تفسير سورة البقرة)، ص157.

[2]- **قانون الإخبارية**:تنص على أن المفترض في كل نشاط كلامي أن يكون هادفا وحاملا لفائدة إلى المخاطب، وألا يكون هذا المخاطب على علم بمحتوى الخبر المنقول إلا عندما يكون للمتكلم قصد حجاجي خاص وهذا الوصف مجرد صيغة معدلة لمبدأ التعاون، فالله عزوجل أخبر بما لا يعرفه المخاطبون (عباده المسلمين) بقوله تعالى:﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ بل قدم ما يقع قبل وقوعه معبرا عنه بصيغة ﴿سَيَقُولُ﴾ فالله عزوجل تكلم فيما يفيد المخاطبين لأن فيه صلاح دينهم ودنياهم.

[3]- **القوة الإنجازية الحرفية**: يستدل عليها بقرائن بنيوية هي: الأداة والفعل وهو قول السفهاء.

[4]- **القوة الإنجازية الضمنية (المستلزمة)**:لا تدل عليها القرائن البنيوية، وتظل القوة الإنجازية الحرفية ملازمة للعبارة، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي مربوطة مقاميا، بحيث لا يتم تولدها إلا في طبقات مقامية معينة، والقوة المستلزمة يتوصل إليها عبر عمليات ذهنية استدلالية.

فالعبارة الاستفهامية هنا قد انتقلت من القوة الإنجازية الحرفية بخرق المتكلم شروط التعاون الحواري،فالاستفهام في هذه الآية لا يقصد من خلاله المتكلم السؤال إنما يقصد الاستغراب من تحول المسلمين عن قبلتهم الأولى في بيت المقدس فالضمير في قوله (ماولاهم) للرسول والمسلمين والقبلة التي كانوا عليها في بيت المقدس.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي أن له قطري المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء أن يكون لذاته قبله لأن الجهات كلها شيء واحد، وإنَّما تصير قبلة لأن الله تعالى هو جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وفي قوله: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ يعني من عباده ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾يعني إلى جهة الكعبة وهي قبلة إبراهيم عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الآية الشريفة تضمنت مايلي:

– **الأمر**: في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فعل كلامي صريح ومباشر من خلال القوة الإنجازية الحرفية،فهنا الله تعالى أظهر حبه لمحمد ﷺ بواسطة أمره باستقبال الكعبة، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام كان يتمنى ذلك مدة لأجل مخالفة اليهود. والآية تتضمن جواب عن سؤال السفهاء قال الرازي: "اعلم أنّ هذا و الجواب الأول عن تلك الشبهة، وتقريره أن الجهات كلها لله ملكاً ملكاً، فلا يستحق شيء منها لذاته أن يكون قبلة، بل إنّما تصير قبلة لأن الله جعلها قبلة، وإذا كان الأمر كذلك فلا اعتراض عليه بالتحويل من جهة إلى أخرى..."[1].

– **الإستنكار**: فعل كلامي غير مباشر، وهو المعنى الضمني الذي تعبر عنه القوة الإنجازية الضمنية وتمثل فيما يلي: الأمر موجه للرسول ﷺ كما ذكرنا سابقا، ففي الآية تعليم له ﷺ

[1]– الرّازي: مصدر سابق، ج 2، ص 102.

كيف يبطل مقولتهم ويرد عليهم إنكارهم، وأيضا "التخصيص: فقد خص الله عباده المسلمين بتلك القبلة الجديدة في قوله: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾"[1].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿143﴾﴾

هذه الآية تشير إلى جانب من أسباب تغيير القِبلة تقول أولا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عدلا خيارا، والخير خلاف الشر." الكاف هنا اسم بمعنى (مثل) أي: مثل ذلك،والمشار إليه ما سبق، وهو جعل القبلة إلى الكعبة، أي: مثل هذا الجعل الذي جعلنا لكم – هو اتجاهكم إلى القبلة – جعلناكم أمة وسطا".

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية تضمنت ما يلي:

- فعل كلامي مباشر غرضه الإخبار فهنا الخطاب موجه إلى المسلمين والمعنى: "وكما هديناكم أيها المسلمون إلى صراط مستقيم بالتوجه في صلاتكم إلى الكعبة التي ترضونها كذلك جعلناكم خيارا وعدولا. وقد وصف الله الأمة الإسلامية بأنها ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ فليسوا أهل غُلُوّ كَغُلُو النصارى الذين قالوا إنّ المسيح ابن الله ولا هم أهل تقصير كاليهود الذين بدّلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم. فالإسلام وسط بين مطالب الروح ومطالب الجسد فهناك أناس يسرفون في المادة و يُهملون القيم الروحية، أما الإسلام فيدعو المؤمنين إلى أن يعيشوا مادية الحياة بحدود القيم الروحية، والعدل بين مطالب الروح والجسد"[2].
- فعل كلامي غير مباشر وهو المعنى الضمني الذي تعبر عنه القوة الإنجازية الضمنية و تَمَثَلَ فيما يلي:

---

[1]- الألوسي، مرجع سابق،ج2، ص555.

[2]- عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن(تفسير سورة البقرة)، ص157-158.

– **المدح**: في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ مدح المسلمين وتفضيلهم على جميع الأمم لقوله تعالى: ﴿وَسَطًا﴾[1].

– **التعليل**: في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ "اللام في قوله: ﴿لِّتَكُونُوا﴾ (للتعليل، وليست للعاقبة)[2]،﴿شُهَدَاءَ﴾ جمع شهيد، أي تشهدون على الناس بأن الرسل قد بلغتهم، فمنهم من آمن ومنهم من كفر " [3].

– **الاختصاص**: في قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[4].﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ محمدﷺ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ النبيﷺ يشهد على أمته بأنه بلغ البلاغ المبين[5]،أي: إثبات رسالة النبي ﷺ واختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم..

– **الإمتحان والتنبيه**: في قوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾" أي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها تحويلها، وهي بيت المقدس،وإنما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه،وقيل:معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة "[6].

"إن الله قد يمتحن العباد بالأحكام الشرعية إيجابا، أو تحريما، أو نسخا، فلينتبه الإنسان لهذا، فإن الله قد يبتليه بالمال بأن يعطيه مالا ليبلوه أيقوم بواجبه، أم لا، وهذه محنة، لأن غالب

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم ج2، ص115.

[2]– **الفرق بين لام العاقبة ولام التعليل**: أن لام العاقبة تدخل على أمر غير مراد، لكن النتيجة آلت إليه، ولام التعليل تدخل على أمر مراد ليكون علة للحكم.

[3]– محمد بن صالح العثيمين:المرجع السابق، ج2، ص109-110.

[4]– نفسه، ص117.

[5]– نفسه، ص110.

[6]–الخازن، ص87.

من ابتلي بالمال طغى من وجه، وشح من وجه آخر... وكذلك قد يمتحن العباد بالأحكام الكونية، ومنها مايجري على العبد من المصائب"[1].

– **الإثبات:**﴿لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾"إثبات علم الله، لقوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ﴾، وعلم الله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء"[2].

– **الإخبار:**﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ فعل كلامي مباشر وهو المعنى الصريح تعبر عنه القوة الإنجازية الحرفية، فالغرض من تحويل القبلة هو الامتحان والابتلاء لتمييز المؤمنين من المرتدين وذلك في قوله تعالى::﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ ومعنى الانقلاب على العقبين ينطوي على معنين:

– معنى صريح ومباشر من خلال القوة الإنجازية الحرفية هو الانصراف عن الشيء بالرجوع إلى الوراء، وهو طريق العقبين، وهذا انقلاب حقيقي والمشبه به هو المعنى غير مقصود، وفي التعبير بالانقلاب على العقب إشعار بالرجوع عن الخير إلى الشر.

– أما المعنى الغير مباشر للآية وهو المعنى الضمني وتمثل في المنقلبون الذين قد خرجوا من عداد المؤمنين وعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، فكانوا فريسة لليهود بأراجيفهم وتهويلاتهم.

– **التوكيد:** في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ "الضمير يعود على الواقعة –واقعة تحويل الكعبة – [3]،"لكبيرة: أي شاقة صعبة والمعنى: وإن كان تحويل قبلة الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة شاقا، ثقيل الوقع على النفوس لأن ذلك مخالف للعادة، لأن من ألف شيئا ثم انتقل عنه صعب عليه الانتقال لغيره ولكن الأمر يسير على من هداهم الله"[4].

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين: مرجع سابق، ج2، ص 117-118.

[2]– محمد بن صالح العثيمين: المرجع السابق، ص118.

[3]– نفسه، ص112.

[4]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن(تفسير سورة البقرة)، ص159.

– قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ اللام في قوله تعالى: ﴿لِيُضِيعَ﴾ "يسمونها لام (الجحود)[1] المعنى: أنه مستحيل ﴿لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، ﴿لِيُضِيعَ﴾ بمعنى يتركه سدى بدون مجازتة عليه..." [2]، "هذا النص من الآية هو جواب لما تردد بين المسلمين من أقوال حيث قال البعض: ما مصير من مات من إخواننا قبل تحويل القبلة إلى الكعبة؟ وكانت قبلتهم في الصلاة بيت المقدس ظانين أن صلاتهم آنذاك غير مقبولة عند الله فبيَّن الله أن ظنهم في غير محله وأنه سبحانه لا يضيع ثواب صلاتهم، وعبَّر الله عن الصلاة في الآية بالإيمان على سبيل الاستعارة لأنها أعظم الإيمان، وهي لا تصدر إلا عن إيمان "[3]، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾أي إن الله يشمل برأفته ورحمته عباده المؤمنين الطائعين له، فلهذا لا يُضيع ثواب أعمالهم[4].

– **المدح والتخصيص**: في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ فعل كلامي غير مباشر هو المدح للمؤمنين، وتخصيصهم بالهداية، ففي الآية " إظهار منه عزَّ وجل على من هداه الله، لأنه نسب الهداية إليه بقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، وهذه أعظم منة منَّ الله بها عليه أن هداه للإسلام، فيجب أن يشعر بها الإنسان، لا يمن بدينه على ربه، بل يعتقد أن المنة من الله عليه" [5].

– **العموم**: "إثبات عموم الراحة لكل الناس، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾وهذه هي الرحمة العامة التي بها يعيش الناس في دنياهم برزق الله من طعام،

---

[1]– **الجحود يعني**: النفي، وهذه اللام لها ضبط، وهو أن تقع بعد (كون) منفي، فاللام التي تأتي بعد (كون) منفي تسمى لام الجحود هذا من جهة الإعراب أ، أما من جهة المعنى فكلما جاءت (ما كان الله...)في القرآن فهي الأمر الممتنع غاية الإمتناع، مثل: (لا ينبغي) أو (ما ينبغي) فالمراد أنه ممتنع مستحيل، كقوله تعالى: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر** ﴾**[يس:40]**.

[2]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ص113–114.

[3]– عفيف عبد الفتاح طبارة،مرجع سابق، ص159.

[4]**-** نفسه، ص159.

[5]– نفسه، ص 120.

وشراب،وكسوة، وغيرها، وأما الرحمة الخاصة فهي للمؤمنين خاصة، وبها يحصل سعادة الدنيا، والآخرة، كالعلم والإيمان المثمرين لطاعة الله، ورسوله"[1].

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿177﴾﴾

في الآيات السابقة مرّ علينا أنّ قِبلة المسلمين في الصلاة كانت نحو بيت المقدس وهي قِبلة اليهود، والنصارى، ثم أمر الله بعد ذلك المسلمين بأن يغيّروا قِبلتهم نحو الكعبة بمكة المكرمة، مما أثار الجدل بين أعداء الإسلام والمسلمين حول هذا التغيير، فخاطبهم الله تعالى بالآيات التي بين أيدينا منبها إياهم فيها بأن ما يقومون به خارج عن دائرة البر والإحسان.

وسبب نزول هذه الآية الشريفة أنّها جاءت: "خطابا لأهل الكتاب لأن النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب إلى بيت المقدس، وزعم كل طائفة منهم أن (البر)[2] في ذلك، فأخبر الله تعالى أن البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بيّنه في هذه الآية ..."[3].

– الإخبار: فعل كلامي مباشر وهو المعنى الصريح تعبر عنه القوة الإنجازية الحرفية، وفيه إخبار بالنفي أي: "نفي البر عن استقبال الجهات مع أن منها ما هو مشروع كاستقبال الكعبة: إما لأنه من الوسائل لا المقاصد فلا ينبغي أن يكون الاشتغال به قصارى همة المؤمنين ولذلك

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين: المرجع السابق،ص121.

[2]– (**البر**): اسم جامع لكل خير، ولكل طاعة وقربة يتقرب بها العبد إلى خالقه – عز وجل–.

– قال الراغب: " البر – بفتح الباء – خلاف البحر، وتصور منه التوسع فاشتق منه البر – بكسر الباء – بمعنى التوسع في فعل الخير، وينسب ذلك إلى الله – تعالى – تارة نحو: (إِنَّهُ هُوَ البر الرحيم) وإلى البعد تارة فيقال: بر العبد ربه، أي توسع في طاعته فالبر من الله الثواب، ومن العبد الطاعة "

[3]– الخازن، ص105.

أسقطه الله عن الناس في حال العجز والنسيان وصلوات النوافل على الدابة في السفر، ولذلك قال تعالى:﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بالله﴾"[1].

هذا التعبير الإلهي فيه الإخبار عن المعنى بالذات فالآية الكريمة تمثل لنا المعنى في نفس الموصوف به، فتفيدنا في أن البر إنَّما هو طاعة الله عز وجل، والامتثال لأوامره، والتوجه حيثما وجهه، وإتباع ما شرع، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق إلى المغرب بر ولا طاعة، إن لم يكن عن أمر الله وشرعه.

النهي في قوله تعالى:﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الفعل الكلامي الغير مباشر وهو المعنى الضمني التي عبرت عنه الصيغة الخبرية، وهو نهي اليَهُود وَالنَّصَارَى ، لِأَنَّ الْآيَات قَبْلهَا مَضَتْ بِتَوْبِيخِهِمْ وَلَوْمهمْ وَالْخَبَر عَنْهُمْ وَعَمَّا أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَلِيم الْعَذَاب ، وَهَذَا فِي سِيَاق مَا قَبْلهَا ، إِذْ كَانَ الْأَمْر كَذَلِكَ ، لَيْسَ الْبِرّ أَيّهَا الْيَهُود وَالنَّصَارَى أَنْ يُوَلِّي بَعْضكُمْ وَجْهه قِبَل الْمَشْرِق وَبَعْضكُمْ قِبَل الْمَغْرِب، "...فنبه الله تعالى المؤمنين في الآية التالية إلى أن الجدل في مثل هذا الأمر خارج عن دائرة البر والخير إذ لا تفاضل للجهات عند الله لأنها كلها ملكه، وإنما التفاضل يكون بالإيمان وفيما يفعله الإنسان من وجوه الخير"[2].

– **الاعتراض:** قوله تعالى: "﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ متصل بقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، وأنه ختام في شأن تحويل القبلة، وأن ما بين هذا وذلك كله اعتراض أُطنب فيه وأُطيل لأخذ معانيه بعضها بحُجَزِ بعض"[3].

فالقرآن الكريم رد في الآية 142 من هذه السورة على اعتراضاتهم في قوله تعالى:﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ...﴾ وفي هذه الآية يطرح المعيار الصحيح لتقييم المجموعة البشرية.

---

[1]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ط2، ص128.

[2]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن(تفسير سورة البقرة)، ص193.

[3]- المرجع السابق، ص128.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿226﴾وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿227﴾﴾

سبب نزول هذه الآية: " أنه كان الرجل في الجاهلة –حين يغضب على زوجته- يُقسم على عدم وطئها، فيُشدد عليها بهذه الطريقة الفظَّة، لا هو يطلق سراحها بالطلاق لتتزوج من رجل آخر، ولا يعود إليها بعد هذا القسم ليصالحها ويعاشرها، وطبعا لا يواجه الرجل غالبا صعوبة في ذلك لأنّه يتمتع بعدّة زوجات، فجاءت الآية الكريمة ووضعت لهذه القضية حدّا، فذكرت أن الرجل لا يستطيع خلال مُدَّة أقصاها أربعة أسهر أن يتَّخذ قرارا بشأن زوجته: إمَّا أن يعود عن قَسَمه ويعيش معها، أو يطلّقها ويخلّي سبيلها"[1].

– الإخبار: في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾[2] تقدم معنا تعريف الإيلاء لغة،وأمَّا شرعا:" فهو فهو أن يحلف الرجل على ترك وطء زوجته أكثر من أربعة أشهر كأن يقول: والله لا أقربك، أو لا أجامعك، أو أمثال هذه الكلمات"[3]، والتربّص: الانتظار، أي فمن حلف أن لا يطأ امرأته مطلقا أو زيادة على أربعة أشهر يُمهَلون أربعة أشهر ﴿فَإِن فَاءُوا﴾ والفيء[4]: هو الرُّجوع،﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي إنّ الله سبحانه يغفر لهم ما فرط منهم نحو زوجاتهم، وهو رحيم بهم بإسقاط العقوبة عنهم "[5]. ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ " أي قصدوه بعزيمة تامة،ويدل على أن العزم بمعنى القصد أنّه تعدى بنفسه إلى الطلاق،ولو كان العزم بمعناه الأصلي لتعدى بـ(على)،فإنَّك تقول:(عزم على كذا)،ولا تقول (عزم كذا).﴿فَإِنَّ اللَّهَ

---

[1]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص459.

[2]– كلمة (إيلاء):من مادة (آلوا) بمعنى القدرة والعزم، وبما أن القسم نموذج من هذا المعنى ولذا أطلق على الطلاق.

[3]– محمد علي الصابوني:**روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن**، ج1، مكتبة الغزالي- مؤسسة مناهل العرفان، دمشق، 1400هـ-1980م، ص 311.

[4]– **الفيئ**: في الآية أعلاه فسَّروه بالجماع، أي إن رجعوا إلى ما كانوا عليه من المعاشرة الزوجية بوطء نسائهم إن قدروا عليه، أو بالقول إن عجزوا عنه جنسيّا بعد مضي أربعة أشهر مخالفين بذلك ما حلفوا عليه، فيكونون بذلك قد حنثوا في أيمانهم ويلزمهم كفارة.

[5]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ج1، ص287.

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي سميع لأقولهم –ومنها الطلاق–، عليم بأحوالهم –ومنها مفارقة زوجاتهم –"[1].

في هذه الآية الشريفة الله تعالى يثبت أربعة أسماء من أسماءه الحسنى، وهي: (الغفور)، و(الرحيم)، و (السميع)، و (العليم) إشارة لما تتضمنه هذه الأسماء من صفات وأحكام،كما أن في الآية إشارة إلى أنّ الفيئة أحب إلى الله تعالى من الطلاق، ففي الآية نوع من التهديد إذ لم يرجع الزوج عن يمينه في مدة أربعة شهور تطلق عليه زوجته، صحيح قد يكون هجران الزوجة من وسائل تأديبها مقابل إهمال شؤون بيتها أو إساءة معاملة زوجها أو غير ذلك و لكن حذر الله من الإيلاء من الزوجة بقصد الإضرار لأنه يتنافى مع وجوب المعاشرة بالمعاشرة .

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿261﴾الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿262﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿263﴾﴾.

تعتبر مسألة الإنفاق من أهم المسائل التي أكّد وحث عليها الإسلام والقرآن الكريم والآية أعلاه هي أول آية في مجموعة الآيات الشريفة من سورة البقرة تتحدث عن الإنفاق.لأنه تعالى بعد أن ذكر القصص السابقة وما فيها من الأدلة تثبت صحة يوم البعث، رغَّب في الإنفاق في سبيل الله وبين ثوابه. أما سبب نزول هذه الآيات أنها: " نزلت في صدقة عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، وذلك أن الرسول ﷺ لما حث الناس حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك، جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم فقال: يا رسول الله كانت لي ثمانية آلاف فأمسكت لنفسي ولعيالي أربعة آلاف، وأربعة آلاف أفرضتها لربي، فقال رسول الله ﷺ بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت، وجاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر الرسول ﷺ قال عبد الرحمن بن سمرة – راوي الحديث – فرأيته ﷺ يدخل يده فيها ويقلبها

[1]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ج2،ص96.

ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان، وقال أبو سعيد الخدري: رأيت النبي ﷺ رافعا يديه يدعو لعثمان ويقو ل: يا رب عثمان إني رضيت عن عثمان فارض عنه[1]".

– **الإخبار**:فعل كلامي مباشر وهو المعنى الصريح المعبر عنه بالقوة الإنجازية الحرفية، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، " قيل أراد به الإنفاق في الجهاد وقيل هو الاتفاق في جميع أبواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواحب والتطوع، وفيه إضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله "[2]، ففي هذه الآية عود إلى التحريض على الإنفاق في سبيل الله.

– **الترغيب**: فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى:﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾،وهو الترغيب في فعل البر ولا سيما النفقة في الجهاد في سبيل الله،فالله عز وجل قد شبه حال الصدقة التي ببذلها المؤمن في سبيل الله، فيكافئه الله تعالى عليها بالثواب العظيم، بحال الحبة التي تلقى في الأرض النقية فتخرج عودا مستويا قائما قد تشعب إلى سبع شعب، في كل شعبة سنبلة، وفي كل سنبلة مائة حبة. وفي هذا التشبيه ما فيه من الحث والترغيب على الإنفاق في وجوه الخير وذلك بضرب الأمثال، بتشبيه المعقول بالمحسوس، لأن ذلك أقرب إلى الفهم.

– **الأمر**: تمثل في الإشارة إلى الإخلاص لله في العمل، كأن الله تعالى يأمر بالمداومة على الإحسان وقصد الامتثال ومحبة الخير للناس والإيثار على النفس وغير ذلك،لقوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فالمراد بالإنفاق هنا الإنفاق في خدمة الدين، "...وتكفل الله عز وجل للعامل في

[1]– محمد بن صالح العثيمين: المرجع السابق، ج2، ص41–42.

[2]– الخازن، ط1، ص198.

سبيل الله بأن يجزيه على هذا العمل، فصار كأجر الأجير"[1]، ذلك في قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾،"الأجر ما يعطاه العامل في مقابلة عمله ومنه أجرة الأجير.."[2].

– **الوعظ والإرشاد:** فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى:﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾، القول المعروف هو القول الحسن الطيب الذي كل عاقل يراه حسنا وقولا سديدا.وفي هذا ترغيب في الكلام الطيب وبالتسامح والمغفرة للمسيء، وتنفير عن المن والأذى لقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾، فالله غني عن عباده، فلم يأمر بالصدقة والإحسان والنفقة لحاجة به، فإنّه الرزَّاق يُطعِم ولا يُطعم.

– **التحذير والتخويف:** في قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾فالفعل الكلامي المباشر هو العبارة الحرفية المصرح بها في جملة التذييل أما الفعل الكلامي الغير مباشر في الآية، هو المعنى الضمني الذي عبرت عنه الصيغة الحرفية والمراد منها "التذكير بصفتين من صفات الله تعالى ليتخلق بهما المؤمنون، وهما: الغنى الراجع إليه الترفع عن مقابلة العطية بما يبرد غليل شح نفس المعطي، والحلم الراجع إليه العفو والصفح عن رعونة بعض العفاة "[3].

تأتي الإشارة والتعريض في خاتمة الآية، وهو من أجمل أساليب الوعظ، وأنفعها وأرقها.

ب– في سورة التوبة:

وأمثلة ذلك ما يلي:

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا

[1]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ج2، ص 313.

[2]– نفسه.

[3]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج3، ص47.

وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴿4﴾﴾

سبب نزول هذه الآيات: "ما روي عن رسول اللهﷺ أنّه خرج إلى غزوة تبوك، وتخلف عناها المنافقون...جعل المشركون بنقضون العهد فأمر الله بنبذ عهودهم وطرحها فأنزل (سورة براءة) في سنة تسع للهجرة"[1].

– **الإخبار**: في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ... ﴾ الأذان في اللغة الإعلام ومنه الأذان للصلاة لأنه إعلام بدخول وقتها، فالله يخبرنا عن وجوب إبلاغ هذا الأذان، "فيجب على المؤمنين أن يعرفوا الوقت الذي يكون فيه القتال من الوقت الذي يحرم فيه " [2]، بإعلام من الله ورسوله إلى جميع الناس في مكة المكرمة وفي ذلك اليوم العظيم–يوم الحج الأكبر–[3]، ب ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾"فيه حذف والتقدير وأذان من الله ورسوله بأن الله بريء من المشركين"[4]، أي أن الله ورسوله بريئان من عهود المشركين الخائنين.

– **الترغيب والترهيب**: في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي إن تبتم أيها المشركون من كفركم ورجعتم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة فرجوعكم هذا به فائدة لكم في الدنيا والآخرة. وإن أعرضتم عن الإيمان بوحدانية الله تعالى وفضلتم البقاء على ما أنتم عليه من الشرك بالله فأعلموا أنّكم لا تعجزون الله بإنزال عقابه الشديد بكم.

---

[1]– عفيف عبد الفتاح طبارة: **روح القرآن (تفسير سورة الأنفال وسورة التوبة)**، ج1، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان،ط1، سبتمبر 2001م، ص76.

[2]– الرازي، ج15، ص229.

[3]– **الحج الأكبر**: هو فريضة الحج، بينما الحج الأصغر هو العمرة، وفي تعيين هذا اليوم الذي حصل فيه الإعلام، قيل هو يوم النحر، وقيل هو يوم عرفة (راجع عفيف طبارة: روح القرآن، ص78)

[4]– الخازن،ج2، ص 336.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ تضمنت مايلي:

– **الأمر**: فعل كلامي مباشر بصيغته الحرفية في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

– **التهكم و الاستهزاء**:فعل كلامي غير مباشر، وهو المعنى الضمني الذي تعبر عنه القوة الإنجازية للصيغة الحرفية﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ "يعني في الآخرة ولفظ البشارة هنا إنما ورد على سبيل الاستهزاء"[1]، لأن البشارة لا تكون إلا للخبر السار، فكيف إن كانت بالعذاب الأليم.

– **الأمر**:فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أمر الله تعالى بتشديد الوفاء بالعهد إلى نهايته للمشركين الذين لم ينقضوا عهدهم ولم ينقضوا من الشروط شيئا،﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ﴾ "أي أدوه إليهم تامّا كاملا"[2].

﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿5﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ 6﴾﴾

– **الأمر**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[3] نلاحظ في الآية الكريمة أربعة أوامر صارمة صادرة

---

[1]– نفسه، ص336.

[2]– الرازي، ج15، ص232.

[3]– **الأشهر الحرم**: بالرغم من أن المفسرين قد بحثوا كثيرا في هذا الشأن، إلا أنّه – مع ملاحظة ما جاء في الآيات المتقدمة– يظهر أنّ المراد منها هي الأشهر التي كانت مدّة الإمهال للمشركين، والتي بدأت من عاشر ذي الحجة للسنة التاسعة وانتهت بالعاشر من شهر ربيع الثّاني من السنة الهجرية (راجعالشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج9، ص 130).

في شأن المشركين (إيصاد الطرق بوجههم،محاصرتهم، أسرهم، ثم قتلهم)،﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن الشرك، ودخلوا إلى الإسلام والتزموا بأحكامه ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ فإذا فعلوا ذلك فلا تتعرضوا لهم بسوء وكفُّوا عن قتالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾إن الله يتجاوز عن سيئات من تاب ورجع عن الشرك بالله إلى الإيمان بوحدانيته تعالى.

لو تأملنا هذه الآية: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾سنجد أن الله علّق القتل على الشرك، ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾هذا يعني" زوال القتل بمجرّد التوبة، وهذا بين في هذا المعنى، غير أن الله ذكر التوبة وذكر معها شرطين آخرين، فلا سبيل إلى إلغائهما "[1].فالله تعالى اشترط العفو مقابل عبادته وحده وأداء الصلاة المفروضة عليهم وإعطاء الزكاة لمستحقيها من الفقراء والمساكين،وهذا نص في أن التوبة لا تثبت إلا بهاذين الركنين: الصلاة والزكاة فالصلاة حق لله والزكاة حق للفقير، ولا يمكن للإنسان أن يحقق السعادة إلاّ إذا أدّى حق الخالق والمخلوق.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿17﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴿ ١٨ ﴾

سبب نزول هذه الآية: " قيل: أراد ليس لهم الحج بعد ما نودي فيهم بالمنع عن المسجد الحرام، وكانت أمور البيت كالسدانة والسقاية والرفادة إلى المشركين، فبين أنهم ليسوا أهلا لذلك، بل أهله المؤمنون.وقيل: إنّ العباس لما أُسِرَ وعُيِّرَ بالكفر وقطيعة الرحم قال: تذكرون

[1]-محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1427هـ-2006م، ج 10، ص121.(بتصرف)

مساوئنا ولا تذكرون محاسننا.فقال علّي: ألكم محاسن؟ قال: نعم،إنّا لنعمُر المسجدَ الحرام، ونحجُبُ الكعبة، ونَسقي الحاجَّ، ونفُكُّ العاني.فنزلت هذه الآية ردّا عليه "[1].

– **التصريح:** فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ أي ما ينبغي ولا يليق ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾بالعبادة، والصلاة، وغيرها من أنواع الطاعات، والحال أنهم شاهدون ومقرون على أنفسهم بالكفر بشهادة حالهم وفطرهم، وعلم كثير منهم أنهم على الكفر والباطل. فإذا كانوا ﴿ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾وعدم الإيمان، الذي هو شرط لقبول الأعمال، فكيف يزعمون أنهم عُمَّارُ مساجد الله، والأصل منهم مفقود، والأعمال منهم باطلة. ولهذا قال:﴿ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾أي: بطلت وضلت ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾. ثم ذكر الله سبحانه وتعالى من هم عمار مساجد الله فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي إنّما يعمر مساجد الله المصدّق بوحدانية الله وحده،والمصدق بوجود اليوم الآخر يوم القيامة أين يجازي الله على أعمالهم في الدنيا، وأقام الصلاة على وجها التام وذلك بأدائها بشروطها وفي أوقاتها المفروضة، وقاصرا خشيته على ربه، فوصفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أُمُّها الصلاة والزكاة، وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على الحقيقة وأهلها الذين هم أهلها. ﴿ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾"وعسى من الله واجب، يعني وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي إلى الجنة"[2]. وأما من لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا عنده خشية لله، فهذا ليس من عمار مساجد الله، ولا من أهلها.

– **الإخبار:**فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾أي: أنَّ أولئك الجامعينَ لهذه الخَمسِ مِن أركانِ الإيمانِ والإسلامِ– التي يلزَمُها سائِرُ أركانِها– هم

[1]– أبو عبد الله القرطبي: المرجع السابق، ج10، ص 132.

[2]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج9، ص342.

الذين يرجُونَ بحَقٍّ، أو يُرجَى لهم بحسَبِ سُنَنِ اللهِ في أعمالِ البشَرِ، وتأثيرِها في إصلاحِهم؛ أن يكونوا من جماعةِ المهتَدينَ إلى ما يُحِبُّ اللهُ ويرضى مِن عمارةِ مَساجِدِه حِسًّا ومعنًى، واستحقاقِ الجَزاءِ عليها بالجنَّةِ خالدين فيها، دونَ غَيرِهم من المشرِكينَ الجامِعينَ لأضدادِها.

وفي ضِمنِ هذا الخبَرِ أمرُ المؤمنينَ بعِمارةِ المساجِدِ، ويتناوَلُ عِمارَتُها وترميَّم ما تهدَّمَ منها، وتنظيفَها، وتنويرَها، وتعظيمَها، وتهيئتها للعِبادةِ والذِّكرِ- ومِن الذِّكرِ دَرسُ العِلمِ، بل هو أجَلُّه- وصَونَها عمَّا لم تُبْنَ له.

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

– التوبيخ: في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾ فعل كلامي غير مباشر متحول عن الاستفهام،وذلك لخرق شروط الإجراء على الأصل.فهنا توبيخ من الله سبحانه للقوم الذين افتخروا بسقاية الحاج وعمارة بيت الله الحرام، فأخبرهم الله أن الفخر يكون بالإيمان بالله والتصديق به وحده، والتصديق باليوم الآخر، والجهاد في سبيله إن أمكن ذلك.

– النفي: فعل كلامي مباشر في قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾معناه لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم ولا يُقبِلون على الإسلام."وكنّي بنفي الهداية عن نفي حصول الغرض من العمل، والمعنى: والله لا يقبل من القوم المشركين أعمالهم"[1].

– المدح /التعظيم : في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ هذه الآية الكريمة تبين لنا أنّ من كان

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص147.

موصوفاً بصفات أربعة كان أعظم درجة عند الله تعالى ممن اتصف بأي خير آخر.وتلك الصفات الأربعة هي: أولها الإيمان، وثانيها الهجرة، وثالثها الجهاد في سبيل الله بالمال، ورابعها الجهاد في سبيل الله بالنفس، فالموصوفون بهذه الصفات الأربعة في غاية الجلالة والرفعة.

ومن لطائف هذه الآية هي أنه تعالى قال:﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم ﴾ وهي مشتملة على أنواع من الرحمة والكرامة، لأن البشارة هي الخبر السار الذي يفرح الإنسان،و يلاحظ تنكير الكلمتين ﴿بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ﴾ وذلك للتفخيم والتعظيم، أي برحمة ورضوان لا يوصفان.

2- الطلبيات (التوجيهات، أفعال التوجيه):

الغرض الإنجازي لهذه الأفعال يتمثل في محاولة المتكلم التأثير على المتلقي ليفعل شيئا ما و يقوم بأداء عمل من الأعمال،و المسؤول عن إحداث المطابقة بين العالم والقول هو المتلقي(المخاطب)والشرط لنجاح التوجيه هو قدرة المتلقي على أداء الفعل المطلوب[1]. يضم هذا المجال مجموعة كبيرة من الأفعال الإنجازية التي تتفرع إلى مجموعة من المجلات الفرعية،وتتدرج أفعال التوجيه في قوتها الإنجازية على حسب المكانة والسلطة بين المتكلم والمخاطب، وهذا ما يعطي أفعال التوجيهات أشكالها المختلفة :الأمر،النصح والاقتراح والالتماس والنهي والتهديد...وقد تنجز الأفعال التوجيهية من خلال المنطوقات الإنجازية المباشرة،أي من خلال الأفعال المعجمية الدالة بنفسها دلالة معجمية صريحة على الغرض الإنجازي مثل "أمرك "و " أمنعك"و "اقترح "و"اطلب .."وقد تنجز من خلال المنطوقات الإنجازية غير المباشر،مثل خروج الأمر لدلالة التهديد أو الدعاء.فما كان أمرا في قد يصبح تهديدا في سياق ومقام معينين،بل إن الفعل اللغوي قد ينقلب ضد لفظه وصيغته فيصبح الفعل اللغوي الخبري فعلا إنشائيا و العكس أيضا صحيح .إن الفعل اللغوي[...] ليس فعلا أحادي المعنى ولا شفافا في أغلبه بل للمقام والسياق دور بنائي في عملية إنتاجه[2].

---

[1]- عبد الرحمان مرواني: **ترجمة الفعل الكلامي في الخطاب القرآني في ضوء نظرية أفعال الكلام**، مجلة العلوم الإنسانية، عدد51 –جوان 2019، ص479-480.

[2]- يحي رمضان:**القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والإجراء**، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عمان-الأردن، ط1، 2007، ص292.

يلاحظ إذا في الأفعال التوجيهية كثرة تعدد الدلالات الإنجازية للمنطوق الواحد بحسب السياق الذي يستعمل فيها لمنطوق الذي يتحدد دلاليا لا بالمدلول الموضوع له و إنما بقصد المتكلم و المقام .ويدخل في هذا الباب كل الجمل الطلبية سواء كان أمرا، أم نداء،أم استفهاما،أم دعاء،أم تمنيا،أم عرضا أم تحضيضا. وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في الآيات التالية:

أ– في سورة البقرة:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿43﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿44﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿45﴾الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿46﴾﴾

هنا الله تعالى يوبّخ أحبار بني إسرائيل، لأفعالهم وأعمالهم التي تنافي ما يدعون النَّاس إليه من البِر، فقد " ذكر بعض المفسرين العظام رواية عن الإمام محمّد بن علي الباقر (عليه السلام): في سبب نزول هذه الآية قال: "كَانَ حَيُّ بن أَخْطَبَ وَكَعْبُ بْنُ أَشْرَفَ وَآخَرُونَ مِنَ الْيَهُودِ، لَهُمْ مَأْكَلَة عَلَى الْيَهُودِ فِي كُلِّ سَنَة، فَكَرِهُوا بُطْلاَنَهَا بِأَمْرِ النَّبِيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فَحَرَّفُوا لِذَلِكَ آيَات مِنَ التَّوْرَاةِ فِيهَا صِفَتُهُ وَذِكْرُهُ فَذَلِكَ الثَّمَنُ الَّذي أُرِيدَ فِي الآية"[1].

– جشع اليهود: الآية المذكورة أعلاه تتطرق إلى البعض من بنود العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل.

– الأمر: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: " ائتوا بها مستقيمة بشروطها وأركانها، وواجباتها، ومكملاتها، وهذا كما أمر الله تعالى به بني إسرائيل أمر به الأمة، و ﴿الصَّلَاةَ﴾ هنا تشمل الفريضة والنافلة، وقوله تعالى:﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي أعطوا الزكاة، (وآتِ) التي بمعنى (أعطِ)[2]... ﴿وَالزَّكَاةَ﴾ هي المال المدفوع امتثالا لأمر الله إلى أهله من أموال

[1]– الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج1، ص 130.

[2]– **أعط**: تنصب مفعولين، المفعول الأول هنا الزكاة، والمفعول الثاني محذوف، والتقدير: أهلها.

مخصوصة معروفة، وسمي بذلك مال الزكاة، لأنه يزكي النفس، ويطهرها... وقوله تعالى:﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي صلوا مع المصلين، وإنما قلنا ذلك لأنه لا يُتعبد الله بركوع مجرد "[1].

– **التوبيخ**: وقد خرج الاستفهام إلى معنى التوبيخ في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: " توبيخ هؤلاء الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم، لأن ذلك مناف (للعقل)[2]..."[3].

قوة إنجازية حرفية ناتجة عن معنى الصيغة الحرفية التركيبية: (السؤال).

قوة إنجازية مستلزمة (أولى) متولدة عن معنى المعنى: (التّوبيخ).

قوة إنجازية مستلزمة (ثانية) متولدة عن معنى (معنى المعنى): (التعجب).

فالاستفهام في هذه الآية –حسب الشيخ ابن عاشور– وارد في معنى التوبيخ لعدم استقامة حمله على المعنى الحقيقي فاستُعمل في التوبيخ مجازا بقرينة المقام. وقد تولد منه معنى آخر هو التعجب من حال الموّبخ، وذلك لأن الحال التي وُبّخوا عليها حال عجيبة لما فيها من إرادة الخير للغير وإهمال النفس منه، فحقيق على كل سامع أن يعجب منها.

– **النصح و الإرشاد**: فعل كلامي غير مباشر دلت عليه القوة الإنجازية المستلزمة (الأمر) المتولدة عن المعنى والناتجة عن القوة الإنجازية الحرفية للتركيب في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ أي:" استعينوا على أموركم بالصبر، والصلاة، و

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ج1، ص 155.

[2]– **العقل هنا**: عقل الرشد، وليس عقل الإدراك الذي يناط به التكليف، لأن العقل نوعان: عقل هو مناط التكليف– وهو إدراك الأشياء وفهمها–، وهو الذي يتكلم عليه الفقهاء في العبادات، والمعاملات، وعقل الرشد–وهو أن يحسن الإنسان التصرف–، وسمي إحسان التصرف عقلا، لأن الإنسان عَقَّلَ تصرفه فيما ينفعه.

[3]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ط1، ص 158.

(الاستعانة) هي طلب العون، و "(الاستعانة بالصبر)"[1] أن يصبر الإنسان على ما أصابه من البلاء، أو حُمّل إياه من الشريعة، و﴿وَالصَّلَاةِ﴾ هي العبادة المعروفة، وتعم الفرض، والنفل"[2].

فالخطاب في هاته الآية موجه إلى بني إسرائيل، والأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة هنا لإرشادهم إلى ما يعينهم على التخلّق بجميع ما حُدّد لهم من الأوامر والنواهي التي أمرهم الله أن يلتزموا بها، فالقرآن يحث على الاستعانة بالصبر والصلاة وذلك للتغلب على الأهواء الشخصية والميول النفسية.

– **الإثبات:** في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ "كلمة (يظنُّون) من مادة (ظنّ) وقد تأتي بمعنى اليقين"[3]، وفي هذا الموضع تعني الإيمان واليقين القطعي، لأن الإيمان بلقاء الله والرجوع إليه، يحي في قلب الإنسان حالة من الخشوع والخشية والإحساس بالمسؤولية..."[4].

"ويحتمل أن يكون استعمال (ظن) في الآية للتأكيد، أي أنّ الإنسان لو ظنّ بالآخرة فقط فظنه كافٍ لأن يصده عن ارتكاب أي ذنب، وهو تقريع لعلماء اليهود وتأكيد على أنَّهم

---

[1]– قال أهل العلم: والصبر على ثلاثة أنواع: وأخذوا هذا التقسيم من الاستقراء، الأول: الصبر على طاعة الله، والثاني: الصبر عن معصية الله، والثالث:الصبر على أقدار الله، فالصبر على الطاعة هو أشقها، لأن الصبر على الطاعة يتضمن فعلا وكفا اختياريا: فعل الطاعة، وكفّ النفس عن التهاون بها، وعدم إقامته، فهو إيجادي، والصبر عن المعصية ليس فيه إلا كف فقط، لكنه أحيانا يكون شديدا على النفس، فالصبر على الطاعة أفضل من الصبر على المعصية، والصبر عن المعصية أفضل من الصبر على أقدار الله، لأنه لا اختيار للإنسان في دفع أقدار الله، لكن مع ذلك قد يجد الإنسان فيه مشقة عظيمة.

[2]– نفسه، ص160.

[3]– يقول الراغب في المفردات: الظن لما يحصل عن أمارة متى قويت أدّت إلى العلم،ومتى ضعفت جدّا لم تتجاوزحد التَّوهم.

[4]– الشيرازي،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج1، ص136.

لا يمتلكون إيمانا باليوم الآخر حتى على مستوى الظن، فلو ظنوا بالآخرة لأحسّوا بالمسؤولية، وكفوا عن التحريفات"[1].

– المدح: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ مدح الله الذين يتيقنون بهذا اللقاء، وأن هؤلاء المؤمنين يوقنون أنهم راجعون إلى الله في جميع أمورهم، "وهذا يستلزم أموراً:الخوف من الله لأنك مادمت تعلم أنك راجع إلى الله فسوف تخاف منه، ومراقبة الله عز وجل – المراقبة في الجوارح–،والخوف في القلب أي: أنهم سيرجعون إلى الله، فسوف يخشونه في السر والعلانية، وأخيرا الحياء منه، فلا يفقدك حيث أمرك، ولا يجدك نهاك"[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿178﴾﴾

الآيات السابقة طرحت المنهج الإسلامي في (البر)، وهنا يقدم القرآن الكريم –وهكذا في الآيات التالية– مجموعة من الأحكام الإسلامية لبيان المنهج الإسلامي في الحياة.

سبب نزول هذه الآية "أنه شاع بين القبائل العربية انتقام قبيلة من قبيلة أخرى ولم يكن لهذا الانتقام حدود، فقد يقتل رجل فتهدد قبيلته بقتل كل رجال قبيلة القاتل، فنزلت الآية وشرعت حكم (القصاص)[3] "[4].

---

[1]– شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي:**تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**،ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، 1415هـ،ص228.

[2]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ج1، ص 167.

[3]– **القصاص:** من قصّ أثره: أي تلاه شيئا بعد شيء، ومنه القصاص لأنه يتلو أصل الجناية ويتبعه، وقيل هو أن يفعل بالثاني مثل ما فعله بالأول، مع مراعاة المماثلة، ومنه أخذ القصص كأنه يتبع آثارهم شيئا بعد شيء.

[4]– أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم، ج1، دار ابن حزم، 701–774هـ،ص358.

"وهذا الحكم الإسلامي جاء ليقرر الموقف بين عرفين قائمين عند العرب، عرف يرى حتمية القصاص، وعرف يرى حتمية الدية.فجاءت الآية لتقرر القصاص عند عدم موافقة أولياء المقتول عن أخذ الدية، وإن وافقوا فالدية"[1].

– **النداء:** في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ "نداء المؤمنين بوصف (الإيمان) المحبَّب إليهم فيه مراعاة لطبيعة النفس البشرية التي يشقُّ عليها التكليف، فتحتاج إلى ما يسهّل عليها قبوله والاستجابة له، وإلى ما يحثّها ويدفعها للقيام به، فكان هذا النداء بهذا الوصف تسهيلًا وترغيبًا، وحثًّا، وتذكيرًا بأنّ الإيمان بالله يقتضي الاستجابة لأمره مهما كان شاقًّا على النفس"[2]، " فهذا النداء هو حيثية الحكم الذي سيأتي، ومعنى هذا القول: أنا لم أكلفكم اقتحاما على إرادتكم؛ أو على اختياركم، وإنما كلفتكم لأنكم دخلتم إلى من باب الإيمان بي، ومادمتم قد آمنتم بي فاسمعوا مني التكليف" [3].

وعليه فأهمية القصاص، تكمن في أن الله وجه الخطاب به إلى المؤمنين، وصدره بالنداء المستلزم للتنبيه، وتصدير الخطاب بالنداء فائدته التنبيه، وأهمية الأمر.

– **الأمر:** في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾، "أي فُرض، وسمي الفرض مكتوبا، لأن الكتابة تُثبت الشيء، وتوثقه "[4]،﴿ كُتِبَ﴾هنا في الآية: "هو إخبار عما كُتِبَ في اللَّوْحِ المحْفُوظ، وسبق به القضاء، ولا مُنافاة بين ما شُرِعَ وفُرِضَ علينا في القرآن والسنة، وما كُتِبَ في كتاب المقادير؛ إذ الكل سَبَقَ به عِلْمُ اللهِ، وأراده، فكان كما أراد"[5].

فالصيغة الخبرية:فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾.

---

[1]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج1، ص339.

[2]– يوسف العليوي: **الأساليب البلاغية في تيسير الصيام في القرآن**، مركز تفسير الدراسات القرآنية، www .tafsir.net

[3]– تفسير الشعراوي، الآية 178 من سورة البقرة.

[4]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ج1، ص 295.

[5]– أبي بكر جابر الجزائري، **أيسر التفاسير**، ج1، نهر الخير على أيسر التفاسير، 1410هـ–1990م، ص86.

أما الفعل الكلامي الغير مباشر وهو المعنى الضمني التي تعبر عنه "القوة الإنجازية الضمنية وتمثل في الأمر وذلك بالحث على تنفيد القصاص، لأن تنفيذه من مقتضى الإيمان، وأن ترك تنفيذه نقص في الإيمان،فما كان من مقتضى الإيمان تنفيذه فإنه يقتضي نقص الإيمان بتركه.

– **التخصيص والمماثلة**:فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ مراعاة التماثل بين القاتل، والمقتول، "ومنها أن الحر يقتل بالحر – ولو اختلفت صفاتهما– كرجل عالم عاقل غني جواد شجاع قتل رجلا فقيرا أعمى أصم أبكم زمنا جبانا جاهلا فإنه يقتل به، لعموم قوله تعالى: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾، و" أن العبد يقتل بالحر،لأنه إذا قُتل الحر بالحر فمن باب أولى أن يقتل العبد بالحر، وأن العبد يُقتل بالعبد –ولو اختلفت قيمتهما– لعموم قوله تعالى: ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾... وأن الأنثى تُقتل بالأنثى –ولو اختلفت صفاتها– لعموم قوله تعالى: ﴿وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ "[1].

فقد أوجب الله تعالى في هذه الآية المساواة، ثمّ بيّن هذه المساواة بالحرّ يساويه الحر، والعبد يساويه العبد، والأنثى تساويها الأنثى، فكأنه تعالى يقول: اقتلوا القاتل إذا كان مساوياً للمقتول، قالوا: ولا مساواة بين الحر والعبد فلا يقتل به، وكذلك لا مساواة بين المسلم والكافر فلا يقتل به.

– **الوعد والوعيد**: فعل كلامي غير مباشر وهو المعنى الضمني الذي تعبر عنه القوة الإنجازية الضمنية في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ المتمثلة في وعد و" امتنان من الله سبحانه على عباده بما في هذا التشريع الذي يتضمن فتح باب العفو والاكتفاء بالدية فإنها تخفيف على القاتل وتعود بالنفع لأولياء القتيل " [2]، الوعيد: في قوله تعالى:﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ "هنا تحذير لمن يرجع بعاطفة الغضب إلى قصد الانتقام فيقتل الجاني

[1]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 299–300.

[2]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ص202.

الذي سبق العفو عنه مقابل الدّية، فهذا المعتدي له عذاب في الدنيا بالقصاص منه وعذاب الآخرة بما أعّد الله له من عقاب"[1].

هذا الأمر بالقصاص وبالعفو يشكل تركيبا إنسانيا منطقيا، فهو من ناحية يدين التقاليد السائدة في الجاهلية الأولى والجاهليات التالية إلى يومنا هذا القاضية بالانتقام للمقتول الواحد بقتل الآلاف، ومن ناحية أخرى يفتح باب العفو أمام المذنب، مع الحفاظ على احترام الدم وردع القاتلين، كما أنه لا يحق للطرفين بعد العفو وأخذ الدية التعدّي، خلافا للجاهلين الذين كانوا يقتلون القاتل أحيانا بعد العفو وأخذ الدّية.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿180﴾فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿181﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿182﴾ ﴾

الآيات السابقة ذكرت تشريع القصاص، وهذه الآيات تذكر تشريع الوصية، باعتبارها جزءا من النظام المالي وتذكر بأسلوب الحكم الإلزامي فتقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ إذ أنَّ الآية الكريمة، " اشتملت على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين، وقد كان ذلك واجبًا – على أصح القولين – قبل نزول آية المواريث، فلما نزلت آية الفرائض نسخت هذه، وصارت المواريث المقدرة فريضة من الله، يأخذها أهلها حتمًا من غير وصية ولا تحمل منَّة الموصي، ولهذا جاء الحديث في السنن وغيرها عن عَمْرو بن خارجة قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب وهو يقول: "إن الله قد أعطى كلّ ذي حق حقه، فلا وصية لوارث"[2].

– **الأمر**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ الصيغة الخبرية:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ " بمعنى وجب عليكم، وحضور الموت حدوث أسبابه وظهور

[1]– عفيف عبد الفتاح طبارة: المرجع السابق، ص202.

[2]– تفسير ابن كثير، ج1، ص234.

علامات على أن الموت صار قريبا بسبب العلل والهرم البالغ والأمراض الخطيرة "[1]، والفعل" فُرِض، فهو فعل مبني لما لم يسم فاعله، وفاعله معلوم —وهو الله عز وجل–، ونائب الفاعل قوله تعالى: ﴿الْوَصِيَّةُ﴾، إنّما لم يُؤنث الفعل لكون نائب الفاعل مؤنثا تأنيثا مجازيا، وللفصل بينه وبين عامله"[2].

أما الفعل الكلامي الغير مباشر المتضمن في القول والتي عبرت عنه القوة الإنجازية الحرفية:في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي فرض عليكم يا معشر المؤمنين،فالخطاب هنا موجه من الله عزّ وجل إلى المؤمنين وهذا الخطاب فيه حث وأمر بـ:"الوصية"[3]، " والتعريف في الوصية تعريف الجنس أي كتب عليكم ما هو معروف عندكم بالوصية للوالدين والأقربين، فقوله تعالى: ﴿لِلْوَالِدَيْنِ﴾ متعلق بالوصية معمول له، لأن اسم المصدر يعمل عمل المصدر ولا يحتاج إلى تأويله بأن والفعل، والوصية مرفوع نائب من الفاعل لفعل كُتِبَ "[4].

– **التخصيص:** فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ "مصدر مؤكد ل(كُتِبَ) أنه بمعناه (وعلى المتقين) صفة أي حقا كائنا على المتقين"[5].

فقد خص الله عز وجل هذا الحق بالمتقين ترغيبا في الرضى به، فما كان من أمر المتقي هو أمر نفيس فليس في الآية دليل على أن هذا الوجوب على المتقين دون غيرهم من العصاة، بل معناه أن هذا الحكم من التقوى وأن غيره معصية.

– **التهديد:** فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى: ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾" أي بدل (الإيصاء) المفهوم من ﴿الْوَصِيَّةُ﴾: أي غيره

---

[1]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ص205.

[2]- محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ج1، ص306.

[3]- **الوصية:** حسب تعريف ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير بأنها الأمر بفعل شيء أو تركه مما فيه نفع للمأمور أو للآمر في مغيب الآمر في حياته أو فيما بعد موته، وشاع إطلاقها على أمر بشيء يصلح بعد موت الموصى.

[4]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص147.

[5]– نفسه، ص147.

بنقص،أو زيادة، أو منع، إن نقص فالضرر على الموصى له، وإن زاد فعلى الورثة، وإن منع فعلى الوصى له، كل هذه الصور الثلاث تدخل في قوله تعالى: ﴿فَمَن بَدَّلَهُ﴾"[1]، ومنه إحاطة الله بكل أعمال الخلق، لأن قوله تعالى: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ذكر عقب التهديد في قوله تعالى: ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾،لأن مقتضى السياق أن يقال:فإنما إثمه عليه، لكن أظهر للإشارة إلى استحقاق الإثم، وأنه بالتبديل "[2]

في الآية تحذير وتهديد للموصى إليه من المخالفة، لأن الله تعالى يسمع ويعلم بكل ما يقول به الإنسان، فإثبات الاسمين من أسماء الله، وهما (السميع) و(العليم)، وما تضمناه من الصفة والحكم الذي هو الأثر، فالسميع اسم، والسمع صفة، وكونه يسمع هو الأثر أو الحكم، والعليم كذلك.

– **الظن والتوقع**: فعل كلامي غير مباشر ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] "معنى خاف هنا الظن والتوقع، لان ظن المكروه خوف فأطلق الخوف على لازمه وهو الظن والتوقع إشارة إلى أن ما توقعه المتوقع من قبيل المكروه..."[4] والمعنى:أي من علم في وصية الموصي ميلا عن الحق خطأ أو إثما مقصودا بأن حرم من وصيته من يستحق من أقربائه وترك فقراءهم، وأوصى لبني ابنه ليكون المال لأبيهم ﴿ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾أي من علم ذلك فسعى في إصلاح الوصية وطلب من الموصي تبديل وصيّته أو سعى في إصلاح الوصية بعد وفاة الموصي بتبديل ما هو جائز إلى ما هو حق فأصلح ما وقع

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ص309.

[2]– نفسه، ص311.

[3]– يقول ابن عثيمين: الجنف: الميل من غير قصد والإثم عن قصد. فالإثم هو الذنب الذي يفعله الإنسان عن قصد والجنف هو عكس ذلك.

[4]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص153.

بين الورثة من خلاف فلا إثم عليه،بل يكون له ثواب الإصلاح ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي إنه سبحانه وتعالى واسع المغفرة والرحمة لمن قصد الإصلاح في الوصية "[1].

في هذه الآية الكريمة تظهر عظمة التشريع الإسلامي بتوجيه أولوا الأمر بأن يجعلوا الوصية في حدود العدل والحق ليس فيها جنوح إلى الظلم فتمنح أشخاصا غير مستحقين وتَحرم آخرين أحقّ منهم بالوصية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿183﴾أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿184﴾شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿185﴾﴾

في سياق طرح مجموعة من الأحكام الإسلامية، تناولت هذه الآيات أحكام واحدة من أهم العبادات، وهي عبادة الصوم، وبلهجة مفعمة بالتأكيد قالت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

– **النداء:** فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ سبق الكلام على ذكر فائدة تصدير الخطاب بالنداء بوصف الإيمان للمنادى.

– **الأمر:** فعل كلامي غير مباشر يعبر عن المعنى الضمني في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾كُتب:" أي فُرض،و الذي فرضة هو الله سبحانه وتعالى،و﴿الصِّيَامُ﴾ "مصدر يعمل عمل فعله–أي كتب عليكم أن تصوموا أياما معدودات" [2].

[1]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ص208.

[2]– عفيف عبد الفتاح طبارة: المرجع السابق، ص320.

في هذه الآية الله تعالى يخاطب المؤمنين من هذه الأمة ويأمرهم بـ:(الصيام)[1].

– **التوضيح**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قد ذكر الله تعالى أنه كما أوجب الصيام عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك، "فهنا الإخبار غرضه الإعلام، لأنه منطوق معبر عن المعنى الحرفي"[2].

– الآية التالية تتجه أيضا إلى التخفيف من تعب الصوم وتقول[3]:

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ فالفريضة لا تحتل إلا مساحة صغيرة من أيام السنة، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، فالمريض و المسافر يعفيان من الصوم، وعليهما أن يقضيا صومهما في أيام أخرى، قوله تعالى: فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ " قال ابن العربي: هذا القول من لطيف الفصاحة لأن تقديره: فأفطر فعدة من أيام أخر، فحذف الشرط و المضاف ثقة بالظهور "[4].

ثم تصدر الآية عفوا عن الطاعنين في السن: وعن المرضى الذين لا يرجى شفاؤهم، وترفع عنهم فريضة الصوم ليدفعوا بدلها كفارة، فتقول: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[5].

---

[1]– حسب تفسير ابن كثير: الصيام هو:الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل، لما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة.

[2]– أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ زهير جعيد،ج2،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، 2005، ص177.

[3]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج1، ص351.

[4]– محمد علي الصابوني: روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن،ج1، ص197.

[5]**- يطيقونه**: من (الطوق) وهو الحلقة التي تلقى على العنق، أو توجد عليه بشكل طبيعي (كطوق الحمام) ثم أطلقت الكلمة على نهاية الجهد والطاقة، والضمير في (يطيقونه) يعوم على الصوم، أي الذين يبذلون غاية طاقتهم لدى الصوم، أو بعبارة أخرى: الذين يجهدهم الصوم ويثقل عليهم، وهم الطاعنون في السن والمرضى الذين لا يرجى علاجهم، فهؤلاء معفوون من الصوم وعليهم أن يدفعوا الفدية بدل ذلك (وعلى المرضى الذين يشفون أن يقضوا صومهم).

ثم تقول الآية: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾[1] تطوع للإطعام أكثر من ذلك فهو خير له.

– **الترغيب**: في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ "المراد بالخير هنا التفضيل، يعني أن تصوموا خير لكم من الفدية، وهذا يمثل به عند النحويين للمبتدأ المؤول: فإن قوله تعالى: "﴿وَأَن تَصُومُوا﴾ فعل مضارع مسبوك مع "﴿أنْ﴾ المصدرية بمصدر، والتقدير: صومكم خير لكم من الفدية"[2]، فالعبارة في قوله تعالى:﴿وَأَن تَصُومُوا﴾فيها " ترغيب في الصوم وتأنيس به" [3].

قول قوة إنجازية حرفية ناتجة عن معنى الصيغة الحرفية التركيبية: (التأكيد).

قوة إنجازية مستلزمة (أولى) متولدة عن معنى المعنى: (الأمر).

– **الأمر**: فعل كلامي مباشر دلت عليه الصيغة الحرفية لقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ "﴿شَهِدَ﴾ بمعنى شاهد، وقيل: بمعنى حضر، فعلىالقول الأول يرد إشكال في قوله تعالى: ﴿الشَّهْرَ﴾، لأن الشهر مدة مابين الهلالين، والمدة لا تشاهد، والجواب أن في الآية محذوفا، والتقدير: فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه، والقول الثاني أصح: أن المراد بـ﴿شَهِدَ﴾ حضر، ويرجح هذا قوله تعالى:﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾، لأن قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ يقابل الحضر، قوله تعالى: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ أي فليصم نهاره "[4]

---

[1]– قيل في عبارة: ﴿ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ إنَّها إشارة إلى الصوم المستحب، وقيل أيضا: إنَّها تأكيد على أنّ الصوم ينبغي أن يكون ن رغبة وطواعية، لا عن إجبار وإكراه.

[2]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم،ج1، ص324.

[3]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص168.

[4]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم،ج1، ص334.

– **التأكيد:** فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى:﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾" فمن شهد: أي حضر أو علم، والمعنى: فمن حضر منكم دخول الشهر أو حلوله بأن كان مقيما وليس عنده عذر يمنعه من الصوم، أو علم منكم بحلول شهر رمضان[1]"[2].

– **التكرار:** في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ "تكررت هذه الجملة في الدعوة إلى الصوم وذلك لأهمية تلك الرخصة التي شرّعها الله للتخفيف من مشقة الصيام على المريض والمسافر، والحكمة من هذه الرخصة بيّنها الله بقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ أي يريد الله لكم ما فيه السهولة واليسر للتخفيف عنكم من عناء الصوم حيث أباح الفطر لكم عند السفر أو المرض﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولا يريد الله أن يرهقكم بالصوم عند المرض أو السفر لرأفته وسعة رحمته بكم"[3].

أعاد الله سبحانه وتعالى تكرار هذه الآية تأكيدا لبيان رخصة الإفطار، وأن الرخصة حتى بعد أن تعين الصيام باقية، وهذا من بلاغة القرآن، وعليه فليست هذه الجملة من الآية تكرارا محضا، بل تكرار لفائدة.

– **التعليل:** في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ تقدم الكلام عليها إعرابا ومعنى.

---

[1]– المراد بالشهر في الآية: الهلال،فقد كان العرب تعبّر عن الهلال بالشهر، فعلى كل من رأى هلال رمضان وثبتت عنده رؤية غيره له عليه أن يبدأ صومه، ويثبت شهر رمضان بأحد الأمرين: الأول: أن يُرى الهلال فعليّا إذا كانت السماء صافية.

الثاني: إذا كانت السماء غائمة ويمتنع معها رؤية الهلال فيجب إكمال شعبان ثلاثين يوما لقول النبي ﷺ: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمّض عليكم، فأكملوا عدّة شعبان ثلاثين (راجع ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص177).

[2]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ص213-214.

[3]– نفسه، ص 214.

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾"عطف على جملة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ...﴾، إذ هي في موقع العلة كما علمت، فإن مجموع هذه الجمل الأربع هي تعليل لما قبلها من قوله::﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾ إلى قوله:﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾"[1].

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾، الواو عاطفة، واللام لام تعليل،لأنها مكسورة، ويكون العطف على قوله تعالى: ﴿الْيُسْرَ﴾، يعني يريد الله سبحانه وتعالى بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر، ويريد لتكملوا العدة، و(أراد) إذا تعدت باللام فإن الفعل (أراد) يتعدى بنفسه... وهنا: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ يعني: وأن تكملوا العدة، أي: ويريد الله منا شرعا أن نكمل العدة"[2].

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ الواو للعطف،﴿لِتُكَبِّرُوا﴾ معطوفة على ﴿لِتُكْمِلُوا﴾ بإعادة حرف الجر، " والمراد بهذا التكبير هو تعظيم الله على ما هداكم إليه من صيام هذا الشهر المبارك بأن تقولوا: (الله أكبر) وهي جملة تدل على أن الله أعظم من كل عظيم، وإثبات العظمة له وحده يستلزم نقصان من عداه الذي لا يستحق الألوهية[3]"[4].

قوله تعالى:﴿عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾،"﴿عَلَىٰ﴾: "قيل: إنها للتعليل،وليست للاستعلاء،أي تكبروه لهدايتكم، وعبر ب ﴿عَلَىٰ﴾ دون اللام إشارة- والله أعلم- إلى أن التكبير يكون في

---

[1]- ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص175.

[2]- محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم،ج1، ص335.

[3]- من السنة النبوية أن يكبّر المسلمون عند الخروج إلى صلاة عيد الفطر، ويكبّر الإمام في صلاة العيد ويكبّر المسلمون معه كما يكبّر الإمام في خطبة العيد،وينقطع التكبير عند انقضاء صلاة العيد. والمشروع في هذا التكبير أن يقول الإنسان: (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، وإن شاء أوتر فقال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر،لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، وإن شاء أوتر باعتبار الجميع فقال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد)والأمر في هذا واسع.

[4]- عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ص214-215.

آخر الشهر، لأن أعلى كل شيء آخره،﴿مَا﴾ هنا مصدرية تسبك هي، وما بعدها بمصدر، فيكون التقدير: على هدايتكم[1] "[2].

والمعنى: يريد الله أن تكملوا العدة وتكبروا الله، وإكمال العدة يحصل بقضاء الأيام التي أفطرها من وجب عليه الصيام ليأتي بعدة شهر رمضان كاملة،لأن في تلك العدة حكمة جب المحافظة عليها، فبالقضاء حصلت حكمة التشريع وبرخصة الإفطار لصاحب العذر حصلت رحمة تخفيف الله عز وجل لعبادة.

قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ "تعليل آخر وهو أعم من جملة ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ فإن التكبير تعظيم يتضمن شكرا والشكر أعم، لأن يكون بالأقوال التي فيها تعظيم لله تعالى ويكون بفعل القرب من الصدقات في أيام الصيام وأيام الفطر، ومن مظاهر الشكر لبس أحسن الثياب يوم الفطر"[3]، "(لعل) هنا للتعليل، و﴿تَشْكُرُونَ ﴾ على أمور أربعة: إرادة الله بنا اليسر، عدم إرادته العسر، إكمال العدة، التكبير على ما هدانا، هذه الأمور كلها نِعَم تحتاج أن نشكر الله عز وجل عليها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4]"[5].

وهكذا لما ذكر اللهُ تعالى أحكامَ الصيام وفِقْهَه، وعَزائِمَه ورُخَصَه، أمر عبادَه إذا أكملوا عِدَّةَ الشَّهرِ وأتمُّوا صيامَه أن يكبِّروه شُكراً على ما هداهم إليه من الصيام وغيره من الطاعات، وكذلك أمرهم إذا قَضَوا مَناسِكَهم أن يشكروه على ما هداهم؛ لأَنَّه أعطاهم ما لم يُعْطِ غيرَهم، وفَضَّلهم واختصهم، فهذه الآية "دلت على الأمر بالتكبير، إذ جعلته مما يريده الله،وهو غير

---

[1]- **الهداية تشمل**: هداية العلم، وهداية العمل، وهي التي يعبر عنها بهداية الإرشاد، وهداية التوفيق، فالإنسان إذا صام رمضان وأكمله، فقد منَّ الله عليه بهدايتين: هداية العلم، وهداية العمل.

[2]- محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم،ج1، ص336.

[3]- ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص177.

[4]- **الشكر**: هو القيام بطاعة المنعم بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

[5]- تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص336.

مفصَّل في لفظ التكبير، ومجمل في وقت التكبير، وعدده، وقد بينت السنة القولية والفعلية ذلك على اختلاف بين الفقهاء في الأحوال"[1].

فضـيلة الصـيام: عن سهلِ بنِ سعد عن النبي ﷺ قَالَ :"إِنَّ فِي الجَنَّة بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يدْخُلُ مِنْهُ الصَّائمونَ يومَ القِيامةِ، لاَ يدخلُ مِنْه أَحدٌ غَيرهُم، يقالُ: أَينَ الصَّائمُونَ؟ فَيقومونَ لاَ يدخلُ مِنهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فإِذا دَخَلوا أُغلِقَ فَلَم يدخلْ مِنْهُ أَحَدٌ "[2] متفقٌ عَلَيْهِ.

وعنْ أَبي هُرَيرةَ، عن النبي ﷺ قالَ :" مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحْتِسابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذنْبِهِ" [3] متفقٌ عَلَيْهِ.

شرع الله الصيام في الإسلام لما فيه من الخير والفضائل والفوائد الكثيرة التي تعود على الفرد والمجتمع منها:

– أن الصيام يربي في الصائم الوازع الإنساني الداخلي الذي يحفزه نحو الخير والعطف على المساكين، فإن الصائم إذا ذاق ألم الجوع في شهر رمضان ذكر ما يُقاسيه المساكين من آلام الجوع في سائر الأيام فيتسارع إليه شعور الرحمة بهم والعطف عليهم "[4].

– الصوم يُدخل الصائم إلى الجنة من باب الريان.

يختص شهر رمضان بكونه شهر الصوم عند المسلمين، ويختص بكونه أفضل أنواع الصوم، فيختص بكونه فرضا بمعنى: أن العبادة المفروضة أفضل من النفل، والتقرب إلى الله بما فرض أفضل رتبة من التقرب بالنوافل، كما يختص شهر رمضان بفضيلة نزول القرآن فيه، وبقيام

---

[1]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص177.

[2]– أبي عبد الله محمد ابن اسماعيل البخاري:**صحيح البخاري**، ط1، دار ابن كثير، دمشق–بيروت، (1423هـ–2002م)، ص357.

[3]– أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان، برقم (38)، وبرقم (1901)، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح، برقم (760).

[4]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ص211.

ليله وغير ذلك، وشهر رمضان يقال له شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وصوم رمضان كفارة للذنوب.

وأخيرا إن في الصيام شفاء كبير من الكثير من الأمراض والعلل وعلى رأسها تعزيز النظام المناعي للجسم، ومنحه الفرصة لممارسة مهامه بشكل أفضل، وتخفيف الأعباء عن أجهزة الجسد التي يرهقها الطعام الزائد، فمع صيام شهر رمضان المبارك، تتجدد الخلايا وتبدأ بطرد السموم المتراكمة طيلة العام، مما يمنح الفرد مزيدًا من الطاقة والصحة والراحة النفسية أيضًا.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴿187﴾﴾

سبب نزول هذه الآية أنه جاء في رواية عليّ بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه رفعه إلى أبي عبد الله ـ جعفر الصادق (ع) ـ قال:«كان الأكل محرّماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم، وكان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان، وكان رجل من أصحاب رسول الله (ص) يُقال له مطعم بن جبير، أخو عبد الله بن جبير الذي كان رسول الله وَكَلَهُ بفم الشِّعب يوم أُحُد في خمسين من الرماة، وفارقه أصحابه وبقي في اثني عشر رجلاً، فقتل على باب الشِّعب، وكان أخوه هذا مطعم بن جبير شيخاً ضعيفاً وكان صائماً، فأبطأت عليه أهله بالطعام، فنام قبل أن يفطر. فلمّا انتبه قال لأهله: قد حرم عليّ الأكل في هذه الليلة، فلمّا أصبح حضر حفر الخندق فأغمي عليه، فرآه رسول الله (ص) فرقّ له. وكان قوم من الشباب ينكحون بالليل سراً

في شهر رمضان، فأنزل الله هذه الآية، فأحل النكاح بالليل في شهر رمضان والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر"[1].

الآية الكريمة تتضمن أربعة أحكام إسلامية في حقل الصوم والاعتكاف، تقول أولا:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ تضمنت هذه الآية مايلي:

– **الإخبار:** فعل كلامي مباشر بصيغته الحرفية في قوله تعالى:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾[2]،" أي أحل الله لكم –أيها المؤمنون– مُباشرة نسائكم في أي وقت من ليالي شهر رمضان "[3]، "ونائب الفاعل فيه: ﴿الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾، والمراد ب ﴿لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ جميع ليالي رمضان" [4].

– **المعاتبة:** فعل كلامي غير مباشر متضمن في الصيغة الخبرية لقوله تعالى:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ هذه معاتبة من الله عز وجل لعباده المؤمنين الضعفاء.

ثم تذكر الآية سبب الحكم فتقول:

– **التعليل:** في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾،" الجملة استئنافية للتعليل –أي تعليل حل الرفث إلى النساء ليلة الصيام– لأن الزوج لا يستغني عن زوجة فهو لها بمثابة اللباس، وكذلك هي له بمنزلة اللباس، وعبر سبحانه باللباس لما فيه من ستر العورة، والحماية، والصيانة"[5].

---

[1]– الفضل بن حسن الطبرسي: **مجمع البيان في تفسير القرآن**، ج2، كارخان عالجاه علبقلبخان، طهران، (1304هـ-1886م)، ص503.

[2]– **الرفث**:حسب تفسير الأمثل هو الحديث المكشوف عن المسائل الجنسية، واستعير بمعنى الجماع كما في الآية.

[3]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ص218.

[4]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم،ج1، ص346.

[5]– نفسه، ص346-347.

– **الأمر**: في قوله تعالى:﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فعلا كلامي مباشر بصيغتة الحرفية الظاهرة،أما المعنى المتضمن في القول المستلزم حواريا هو الدعاء، " أي اطلبوا ما قدر الله لكم من الولد، وذلك بالجماع الذي يحصل به الإنزال"[1].

ثم تبين الآية الحكم الثاني، في قوله تعالى: ﴿وكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ هنا خرج الأمر إلى معنى الإباحة، "الخيط الأبيض هو خيط الفجر يشق السماء بنور كالخط ثم ينتشر ذلك الخط شيئا فشيئا حتى يختفي الظلام ويكون النهار، والخيط الأسود ما يكون حول ذلك الخيط الأبيض من ظلام، وهذان الخطان يبدوان في الفجر، وقد شبه القرآن النهار بخيط أبيض وسواد الليل بخيط أسود "[2]، والمقصود من الآية: " للمسلم –إذن– أن يأكل ويشرب في الليل، حتى إذا طلع الفجر يمسك "[3]، هنا استعارة المراد بها حتى يتبن الصبح من سواد الليل، والخيطان ها هنا مجاز، وإنّما شبهها بذلك لأن بيان الصبح يكون في أول طلوعه مشرقا خافيا، ويكون سواد الليل منقضيا موليّا.

فقد خرج الأمر بالأكل والشرب في هذه الآية عن معناه الحرفي، الأمر على سبيل الوجوب والإلزام إلى معنى الإباحة بقرينة السياق.

وتبين الآية الحكم الثالث: في قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾تضمن ما يلي:

– **الأمر**: في قوله تعالى: ﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾فعل كلامي مباشر بصيغته الحرفية، ولفظة (ثُمَّ أَتِمُّوا) أي:" ثم ابدأوا صومكم من طلوع الشمس إلى غروب الشمس"[4].

ففي هذه الآية الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بإكمال الصيام على وجه التمام، إلى دخول الليل وذلك بغروب الشمس.

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم،ج1، ص348.

[2]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ص219-220.

[3] – الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج1، ص366.

[4]– روح القرآن، مرجع سابق، ص220.

– **التأكيد:** فعل كلامي غير مباشر دل عليه قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ "هذه الجملة هي تأكيد على حظر الأكل والشرب والنكاح في أيّام شهر رمضان للصائمين، وتشير إلى أن الحظر يبدأ من طلوع الفجر وينتهي عند الليل "[1].

تطرح الآية بعد ذلك الحكم الرابع:في قوله تعالى:﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾

– **النهي:** فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ هذا نهي من الله عز وجل للمعتكف أنه لا يجوز له المباشرة، والمعنى: "ولا تقربوا نساءكم في حال اعتكافكم[2] في المساجد "[3]. وهناك نهي آخر في قوله تعالى:﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾"(تي) اسم إشارة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، والمشار إليه ما ذكر من أحكام: الأكل، والشرب، والجماع في ليالي رمضان، و ﴿حدُودُ﴾ جمع حد، و (الحد) في اللغة المنع، ومنه حدود الدار، لأنها تمنع دخول غيرها فيها، فمعنى ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي موانعه "[4].

---

[1]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج1، ص366.

[2]- الاعتكاف شرعا: لزوم المسجد والمكث فيه لطاعة الله والتقرب إليه، والاعتكاف سُنَّة ولا يجوز في غير المسجد، ويجوز الاعتكاف بغير صوم والأفضل أن يصوم معه، وكان رسول الله ﷺ يعتكف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، وأقل الاعتكاف عند مالك وأبي حنيفة يوم وليلة، والجماع في حال الاعتكاف يبطلُهُ (راجع المرجع السابق).

[3]– نفسه، ص220.

[4]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم،ج1، ص349.

*يجب الإشارة هنا إلى أن الحد حسب تفسير ابن عثيمين: هو الحاجز بين الشيئين المتقابلين ليمنع دخول أحدهما في الآخر، وسُميت أحكام الله حدود ا لأنها تحجز بين الحق والباطل.

*واعلم أن حدود الله نوعان:

– حدود تمنع من كان خارجها من الدخول فيها، وهذه الحدود هي المحرمات، ويقال فيها:﴿ **فَلَا تَقْرَبُوهَا**﴾.

– و حدود تمنع من كان فيها من الخروج منها، وهذه هي الواجبات، ويقال فيها: ﴿ **فَلَا تَعتَدُوهَا**﴾.

قوله تعالى:﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ " الفاء للتفريغ، و (لا) ناهية، وإنَّما نهى عن قربانها لنبعد عن المحرم، لأن الوسائل لها أحكام المقاصد، وكم من إنسان حام حول الحمى فوقع فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، فالمحرمات ينبغي البعد عنها وعدم قربها"[1].

في هذه الآية بيان لتحريم المباشرة في حال الاعتكاف، وهو من حدود الله محرم، فيجب أن نقف عند حدود الله، فما أباحه الله لنا فلا بأس بفعله، وما حذّرنا ونهانا عنه فعلينا الابتعاد عنه والحذر والخوف منه، فكل هذه الأوامر التي وردت في الآية:كلوا، واشربوا، أتموا الصيام ، لا تقربوها، تحتوي على محتوى قضوي وهو فعل تلك الأوامر في المستقبل، مطلوب من المكلفين، وهم قادرون على إنجاز تلك الأفعال، والمتكلم على يقين من قدرتهم على إنجاز الأفعال.

– **التعليل**: في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ "(لعل) للتعليل، أي يتقون الله عز وجل وتقوى الله سبحانه وتعالى هي اتخاذ وقاية من عذابه بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، وهذا أجمع ما قيل في التقوى"[2].

وهكذا نرى آيات الصيام قد ختمت بالتقوى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ كما بدأت في مطلع آيات الصوم بقوله: ﴿لَعَلَّكمْ يَتَّقُونَ﴾ وذلك لبيان تأثير الصوم في اتقاء المعاصي، ومدى أهميته في القُربى من الله تعالى، فالصيغة الظاهرة في هذه الآية هي بيان الله سبحانه وتعالى حكم الأكل، والشرب في الليل، وحكم المباشرة للنساء وحكم الاعتكاف، وموضعه...الخ، أما المعنى المتضمن في القول المستلزم حواريا هو ترغيب العباد في الامتثال بالأحكام السابقة.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿188﴾﴾

هذه الآية الكريمة تشير إلى أحد الأصول المهمة والكليّة للاقتصاد الإسلامي الحاكمة على مجمل المسائل الاقتصادية، بل يمكن القول إنّ جميع أبواب الفقه الإسلامي في دائرة

[1]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ج1، ص349.

[2]–نفسه، ص350.

الاقتصاد تدخل تحت هذه القاعدة، ولذا نلاحظ أنّ الفقهاء، العظماء تمسكوا بهذه الآية في مواضيع كثيرة في الفقه الإسلامي.

أما مناسبة هذه الآية لما سبق مناسبة واضحة،" لأن ماسبق في آيات الصيام تحريم لأشياء خاصة في زمان خاص، وهذه الآية تحريم عام في زمانه، وفي مكانه، هذا وجه المناسبة: أنه لما ذكر التحريم الخاص الذي يحصل في الصيام بيَّن التحريم العام الذي يحصل في الصيام، وفي غير الصيام"[1].أما سبب نزولها هو:"أن امرؤ القيس بن عابس وعبدان الحضرمي، اختصما في أرض، وكان عبدان هو الطالب ولا بينة له، فأراد امرؤ القيس أن يحلف، فقرأ عليه النبي [صلى الله عليه وآله وسلم) :[إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) فكره أن يحلف، ولم يخاصم في الأرض، فنزلت هذه الآية. هذا قول جماعة، منهم :سعيد بن جبير"[2] .

– **النهي**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ...﴾، " أي لا يأخذ بعضكم مال بعض ويستولي عليه بغير حق، وعبر عن أخذ المال بالأكل، لأن الأكل أهم وسائل الحياة وفيه تصرف الأموال غالبا"[3]، وفي الآية نهي آخر في قوله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أي "ولا تلقوا بالأموال إلى الحكام رشوة لهم،﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ أي لتأخذوا عن طريق حكمهم قطعة من أموال غيركم متلبسين بالإثم كاليمين الكاذبة أو شهادة الزور"[4].

خص الله تعالى هذه الآية بالنهي بعد ذكر ما يشملها وهو أكل الأموال بالباطل، وللدلالة على أن معطي الرشوة آثم مع أنه لم يأكل مالا بل آكل مال غيره، فيكون النهي هنا عن مجموع الأمرين: أي لا تأكلوها بينكم مدلين بها إلى الحكام، وهو يشير هنا إلى أن النهي

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين: المرجع السابق، ج1، ص363.

[2]– الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي: **زاد المسير في علم التفسير**، ج1، دار ابن حزم، ط1، بيروت –لبنان، (1423هـ–2002م)، ص109.

[3]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ص221.

[4]– نفسه، ص222.

في هذه الآية هو الرشوة خاصة فيكون المراد الاعتناء بالنهي من هذا النوع من أكل الأموال بالباطل.

– **التوبيخ**: فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ "الجملة حالية، وهي قيد للحكم على أعلى أنواع بشاعته، لان من أكل أموال الناس بالباطل عالما أبشع مما لو أكله جاهلا"[1]، فالمعنى المتضمن في القول المستلزم حواريا هو التوبيخ، أي مع علمكم أن فعلكم هذا هو إثم وباطل إلا أنكم تقومون بارتكاب المعصية.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿196﴾﴾

بعض أحكام الحج والعمرة (أقسام النسك):

ذُكِرت أحكام الحج بعد ذكر أحكام الصيام،لأن شهوره تأتي مباشرة بعد شهر الصيام،أما تاريخ نزول الآيات المتعلقة بالحج في القرآن الكريم فإنه لا يعلم بدقة، "ولكن يرى بعض المفسرين العظام أنها نزلت في حجة الوداع، في حين يرى البعض في جملة﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ ناظرة إلى حادثة(الحديبيَّة) الواقعة في السنة السادسة للهجرة حيث منع المسلمون من زيارة بيت الله الحرام"[2].

– **الأمر**: فعل كلامي مباشر الذي دلت عليه القوة الإنجازية الحرفية، في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فالله تعالى أمر المؤمنين بإتمام الحج والعمرة، وأداء المناسك على الوجه الأكمل ابتغاء وجه الله، "والمراد بإتمام الحج والعمرة الإتيان بهما تامين كاملين بمناسكهما

[1]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ج1، ص366.

[2]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص392.

وشرائطهما، ظاهرا بأداء المناسك على وجهها، وباطنا بالإخلاص لله تعالى من غير رياء ولا سمعة"[1].

– **التصريح والتوضيح**:في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، "والإحصار هو المنع،أي إن منعكم مانع من دخول مكة أو عن إتمام مناسك الحج والعمرة كمرض أو عدُوّ، وأردتم (التحلل)[2] من الإحرام ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ فعليكم تقديم ما تيسر لكم من (الهدي)[3] من غير كلفة ولا مشقة، كشاة مثلا"[4].

– **النهي**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ فقد نهى الله عز وجل عن حلق الشعر أو تقصيره لأنه مظهر من الانتهاء من الإحرام. والمعنى: " أي لا تزيلوها بالموسى ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾: المحل يحتمل أن يكون اسم زمان، والمعنى: حتى يصل إلى يوم حلوله –وهو يوم العيد– وثبتت السنة بأن من قدم الحلق على النحر فلا حرج عليه، ويحتمل أن المعنى: حتى يذبح الهدي، وتكون الآية فيمن ساق الهدي"[5].

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ تضمنت أمرين:

– **التخيير**: نسك: جمع نسيكة وهي الذَّبيحة، ﴿أَوْ﴾ في الآية للتخيير: " أي من كان منكم –أيها المحرمون– مريضا بمرض يضطر معه إلى حلق شعره أو كان به أذى من رأسه كجراحة و

---

[1]– محمد علي الصابوني: روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، ج1، 244.

[2]– **التحلل لغة**: هو أن يفعل الإنسان ما يخرج به من الحرمة، واصطلاحا: هو فسخ الإحرام والخروج منه بالطريق الموضوع له شرعا، والتحلل للمحصر يحصل بنحر الهدي وحلق الشعر أو تقصيره.

[3]– **الهدي**: هو ما يهدى من الأنعام إلى بيت الله الحرام لتذبح في الحرم وتوزع على الفقراء تقربا إلى الله،والأنعام: هي الإبل والبقر والغنم والماعز.

[4]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ص234.

[5]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ج1، ص393.

حشرات مُؤذية، فعليه إن حلق فدية من صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين أو ذبح شاة يوزع لحمها على الفقراء، وهذا ما بينته السنة النبوية"[1].

– **التيسير**: تيسير الله تعالى للعباد، وذلك بوقوع الفدية على التخيير، والدين كله من أوله إلى آخره مبني على اليسر.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ تضمنت ما يلي:

– **الأمر**: المعنى المتضمن في القول المستلزم حواريا هو الأمر،﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ "أي من العدو – يعني فأتموا الحج والعمرة– "[2].

– **التوضيح**: في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾أي فمن أتى بالعمرة متمتعا بحله منها بما أحل الله له من محظورات الإحرام ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ أي إلى ابتدأ زمن الحج، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي فعليه ما استيسر من الهدي شكرا لله على نعمة التحلل، ويقال في هذه الجملة ما قيل في الجملة التي سبقت في الإحصار، ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي فمن لم يجد الهدي، أو ثمنه ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾أي عليه صيام ثلاثة أيام ﴿فِي الْحَجِّ﴾ أي في أثناء الحج، وفي شهره،﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي إذا رجعتم من الحج بإكمال نسكه، أو إذا رجعتم إلى أهليكم،﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ للتأكيد على أن هذه الأيام العشرة وإن كانت مفرقة فهي في حكم المتابعة،﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي ذلك التمتع الموجب للهدي، وقوله تعالى: ﴿ لِمَن أَهْلُهُ﴾قيل: المراد به نفسه –أي لمن لم يكن حاضرا المسجد الحرام– وقيل: المراد بالأهل سكنه الذي يسكن إليه من زوجة، وأب،وأم، وأولاد، وما شبه ذلك.﴿حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾المراد به مسجد مكة...

[1]– محمد بن صالح العثيمين: المرجع السابق، ص235.

[2]– نفسه، ص393.

فقيل: هم أهل الحرم يعني: من كانوا داخل حدود الحرم، فمن كان خارج حدود الحرم فليسوا من حاضري المسجد الحرام "[1].

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تضمنت مايلي:

– **الأمر**: فعل كلامي مباشر بصيغته الحرفيه في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، أي الزموا تقوى الله عز وجل، وذلك بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

– **التهديد**: في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾" أي اتقوا الله بطاعته فيما ألزمكم به من فرائضه، واحذروا الإخلال بشعاره فهو سبحانه شديد العقاب لمن خالف مناسكه فترك ما أمر به وارتكب ما نهاه الله عنه"[2].

ففي الآية الكريمة وجوب تقوى الله تعالى عز وجل، وتهديد من خالف ذلك، لأن العلم بشدة عقوبة الله من أهم العلوم، ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى به بخصوصه، لأنه يورث الخوف من الله، والهرب من معصيته.

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴿197﴾لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴿198﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿199﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴿200﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿201﴾أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿202﴾ وَاذْكُرُوا

[1]– محمد بن صالح العثيمين: المرجع السابق، ص394.

[2]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ص235.

اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿203﴾

تواصل هذه الآيات الشريفة بيان أحكام الحج وزيارة بيت الله الحرام وتقرر طائفة من التشريعات الجديدة:

– **التقرير**: في قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾،" والمراد بهذه الأشهر: شوال، ذو القعدة، ذو الحجة (شهر ذي الحجة بكامله أو العشرة الأوائل منه) وهذه الأشهر تسمى (أشهر الحج) لان قسما من أعمال الحج والعمرة لا يمكن الإتيان به في غير هذه الأشهر، وقسما آخر يجب الإتيان به في اليوم التاسع إلى الثاني عشر من شهر ذي الحجة، والسبب في أنَّ القرآن الكريم لم يصرح بأسماء هذه الأشهر لأنها معلومة للجميع و أكّد عليها القرآن الكريم بهذه الآية، ثم إن هذه الآية تستنبط نفيا لأحد التقاليد الخرافية في الجاهلية حيث كانوا يستبدلون هذه الأشهر بغيرها في حالة حدوث حرب بينهم فيقدموا ويؤخروا منها كيفما شاؤوا" [1]، فالله سبحانه وتعالى يقر أن هذه الأشهر معلومة ومعينة فلا يصح تقديمها وتأخيرها.

– **النهي**:﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ نهي الله تعالى من أحرم إلى الحج وشرع في أداء المناسك عن كل المحظورات بمجرد عقد الإحرام، وأن الإحرام ينعقد بمجرد النية .قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ " نفي بمعنى النهي، والرفث الجماع ومقدماته، و قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ أي لا خروج عن طاعة الله بمعاصيه لا سيما ما يختص بالنسك، كمحظورات الإحرام، وقوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ يشمل الجدال فيه: أن يقال: (ماهو الحج؟) فيحصل النزاع، أو (متى فرض؟) فيحصل النزاع فيه "[2]، الجدال إذا كان لإثبات الحق، أو لإبطال الباطل فإنه واجب، وعلى هذا فيكون مستثنى من هذا العموم.

– **الإخبار**: في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ "أي لا يخفى عليه شي من أعمالكم، وهو الذي يجازيكم عليها "[3]، فهنا حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشهر

---

[1]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص399.

[2]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ج1، ص414.

[3]– الخازن، ج1، ص130.

وأن يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجمال الأخلاق الحسنة.

قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴿197﴾﴾ تضمنت ما يلي:

– **الأمر**: فعل كلامي مباشر في عبارة قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ أمر الله سبحانه وتعالى بالتزود بـ(التقوى)[1].فلما رغب الله سبحانه وتعالى في التقوى أمر بها طلبا لخيرها فقال: "﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، ﴿وَاتَّقُونِ﴾ فعل أمر، والنون للوقاية، والياء المحذوفة للتخفيف مفعول به،﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ جمع لب، أي يا أصحاب العقول، ووجه الله تعالى الأمر إلى أصحاب العقول،لأنهم هم الذين يدركون فائدة التقوى، وثمرتها، أما السفهاء فلا يدركونها"[2]. فالله تعالى هنا يأمر على أنه ينبغي للحاج أن يأخذ معه الزاد الحسي من طعام، وشراب، ونفقة، لئلا يحتاج في حجه، فيتكفف الناس، وأن التقوى خير الزاد، كما أن لباسها خير لباس، وأن أصحاب العقول هم أهل التقوى.

– **الترغيب**: يكمن في المعنى المتضمن في القول المستلزم حواريا فقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، فـ"الآية معطوفة على جملة ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ باعتبارها فيها من الكناية عن الترغيب في فعل الخير، والمعنى وأكثروا من فعل الخير"[3]. فهنا حث للاستكثار من فعل الخير استعدادا ليوم الجزاء الذي شبهه بمثابة إعداد المسافر الزاد لسفره.

– **الأمر**: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴿198﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿199﴾﴾ تعدد الأوامر (أفعال الكلام المباشر)، فالآية الشريفة " تعطف على ما تقدم من مناسك الحج، ثم تقول الآية في حديثها هذا: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ

---

[1]– التقوى: اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، هذا أجمع ما قيل في التقوى.

[2]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص415.

[3]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص235.

أَفَاضَ النَّاسُ﴾ فهذا المقطع يتضمن أمرا بالإفاضة أي بالاندفاع والحركة من المشعر الحرام إلى أرض منى "[1]،فالمقصود من الأمر هو متعلق ﴿أَفِيضُوا﴾ إشارة إلى عرفات فيكون متضمنا الأمر بالوقوف بعرفة لا بغيرها، إبطالا لعمل قريش الذين كانوا " يقفون بالمزدلفة وكان يسمون (الحمس) وكان سائر العرب يقفون بعرفات، وكانت قريش تفعلهذا ترفعا عن بقية الناس متعللين بأنهم أهل الحرم،فأمرهم الله بالوقوف بعرفة وان يفيضوا مع الناس جميعا إلى مزدلفة بعد الوقوف بعرفة،ليكونوا في منزلة واحدة مع المؤمنين"[2].

وفي نهاية الآية الله تعالى يعطي أمرا بالاستغفار والتوبة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي اطلبوا المغفرة منه، والمغفرة ستر الذنب، والتجاوز عنه، فالخطاب هنا للحجاج جميعا بأن يطلبوا المغفرة من الله ويقلعوا عن ذنوبهم ليشملهم الله برحمته ومغفرته.

– **التعريض**: في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ "عطف على ﴿أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أمرهم بالاستغفار كما أمرهم بذكر الله عند المشعر الحرام وفيه تعريض بقريش فيما كانوا عليه من ترك الوقوف بعرفة "[3].

– **الأمر**: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾أمر الله تعالى بذكره بعد فراغ الانتهاء من أداء (المناسك)[4] في قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[5] " لأن العرب كانوا في الجاهلية بعد فراغهم من حججهم ومناسكهم يجتمعون فيتفاخرون بمآثر آبائهم، فأمرهم الله في الإسلام ان يكون ذكرهم بالثناء والشكر والتعظيم لربهم دون غيره، وأن يلزموا أنفسهم بالإكثار من ذكره نظير ما كانوا

---

[1]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص402.

[2]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ج1، ص240.

[3]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص244.

[4]– **المناسك**: جمع منسك، وهو فيما يظهر اسم مصدر –يعني مصدرا ميميا–، والنسك بمعنى العبادة، وهو كل ما يتعبد به الإنسان الله، ولكن كثر استعماله في الحج، وفي الذبح، ومنه قوله تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) [الأنعام:162].

[5]– ﴿**أَشَدَّ**﴾ يشمل: الشدة في الهيئة، وحضور القلب، والإخلاص، والشدّة في الكثرة أيضا، فيذكر الله ذكرا كثيرا، ويذكره ذكرا قويا مع حضور القلب.

ألزموا أنفسهم في جاهليتهم من ذكر آبائهم أو أشدّ ذكرا"[1]،والمعنى: من الآية: اذكروا الله كذكر الأطفال آباءهم وأمهاتهم واستغيثوا به والجأوا إليه كما كنتم تفعلون في حال صغركم بآبائكم.

قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴿200﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿201﴾﴾ تضمنت ما يلي:

– **التوضيح**: في قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴿200﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

هنا يوضح القرآن طبيعة مجموعتين من الناس وطريقة تفكيرهم.مجموعة لا تفكر إلا بمصالحها المادّية ولا تتجه بالدعاء إلى الله فتقول: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾،" أي أعطنا في الدنيا، والمفعول محذوف، والتقدير: آتنا نصيبنا في الدنيا، بحيث لا يسأل إلا ما يكون في ترف دنياه فقط، ولا يسأل ما يتعلق بالدين"[2]. والمجموعة الثانية تتحدث عنهم الآية فتقول: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ " يعني من الناس من تكون همته عليا يريد الخير في الدنيا، والآخرة، يقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وحسنة الدنيا كل ما يستحسنه الإنسان منها، مثل الصحة، وسعة الرزق، كثرة البنين، و الزوجات...، وأما حسنة الآخرة فقيل: إنها الجنة "[3].

فهذه الآيات توضّح منطلق الإسلام في المسائل الماديّة والمعنوية، وتدين الغارقين في الماديات كما تدين المنعزلين عن الحياة، فهي تشير إلى أنَّ الناس في هذه العبادة على نوعين، فبعض لا يفكّر إلا بالمنافع المادّية الدنيوية ولا يريد من الله سواها، ولكن النوع الثاني مِن الناس مَن اتسعت آفاقهم الفكرية فاتجهوا إلى طلب السعادة في الدنيا، وطلب السعادة في الآخرة.

---

[1]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ج1، ص240.

[2]– محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ج1، ص433.

[3]– محمد بن صالح العثيمين: المرجع السابق، ص434.

– **التعريض:** فالمقصود من الآية "التعريض يذم حالة المشركين، فإنهم لا يؤمنون بالحياة الآخرة"[1].قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ " يعني ما له في الآخرة من نصيب، لأنه يريد إلا الدنيا، فلا نصيب له في الآخرة مما دعا، وقد يكون له نصيب من أعمال أخرى"[2].فالمراد بمن ليس له في الآخرة من خلاق هم المشركون (فريق الكفار)، لأن المسلمين لا يهملون الدعاء تمنيا ورجاء لنيل خير الآخرة.

– **الدعاء:** في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾،قال ابن كثير رحمه الله: " الحسنة في الدنيا: تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية، و دار رحبة، وزوجة حسنة، وولد بار، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، والحسنة في الآخرة:فأعلاها دخول الجنة، وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة، وأما النجاة من النار: فهو يقتضي تيسير أسبابها في الدنيا من اجتناب المحرمات وترك الشبهات،قال السعدي رحمه الله: فصار هذا الدعاء، أجمعُ دعاءٍ وأكمله، ولذا كان هذا الدعاء أكثر دعاء النبي ﷺ،وهو الدعاء المأثور في الطواف بين الركن اليماني والحجر الأسود"[3].فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر، لهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء.

– **الوعد:** في قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ هذا وعد من الله سبحانه وتعالى بإجابة دعاء المسلمين الداعين في تلك المواقف المباركة، وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ اسم الإشارة هنا يشير إلى الفريق الثاني من الناس " الذين يقولون﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾، للتنبيه باسم الإشارة على أن اتصافهم بما بعد اسم الإشارة شيء استحقوه بسبب الإخبار عنهم بما قبل اسم الإشارة، أي أن الله استجاب لهم،

---

[1]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص247.

[2]– محمد بن صالح العثيمين، مرجع سابق، ص433.

[3]– تفسير ابن كثير، ج1، ص264. (بتصرف)

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ تذييل قصد به تحقيق الوعد بحصول الإجابة "[1]، والمعنى: إن سألتم الله أعطاكم مما سألتموه في الدنيا والآخرة، وأن الله يعجل باستجابة دعائكم.

قوله تعالى:﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿203﴾﴾

هذه الآية في الحقيقة آخر آية وردت في بيان مناسك الحج وإبطال السنن الجاهلية في المفاخرات الموهومة بالنسبة للأسلاف فتوصي المسلمين (بعد مراسم العيد) أن يذكروا الله تعالى.

– **الأمر**: في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ لما أمر الله تعالى بأفعال الحج، أمر هنا بما بعد الانتهاء من تلك الأفعال وذلك بقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي اذكروه في أيام معدودات، وهذه الأيام هي أيام مِنى وتسمى أيام التشريق ، "قال ابن عباس: (الأيام المعدودات) أيام التشريق، و(الأيام المعلومات) أيام العَشر "[2]، و الملاحظ أن هذا الأمر بقرينة الآيات السابقة، ناظر إلى الأيام الثلاثة التي تقع " بتاريخ (11–12 – 13) من شهر ذي الحجة التي تلي يوم النحر يوم عيد الأضحى"[3]، و"التي تسمى بلسان الرّوايات (أيام التشريق) "[4]، فالمقصود من أمر الله تعالى بذكره في هذه الأيام أي بالتكبير والتهليل والتحميد عقب الصلوات وعند رمي الجمرات(هذا معنى ذكر الله تعالى). وهناك أمر آخر في آخر الآية في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ من أكثر ما يأمر به الله سبحانه وتعالى بالتقوى في كتابه العزيز، فهنا أمر الله تعالى أمر الله تعالى بالتقوى وذلك بأداء مناسك الحج واجتناب ماحرم عليكم.

– **التخفيف**: في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ سعة فضل الله تعالى، وتيسيره في أحكامه، حيث جعل الإنسان مخيرا أن يبقى ثلاثة أيام، أو يتعجل في اليومين. والمعنى: "من تعجل بالرحيل عن منى قبل غروب اليوم التالي من

---

[1]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص249.

[2]– نفسه، ص265.

[3]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن، ج1، ص242.

[4]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص409.

أيام التشريق فلا يأثم بهذا التعجيل كما لا حرج عليه في ذلك، ومن تأخر بالمبيت بِمِنى حتى رمي الجمار في اليوم الثالث فلا إثم عليه في تأخره"[1].

– **التخويف:** في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾أي اعلموا أنكم إلى الله وحده تجمعون يوم القيامة للحساب على أعمالكم فاحذروا مخالفة أوامره.

هنا قرن الله تعالى الموعظة بالتخويف،"لأن الإنسان إذا علم أنه سيحشر إلى الله عزّ وجل، وأنه سيجازيه، فإنه سوف يتقي الله، ويقوم بما أوجب الله، ويترك ما نهى الله عنه"[2].

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿215﴾﴾

يتعرض القرآن الكريم في آيات عديدة إلى الإنفاق والبذل في سبيل الله، وحث المسلمين بطرق عديدة على الإنفاق والأخذ بيد الضعفاء، وهذه الآية الكريمة تتناول مسألة الإنفاق من جانب آخر، فثمة سائل عن نوع المال الذي ينفقه، ولذلك جاء تعبير الآية بهذا الشكل ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾.

سبب نزول الآية أن شيخا كبيرا (عمروا بن الجموح) سأل رسول الله ﷺ عما ينفق ولمن يعطي ؟ فنزلت الآية" [3].

– **الطلب:** في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ فعل كلامي تلفظي استفهامي، غرضه الإنجازي طلب معرفة الشيء الذي سألوا عنه.

– **الجواب:** في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هنا إجابة في صورة فعل كلامي تلفظي مبدوء بفعل كلامي إنجازي الأمر، "﴿ما﴾ شرطية،فعل الشرط: ﴿أَنفَقْتُم﴾، وجوابه:﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾، قد يبدوا للإنسان في أول وهلة

---

[1]– عفيف طبارة: روح القرآن، مرجع سابق، ص242.

[2]– محمد بن صالح العثيمين، ج2، ص441.

[3]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص430.

أن الله إنّما أجابهم عن محل الإنفاق –لا عن ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾–، لكن من تأمل الآية تبين له أن الله أجابهم عما ينفقون، وعما ينفقون فيه، لقوله تعالى: ﴿مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾، ففي هذا بيان ما ينفقون"[1].

– **الإخبار والتوضيح**: في قوله تعالى: ﴿مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ فعل كلامي إخباري غرضه توضيح حقيقة ما سألوا عنه، و " الخير في الآية هو المال، ويطلق على الوفير منه، والخير يفترض أن يكون المال حالا، وإنّما سمي المال خيرا للتنبيه على أن من حقه أن يُصرف إلى جهة الخير، والخير هو الشيء الحسن النافع" [2].

ثم بيّن الله تعالى و وضّح في الآية من يستحق الإنفاق عليهم فقال:﴿مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ فالآية دالة على الأمر بالإنفاق على هؤلاء والترغيب فيه، وقد " قدّم القرآن الآباء والأمهات على غيرهم لحق تربيتهما للمنفِق ووفاء لبعض حقوقهما عليه، فالترتيب فالآية يشير بتفضيل البعض على البعض الآخر في الإنفاق، فيسد المنفق حاجة الأبوين أولا، ثم يسد حاجة الأقرباء، ثم يسد حاجة المحتاجين من غير أسرته"[3].

يجب الإشارة هنا إلى أنَّ: "أكثر العلماء قالوا: إنّ الآية حكمها في صدقة التطوع لأن هناك فريضة الزكاة التي تصرف على المحتاجين الذين نص عليهم القرآن"[4].

– **الترغيب**: رغبّ الله سبحانه وتعالى في الإنفاق وكنّى عن الجزاء به في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، "جملة تذييل والمقصود من قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ الكناية عن الجزاء عليه، لأن العليم القدير إذا امتثل أحد لأوامره لا يحول بينه وبين جزائه عليه حائل"[5].

---

[1]– المرجع السابق، ج3، ص43.

[2]– عفيف طبارة: روح القرآن،ج1، ص258.

[3]– نفسه، ص258. (بتصرف)

[4]– عفيف طبارة، المرجع السابق، ص258.

[5]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص318.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿221﴾﴾

سبب نزول الآية: نزلت في (مرثد الغنوي) بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها جماعة من المسلمين، وكان قويا شجاعا، فدعته امرأة يقال لها (عناق) إلى نفسها،فأبى وكانت صديقته في الجاهلية، فقالت له: هل لك أن تتزوج بي؟ فقال: حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فلما رجع استأذن في التزويج بها، فنزلت الآية تنهى عن الزواج بالمشركات حتى يؤمنَّ" [1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ الآية الشريفة تضمنت مايلي:

– **النهي**: فعل كلامي مباشر دلت عليه الصيغة الحرفية في قوله تعالى:﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾، فالله تعالى هنا نهى المؤمنون من الزواج من المشركات"[2]،" تَنكحوا: بفتح التاء، أي لا تتزوَّجوا بهن حتى يؤمنَّ –أي يدخلن في دين الله–، ودخولهما في دين الله يلزم منه التوحيد"[3]، فالله تعالى في هذه الآية الشريفة يحرم على المؤمنين نكاح المشركات

– **التقرير**: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ فالآية الشريفة تقرر حكما بهذا الترتيب : "منع الإسلام من زواج المرأة المؤمنة مع الرجل المشرك

---

[1]– محمد علي الصابوني: روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، ج1، ص284.

[2]– **النكاح**: هو الزواج وأصله الوطء أو الضم، والمراد بالمشركات في الآية من يَعبُدن غير الله ومن ليس لهُنَّ دين، وقد حرمت الآية نكاحهنَّ.

– أما الكتابيات (اليهوديات والمسيحيات) فلا تدل الآية على منع الزواج بهنَّ، فإنَّهن لا يُعرفن بالمشركات في لسان الشريعة الإسلامية، وإنَّما يُعرفن بالكتابيَّات.

[3]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، (بتصرف)، ج3، ص76.

كما منع نكاح الرجل المؤمن من المرأة المشركة حتى إن الآية رجَّحت العبد المؤمن أيضا على الرجال المشركين من أصحاب النفوذ والثروة والجمال الظاهري، لان هذا المورد أهم بكثير من المورد الأول وأكثر خطورة، فتأثير الزوج على الزوجة أكثر عادة من تأثير الزوجة على زوجها"[1].

– **النهي**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ فإنَّه: "إذا كان زواج المؤمن بالمشركة حرام فتزويج المؤمنة بالمشرك حرام أيضا، تُنكحوا: بضم التاء تزويج الإنسان غيره،والمعنى ولا تزوّجوا أيها المؤمنون النساء المؤمنات بالرجال المشركين حتى يتركوا ما هم علبه من الشرك بالله ويدخلوا في دين الإسلام"[2]، فالله تعالى نهى وحرّم من زواج المسلمة من مشرك أو كافر حتى يؤمنوا بالله ورسوله، مهما أعجبكم في الحسب، والنسب، والشرف.

– **مسألة وجوب الولي**:هذا وقد استنبط العلماء من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ أنه لا يجوز عقد النكاح بدون وليّ، لأن النهي عن تزويجهن إلى المشركين إنَّما وُجِه إلى أوليائهن، وبذلك جاء في الحديث النبوي الشريف: (لا نكاح إلاَّ بوليّ) "[3].

– **التعليل**: في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ "هذه الجملة تعليل لما سبق، والمشار إليه فيها أهل الشرك–أي يدعون الناس إلى النار بأقوالهم، وأفعالهم، وأموالهم –، حتى إنَّهم يبنون المدارس،والمستشفيات،ويلاطفون الناس في معاملتهم خداعا ومكرا"[4].

وفي ختام الآية يذكر الله سبحانه وتعالى" دليل على هذا الحكم الإلهي لزيادة التفكّر والتدبّر في الأحكام "[5]وتقول: ﴿ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ أي أن الله يدعو المؤمنين إلى الإيمان الحق والعمل الصالح الذي يوصل صاحبه إلى الجنة أما المشركين فدعوتم مضادة لدعوة طاعة الله تعالى – فهم يدعون إلى النار–،﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ هنا الله تعالى وضح حججه وأدلَّته في كتابه الذي أنزله على رسوله الكريم

---

[1]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص448.

[2]– عفيف طبارة: روح القرآن،ج1، ص273.

[3]– عفيف طبارة: المرجع السابق، ج1، ص274.

[4]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ج3، ص77.

[5]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص449.

ليتذكروا ويعتبروا فجملة العبارة فيها "معنى التذييل وإن كانت واردة بغير صيغته "[1]، فعل كلامي غير مباشر دلت عليه جملة التذييل غرضه الإرشاد.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿222﴾نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴿223﴾﴾

سبب نزول هذه الآية هي أنّ: للنساء عادة شهرية تستمر بين ثلاثة إلى عشرة أيام. وخلالها يخرج من رحم المرأة دم ذو أوصاف خاصة مذكورة في كتب الفقه. والمرأة في هذه الحالة تكون حائضا، وموقف الديانتين اليهودية والنصرانية الحاليتين من المرأة الحائض متناقض يثير الاستغراب، فهناك جمع من اليهود قالوا: إن معاشرة المرأة الحائض حرام حتى المجالسة على مائدة الطعام أو في غرفة واحدة. ويذهبون إلى حظر جلوس الرجل في المكان الذي تجلس فيه الحائض، وإن فعل ذلك تنجست ملابسه وعليه أن يغسلها، وإن رقد معها على سرير واحد تنجس بدنه ولباسه، فهم يعتبرون المرأة في هذه الحالة موجودا مدنسا يلزم اجتنابه، وكان هناك من المشركون العرب، وخاصة أهل المدينة منهم، كانوا متأثرين بالنظرة اليهودية، ويعاملون المرأة الحائض على أساسها، فينفصلون عنها خلال مدة الحيض .وهذا الاختلاف في المواقف وما يصحبه من إفراط وتفريط دفع ببعض المسلمين لأن يسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت الآية"[2].

– **الطلب**: فعل كلامي غير مباشر دل عليه الفعل الكلامي التلفظي الإنجازي، المتمثل في الصيغة الحرفية للاستفهام الحقيقي، في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ فالمعنى المتضمن في القول هو طلب معرفة حكم الشيء المسؤول عنه، و الجواب عن سؤالهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾.

[1]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص364.

[2]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (بتصرف)، ج2، ص451.

وكلمة "﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ من معجزات القرآن التي تلخص أضرار الحيض، منها الأذى النفسي للمرأة، والأذى الصحي للمرأة والرجل...الخ، فإن هذه الأضرار كلها ناشئة عن الاتصال الجنسي" [1].

– **الأمر**: في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ أمر الله تعالى باعتزال النساء واجتنابهم أثناء فترة الحيض، الفاء هنا للتفريغ، أو للسببية، أي فيتفرغ على كونه أذى توجيه الأمر إليكم باعتزال النساء، والمقصود بـ﴿النِّسَاءَ﴾ هنا الحائضات، والمراد بـ﴿الْمَحِيضِ﴾ هنا مكان الحيض"[2].

– **النهي**: في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ الله تعالى ينهى ويمنع مجامعة الحائض حتى تطهر."فهنا جاء نهي الله تعالى عن قربانهن تأكيدًا للأمر باعتزالهن[3]"[4].

–**التأكيد**: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ فالله تعالى يؤكد شرط الطهارة بعدما نهى عن العلاقة الجنسية عندما تكون المرأة في الحيض، وهذه الآية جاءت تأكيدا لعبارة النهي في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾. كما احتوت الآية على "ندب وإرشاد إلى غشيانهن بعد الاغتسال، وذهب ابن حزم إلى وجوب الجماع بعد كل حيضة"[5]، " فقدم الله تعالى علة الحكم " حتى تتهيأ النفوس لقبول الحكم،والطمأنينة إليه، ويكون قبوله فطريا، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، وقد يتقدم الحكم على العلة —وهو الأكثر– "[6]، فالله تعالى أرشد إلى وجوب جماع المرأة بعد طهرها من الحيض لأن جماعها وهي على حيض فيه مضرة على الطرفين (كما تحدثنا سابقا عن أضرار الحيض).

---

[1]– عفيف طبارة: روح القرآن، (بتصرف)، ج1، ص277.

[2]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ج3، ص81.

[3]– القرب المنهي حسب ابن طبارة في تفسيره روح القرآن: هو كناية عن الامتناع عن الاتصال الجنسي، وهي من الكنايات القرآنية التي تربي الذوق السليم وتمنعه من التلفظ بالألفاظ النابية التي يجافي سمعها الطوق السليم.

[4]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص366.

[5]– تفسير ابن كثير، ج1، ص277.

[6]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ج3، ص83.

وهناك تأكيدا آخر في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾" قد تكون هذه الفقرة تأكيدا لما قبلها، أي ائتوا نساءكم في حالة النقاء والطهر فقط لا في غير هذه الحالة، وقد يكون مفهومها أوسع بخصوص أن الجماع بعد الطهر يجب ان يكون في إطار أوامر الله أيضا"[1].

– **التعليل**: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ هذا تعليل لما سبق من الأوامر، وهي اعتزال النساء في المحيض، وإتيانهن من حيث أمر الله، و﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾"أي الذين يتطهرون من الأحداث، و الأخباث، وجمع بين ذلك، وبين التوبة، لأن (التوبة) تطهير الباطن، و(التطهير) تطهير الظاهر"[2].

– **الأمر**: فعل كلامي مباشر بصيغته الحرفية في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي باشروا نساءكم في موضع الحرث،"يستفاد من الآية –على افتراض زمانية أنَّى– الرخصة في زمان الجماع، أي جوازه في كل ساعات الليل والنهار، وعلى افتراض مكانية أنَّى يستفاد من الآية الرخصة في مكان الجماع ومحلّه وكيفيته "[3]، " ثم يأمر الله تعالى بالزواج وذلك باختيار ذات الخلق و الدين والعفاف للحصول على عيشة هنيئة في الحياة الزوجية وذلك في قوله:﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾"[4]، وفي ختام هذه الآية تأمر بالتقوى وتقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وتقوى الله تكون بإتباع أوامره وترك ما نهى عنه،وذلك بالإيمان بلقاء الله الذي يمنع الإنسان من ارتكاب المنكرات، ففي الآية إنذار للجميع بأنهم ملاقوا ربهم وليس لهم طريق للنجاة سوى الإيمان والتقوى وذلك في قوله::﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾. أما قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالمعنى المتضمن في هذه العبارة

---

[1]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص 453.

[2]– الشيرازي: المرجع السابق، ج2، ص82.

[3]– نفسه، ج2، ص 454.

[4]– عفيف طبارة: روح القرآن،ج1، ص282.(بتصرف)

يحتوي على معنيين:أولهما في الآية " بشارة للمؤمنين بأنهم ناجون عند ملاقاة الله تعالى، وثانيهما تحذير غير المؤمنين من هذه الملاقاة "[1].

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿228﴾ ﴾

بعد أن بيَّن القرآن في آية سابقة الذكر أن من الرجال من يعزم على الطلاق، ناسب أن يذكر أحكام الطلاق وما يترتب على الزوج من واجبات وحقوق نحو امرأته في حال طلَّقها، فهنا تذكر الآية بعض أحكام الطلاق وما يتعلق به من حيث ذكرت خمسة أحكام له في هذه الآية:

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿228﴾﴾ الفعل الكلامي الكلّي لهذه الآية هو الأمر، وذلك في الصيغة الحرفية لقوله تعالى:﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾، ويندرج تحته مجوعة من المتضمنات في القول تتضمنها أحكام الطلاق منها: الوعد والوعيد والإباحة والإجازة وسنتطرق بالتفصيل لشرحها في النقاط التالية:

في البداية ذكرت الآية عدّة الطلاق ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[2]جملة خبرية مراد بها الأمر،لأن السياق يدل على أن الله أمر بذلك، لا أنّه خبر، قوله تعالى:﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ أي اللائي طلقهن أزواجهن، ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ أي ينتظرن العدّة،

[1]- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم،(بتصرف)،ج3، ص90.

[2]- يرى الراغب في المفردات أن (القرء) في الحقيقة هي كلمة يُراد منها الانتقال من حالة الحيض إلى الطهر، وبما أنّ كلا هذين العنوانين مأخوذان في معنى الكلمة، فتستعمل أحيانا بمعنى الحيض وأُخرى بمعنى الطّهر، ويستفاد من بعض الروايات وكثير من كتب اللغة أنّ القُرء تعني الجمع بين الحالتين.

ويحبسن أنفسهّن عن الزواج، لأن المرأة بطبيعتها تطلب النكاح، فقيل لها: تربصي بنفسك،أي: انتظري،﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ جمع قَرء بفتح القاف وهو الحيض،أي ثلاث حيض" [1]تضمنت مايلي:

– قوة إنجازية حرفية ناتجة عن معنى الصيغة الحرفية التركيبية(فعل كلامي مباشر) في قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾هي:(الإخبار)

– قوة إنجازية مستلزمة (القول المتضمن في المعنى) متولدة عن معنى المعنى هي: (الأمر).

فجملة ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ "خبرية مراد بها الأمر "[2]، "قال البلاغيون:إذا جاء الأمر بصيغة الخبر كان ذلك توكيدا له، كأنه أمر واقع صح أن يخبر به"[3].

الحكم الثاني المستفاد من هذه الآية هو قوله تعالى:﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ هنا فعل كلامي مباشر هو النهي، فقد نهى الله تعالى المطلقات وحذّرهم من إخفاء ما يحملنا في أرحامهن من حمل، " ذلك لأن أمر العدّة يدور على الحيض والحمل، والمراد بالنهي عن الكتمان: النهي عن الإضرار بالزوج،فإذا قالت المطلقة:حضت ولم تحض، فمعنى ذلك أنها حامل بولد تريد أن تنسبه إلى غير أبيه، وإذا قالت: لم أحِض وهي قد حاضت، فمعنى ذلك أنها تدّعي الحمل وتريد إلزام زوجها بالنفقة فتكون قد أضرّت به"[4].

– **الوعيد:** في قوله تعالى: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فعل كلامي غير مباشر، فهنا وعيد شديد لتأكيد تحريم كتمان ما في أرحماهن، وبيان أن من كتمت منهن لم تستحق اسم الإيمان بالله لأن سبيل المؤمنات أن لا يكتمن الحق، " لأن المعنى أنهن إن كتمن، فهن لا يؤمن بالله واليوم الآخر، إذ ليس من شأن المؤمنين هذا الكتمان، بل إن الكوافر هن من لا يمتثلن لحكم الحلال والحرام الإسلامي"[5]. وفوق هذا تهديد–"قوله: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم،ج3، ص99. (بتصرف)

[2]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص388.

[3]– نفسه، ج2، ص101.

[4]– عفيف طبارة: روح القرآن،ج1، ص291. (بتصرف)

[5]– ابنعاشور:تفسير التحرير والتنوير، (بتصرف)، ج 2، ص392.

الْآخِرِ﴾ شرط أريد به التهديد دون التقييد، أي لا معنى لتقييد نفي الحمل بكونهن مؤمنات"[1]- ، ووعيد لهن بالمحاسبة يوم القيامة وما يكون فيه من عذاب شديد لمن يعصي الله.

الحكم الثالث المستفاد من الآية أن للزوج حق الرجوع إلى زوجته في عدّة الطلاق الرجعي: فعل كلامي في قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تضمنت الآية تقريرات الغرض منها تقرير أحكام شرعية وهي كما يلي:

- **الجواز والإرشاد:** في قوله تعالى:﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾[2]، أي أن المرأة في مدة حصول ثلاث قروء لها ليثبت طلاقها، وله الحق في أن يرجعها بعد انتهاء عِدّتها.

- **الإباحة:** في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾،" أي إن أراد بعولتهنّ إصلاحا في ردهنّ و﴿إِصْلَاحًا﴾ أي ائتلافا، والتأما بين الزوج وزوجته وإزالة لما وقع من الكسر بسبب الطلاق، وما أشبه ذلك"[3].لأنه لا حق للزوج في الرجعة إذا لم يرد الإصلاح وأنه لا رجعة بعد انقضاء العدّة في قوله تعالى: ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾.

ثم تبين الآية الحكم الرابع لقوله تعالى: ﴿لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ وتضمنت مايلي:

- **الوجوب:**﴿لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[4] أي للنساء على أزواجهن من الحقوق وحُسن المعاشرة، مثل الذي عليهن للأزواج من الواجبات."والمناسبة أن في الإيلاء من النساء تطاولا عليهن، وتظاهرا، بما جعل الله للزوج من حق التصرف في العصمة، فناسب أن يذكّروا

---

[1]- نفسه، ص392. (بتصرف)

[2]-(**بعولة**):جمع (بعل) بمعنى الزوج ويقول الراغب في مفرداته بأن البعض يرى إطلاقها على الزوج والزوجة.(راجع التفسير الكبير، ج6، ص93)، وقيل أن هذه اللفظة تعطي معنى العلو والأفضلية.

[3]- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ج3، ص100.

[4]- كلمة (بالمعروف) تأتي بمعنى الأعمال الحسنة المعقولة والمنطقية.

بأن للنساء من الحق مثل ما للرجال"[1]. فالنص القرآني يعطي للرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والأحوال، فإذا همَّ بمطالبتها بأمر من الأمور عليه أن يتذكر أنه يجب عليه مثله بإزائها.

ثم إن الآية التي مرت معنا قد أقرّت المساواة بين الزوجين في المعاملة بينّت بعد ذلك الفرق بينهما بقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾" أي فضل في العقل، والحقوق، وهذا من باب الاحتراس حتى لا يذهب الذهن إلى تساوي المرأة، والرجل من كل وجه"[2]، فهذا التقرير فعلا كلاميا غير مباشر،وهو التهديد لأن "هذا القول من الله جل ثناؤه وإن كان ظاهره ظاهرَ خبر، فمعناه معنى نَدْب الرجال إلى الأخذ على النّساء بالفضل ليكون لهم عليهنَّ درجة"[3].

وأخيرا تقول الآية:﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ تضمنت مايلي:

– **الوعد والوعيد:** فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى، أي أن الله سبحانه القوي الغالب المنتقم ممن خالف أمره وتعدى حدوده، والحكيم في أفعاله وما سرع لعباده من الأحكام–"عزيز في نقمته حكيم في أمره "[4]–، توعّد الله جل جلاله بهذا القول عباده،" لتقديمه قبل ذلك بيان ما حرَّم عليهم أو نهاهم عنه من ابتدأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.ثم اتبع ذلك بالوعيد ليزدجر أولو النُّهَى،وليذكر أُولوا الحِجَا، فيَّتقُّوا عقابه، ويحذروا عذابه " [5].

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ

[1]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص396.

[2]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص100.

[3]– أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: **تفسير الطَّبري(224هـ–310هـ)**، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ج4، هجر،القاهرة، (1422هـ-2001م)، ص124.

[4]– نفسه، ص 124.

[5]– نفسه، ص 125.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿229﴾

كان الطلاق في الجاهلية غير مقيّد بعدد محدود،وكانت العدَّة المعروفة مقدّرة، فكان في: " أوّل الإسلام برهة، يطلق الرجل امرأته ما شاء من الطلاق، فإذا كادت تَحِلُّ من طلاقه راجعها ما شاء، فقال رجل لامرأته على عهد النبي ﷺ: لا آوِيكِ ولا أدعكِ تَحِلّين، قالت: وكيف؟ قال: أُطَلِّقُكِ، فإذا دنا مُضِيُّ عِدَّتِكِ راجعتُك. فشكت المرأة ذلك إلى عائشة، فذكرت ذلك للنبيﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه أن يرتجع دون تجديد مهر و وليّ، ونسخ ما كانوا عليه"[1].

قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ فعل كلامي لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر،أي طلقوا مرتين يعني دفعتين، لأن التعبير عن الأمر بلفظ الخبر يفيد تأكيد الأمر ،﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ أي إن الطلاق الذي يقره الشرع الإسلامي هو أن يكون مرتان منفصلتان الواحدة عن الثانية، أي مرة بعد مرّة لا طلقتان دفعة واحدة "[2]، و"ثبت أن هذه الآية دالة على الأمر بتفريق الطلقات، وعلى التشديد في ذلك الأمر والمبالغة فيه"[3].

– النهي: فعل كلامي مباشرفي قوله تعالى:﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ نهى الله تعالى الرجل من أن يأخذ في حال الطلاق من زوجته ما أعطاها من مال، ويدخل في هذا المهر الذي وهبه الزوج بزوجته وغيره مما يعطيه الرجل لامرأته، والنهي المراد منه التحريم.

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿230﴾

[1]– القرطبي: الجامع لأحكام القرآن،ج4، مؤسسة الرسالة، ص55.

[2]– عفيف طبارة: روح القرآن،ج1، ص294. (بتصرف)

[3]– تفسير الرازي، ج6، ص104.

سبب نزول هذه الآية: أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت: كنتُ عند ابن عمّي (رفاعة) فطلّقني ثلاثا، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، ولكنّه أيضا طلقني قبل أن يمسني، فهل لي أن أعود إلى زوجي الأول؟(فقال رسول الله ﷺ: (لا) حتى يذوق عسيلتك، وتذوقي عسيلته)أي حتى يتم النكاح مع الزوج الثاني"[1].

– **الإخبار**: في قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ...﴾ هنا يخبرنا الله تعالى أن الرجل" إذا طلّق امرأته التطليقة الثالثة بعد التطليقتين اللتين ذكرهما الله بقوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ فلا تحل له امرأته إلا بعد أن تتزوج زوجا غيره ويُجامعها ويطلقها عن رضا بدون شروط مسبقة وبعد انتهاء عدّتها"[2].

– **الإباحة/الجواز**: الواردة في قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ يجوز رجوع الزوجة لزوجها الأول إن طلقها الزوج الثاني بعد الدخول بها(أي بعد وطئها) وانقضاء عدتها، " فلا إثم على المرأة وعلى زوجها الأول أن يتزوجا زواجا جديدا إن اعتقدا أنهما سيقيمان حدود بالمعاشرة بالمعروف، والقيام المتبادل بواجباتهما الزوجية الحسنة"[3].

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿231﴾ ﴾

تستمر هذه الآية في تبيان الأحكام التي أقرّها الإسلام للطلاق، لكي لا تهمل حقوق المرأة وحرمتها:

– **الإخبار**: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا...﴾ الخطاب هنا لعامة الناس، أي إذا طلقتم –أيها الأزواج–نساءكم،﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: "قال بعض العلماء: المراد قاربن بلوغ أجلهن، لأنها

[1]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج3، ص17.

[2]– عفيف طبارة: روح القرآن،ج1، ص296.

[3]– نفسه، ص297.

إذا بلغت الأجل انتهت العدّة، ولا إمساك حينئذ، ولكن الصحيح أن بلوغ الأجل، وذلك بطهرها من الحيضة الثالثة"[1]، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ " المراد به الرجعة بعد انقضاء العدّة"[2]﴿سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ "أي طلقوهنّ"[3]. فالمعروف في الإمساك: القيام بما يجب لها من حق. والمعروف في التسريح: ألا يقصد إضرارها، بأن يطيل عدّتها بالمراجعة.

– **النهي**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾،الآية خطابا للأزواج، نُهوا عن إرجاع زوجاتهم إلى عصمتهم بعد طلاقهن وهنّ في العدة رغبة في إلحاق الضرر بهم، ويكون إلحاق الضرر من الطرفين وليس الرجل فقط يلحق الضرر بزوجته، وذلك بإهمال الزوجة واجباتها المنزلية، وتبديد أموال الزوج ومناكفته، مما يجعل بيت الزوجية مكانا للمشاكل والخصام والقلق بدل من أن يكون للراحة والطمأنينة والسعادة، " لأن الرجل كان يطلّق امرأته ثم يراجعها ولا حاجة له بها، ولا يريد إمساكها، كما يطوّل بذلك العدّة عليها، و ليُضارَّها، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[4].

– **التحذير**: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه﴾ أي من يلحق الضرر بزوجته و يعتدي عليها فقد ظلم نفسه، وأكسبها إثما، وأوجب لها من الله عقوبة بذلك.

– **النهي/التهديد**: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ فعل كلامي مباشر في صيغته الحرفية هو النهي، غرضه التهديد، أي لا تتخذوا أحكام الله وما أمركم به بخصوص الطلاق أو غيره استهزاء ولعبا، ولا تتهاونوا بالالتزام بما أمركم به." لأنك إن آمنت بالله عز وجل –ولله المثل الأعلى– نهاك عن شيء،ثم إنَّك أمامه، وعلى عينه تخالف هذا الأمر، فسيقول لك: أنت تستهزئ بي، لأني نهيت، ففعلت ما نهيتك عنه، فالمعصية نوع من الاستهزاء بالله عزّ وجل"[5].

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ج3، ص123.

[2]– ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ج1، ص140.

[3]– القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص101.

[4]– نفسه، ص101.

[5]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، (بتصرف)،ج3، ص132.

– **الأمر:** في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أمر الله تعالى بذكر نعمه الكثيرة على عباده، ومنها نعمة الزوجية وما فيها من السعادة لنا،"والذكر يكون بالقلب واللسان، والجوارح، فذكرها باللسان أن تقول: أنعم الله عليّ بكذا،فثني على الله عز وجل بها تقول: اللهم لك الحمد على ما أنعمت عليّ به من المال، أو الزوجة، أو الأولاد، أو ما شابه ذلك، وذكرها بالقلب أن تستحضرها بقلبك معترفا بأنّها نعمة من الله، وذكرها بالجوارح أن تعمل بطاعة الله وأن يرى أثر طاعته عليك"[1]. ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ تقدير الكلام: واذكروا ما أنزل الله عليكم من الكتاب أي القرآن الكريم و من الحكمة وهي السنّة النبوية التي تمثل أقول النبي ﷺ وأفعاله.وهناك أمر آخر في الآية الوارد في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فعل كلامي غير مباشر، أي خافوا الله وتجنبوا عذابه بالعمل بما أمر وترك مانهى عنه.

– **التهديد:** في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، واعلموا أن الله بكل ما أنتم عاملوه من خير أو شر، طاعة أو معصية عالم لا يخفى عليه شيء، " فخافوا الله فيما أمركم به و فيما نهاكم عنه، في كتابه الذي أنزله عليكم، وفيما أنزله فبيّنه على لسان رسوله ﷺلكم، أن تضيّعوه وتتعدّوا حدوده، فتستوجبوا مالا قبل لكم به من أليم عقابه، ونكال عذابه"[2]. فالإنسان إذا علم بأن الله بكل شيء عليم تجنب مخالفة أوامره، ولهذا أعقبها بعد الأمر بالتقوى.

يجب الإشارة هنا إلى أن هذه التحذيرات من الله تعالى دليل على أن الله منَّ علينا بالإسلام وبالامتثال بأحكامه في حياتنا اليومية والتي أنقذتنا من خرافات وتقاليد الجاهلية بالنسبة للزواج والطلاق وغير ذلك.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿232﴾﴾

[1]– محمد بن صالح العثيمين، نفسه، ج3، ص132. (بتصرف)

[2]– تفسير الطبري،ج4، ص186.

وسبب نزول هذه الآية أنه:" كان أحد أصحاب رسول الله ﷺ وهو (معقل بن يسار) يعارض زواج أُخته (جملاء) من زوجها الأول (عاصم بن عدي) لأن عاصما كان قد طلّقها من قبل، ولكن بعد انقضاء العدّة رغب الزوجان بالعودة بعقد نكاح جديد. فنزلت الآية ونهت الأخ عن معارضة هذا الزواج. وقيل إنّ الآية نزلت في معارضة (جابر بن عبد الله) زواج ابنة عمّه من زوجها السابق"[1].

– **النهي**: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ فعل كلامي مباشر وارد في قوله:﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾[2] أي: فلا تمنعوهن –أيها الأولياء– أن يتزوجن أزواجهنّ الذين طلقوهن ويعيدان حياتهما الزوجية السابقة بنكاح جديد.فالآية تخبرنا عن حكم عام يشمل الأولياء وغير الأولياء، وتقول أنّه حتى الأب والأم وابن العم، والغرباء لا حق لهم بالوقوف في وجه هذا الزواج، "هذا إذا كان المخاطب في هذه الآية هم الأولياء من الرجال والأقارب[3]، ولكن يحتمل أن يكون المخاطب هو الزّوج الأول، بمعنى أنّكم إذا طلقتم زوجاتكم فلا تمنعوهن من الزواج المجدّد مع رجال آخرين، وتبين هذه الآية أيضا أن الثيبات –أي اللواتي سبق لهنَّ الزواج ثمّ طلقن أو مات زوجهنّ– إذا شئن الزواج ثانية فلا يلزمهنّ موافقة أوليائهنّ أبدا"[4].

– **الحث والإرشاد**: في قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي ذلك التوجيه الكريم – ما ذكر من النهي– المشتمل على أفضل الأحكام وأعدلها يذكر به من كان يصدّق بوجود الله ووحدانيته وبثوابه و عقابه يوم القيامة، "ومنها الاتعاظ لتزكية النفس، لقوله تعالى::﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾، فهو ينمي النفس، وينمي الإيمان، وينمي الأخلاق، كما أن تطبيق الأحكام تطهر

---

[1]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج3، ص22.

[2]– **العضل**: التضييق والمنع، وهو راجع إلى معنى الحبس، يقال: أردت أمرا فعضلتني عنه، أي: منعتني عنه وضيَّقت عليَّ.وأعضل الأمرُ: إذا ضاقت عليه فيه الحيل، واشتد، وداء العضال، أي: شديد عسير.

[3]– رجّح البعض التفسير الثاني لأن المخاطب في الآيات السابقة هو الأزواج ولكنّه يشكل بان تعبير (أزواجهنّ) يكون تعبيرا مجازيا بالنسبة إلى الأزواج مضافا إلى أنّه لا ينسجم مع شأن النزول.

[4]– الشيرازي،مرجع سابق، ص23.

القلب من أرجاس المعاصي، وذلك تجد عند الإنسان المؤمن من الحيوية، والنشاط والسرور ما ليس عند غيره "[1]﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي والله سبحانه وتعالى يعلم ما فيه صلاح أموركم من الأحكام الشرعية التي أنزلها وأنتم لا تعلمون فامتثلوا لأوامره واجتنبوا ما نهاكم عنه.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴿234﴾﴾

ينتقل القرآن في هذه الآية إلى بيان الحكم في حال وفاة الزوج، وما يترتب على الزوجة من أمور يجب القيام بها،" لأن واحدة من المشاكل الرئيسة في حياة المرأة هي الزواج بعد موت زوجها، ولما كان بناء الأرملة بزوج جديد بعد موت زوجها السابق مباشرة لا ينسجم مع ما تكنّه من حب واحترام لزوجها المتوفى، ولا مع الاطمئنان إلى عدم وجود حمل في رحمها منه، وقد يؤدي إلى جرح مشاعر أهل زوجها الأول، فقد جاءت الآية تشترط للزواج الجديد أن يمر على موت زوجها السابق أربعة أشهر وعشرة أيّام"[2].

– **الأمر**:في قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ وجوب انتظار المرأة بنفسها مدة العدّة بحيث لا تتزوج،ولا تتعرض للزواج،﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾[3] خبر بمعنى الأمر.

– **الجواز و الإباحة**: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الخطاب هنا لأولياء النساء، أي إذا انتهت مدّة عدّة الوفاة فلا حرج فيما فعلن هؤلاء الزوجات الأرامل من ترك الحداد والاستعداد للزواج مرة أخرى "وبلوغ الأجل هنا

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، (بتصرف)،ج3، ص141.

[2]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج3، ص28.

[3]– **التربّص**: الانتظار، أي يجب على الزوجات أن ينتظرن بعد وفاة أزواجهن مدة أربعة أشهر وعشرة أيام بدون زواج، وهذا الحكم على كل زوجة صغيرة كانت أم كبيرة، مدخولا بها أو لا.

انقضاء العدّة بدخولها في الدم من الحيضة الثالثة، ولم يذكر غسلا، فإذا انقضت عدّتها حلّت للأزواج"[1].

التهديد: في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي أن الله مجازيكم على أعمالكم فاحذروا معصيته، فهنا حذّر سبحانه وتعالى من مخالفة حكمه – وجوب العدّة على المتوفى عنها زوجها بأربعة أشهر وعشر–، لأنه بما تعملون خبير.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿235﴾﴾

– **الإباحة:** في قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾أي لا إثم عليكم–أيها المسلمون– في التعريض[2] بخطبة النساء في العدّة،بعد وفاة أزواجهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾" أي علم الله أنكم لا تصبرون عن النطق لهنّ برغبتكم في الزواج بهنّ، فرخّص لكم في التعريض دون التصريح، وفي هذا نوع من التوبيخ لهم على قلة صبرهم "[3].

– **النهي:** في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[4] كما نهى سبحانه وتعالى عن الخطبة العلنيّة، فإنه لا يجوز مصارحتهنّ بالخطبة سرا، "وإذا نهي عن السر فالعلانية من باب

---

[1]– القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص144.

[2]– **التعريض:** وهو ضد التصريح، أن يأتي الإنسان بكلام لا يصرّح فيه بمراده، لكنّه مقارب، مثل أن يقول: (إني في مثلك لراغب)، (إنّك امرأة يرغب فيكِ الرجال)، (إذا انقضت العدّة فأخبريني) وعلى هذا فقس، فهذا ليس فيه تصريح أن يخطبها، لا لنفسه، ولا لغيره، لكنّه يسمى تعريضا، والتعريض، والتلويح بمعنى واحد، فالتعريض إذن: أن يريد المتكلم من كلامه شيئا غير المدلول عليه بالتركيب وضعا، لمناسبة بين مدلول الكلام وبين الشيئ المقصود، مع قرينة على إرادة المعنى التعريضي، و(الخِطبة) بكسر الخاء معناها أن بعرض الإنسان نفسه على المرأة ليتزوجها، ويطلبها إليه.

[3]– عفيف طبارة: روح القرآن،ج1، ص309.

[4]– ذكر الكثير من المفسرين أن (السر) من أسماء النكاح–أي لا تواعدهنّ نكاحا–، وقالوا: إنّ (السر) من أسماء النكاح، لأنه يقع بين الرجل وامرأته سرا.

أولى"[1].وهناك نهي آخر في هذه الآية الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ أي لا تعزموا وتقبلوا على الزواج في أثناء العدة، حتى تنتهي مدة العدّة المفروضة، فالله سبحانه وتعالى نهى عن إبرام عقد الزواج أثناء العدّة، "وهو في الواقع نهي مؤكد عن الإقدام العملي على عقد الزواج ويعني التّحذير حتى من نية وقصد هذا العمل في زمان العدّة"[2]، لأن النكاح في زمن العدّة باطل، والإقدام على هذا العمل يعتبر من الزنى والمحرمات.

– **التهديد:** في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ أي اعلموا أن الله يعلم ما يجول في أنفسكم من أفكار وما تعزموا من أفعال، فاحذروا أن تعملوا بما نهاكم عنه وخافوا مخالفة أمره. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾" تذييل، أي فكما يؤاخذكم على ما تضمرون من المخالفة، يغفر لكم ما وعد بالمغفرة عنه كالتعريض، لأنه حليم بكم، وهذا دليل على إباحة التعريض رخصة "[3]، فهو سبحانه غفور لمن أذنب ثم تاب، وهو سبحانه حليم لا يعجل بالعقوبة لمن أذنب، بل يمهله ليصلح حاله ويعود عن ذنبه تائبا، ولعل المراد بالمغفرة هنا هي التجاوز، لا مغفرة الذنب، لأن التعريض ليس بإثم، وشأن التذييل هو التعميم.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿238﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿239﴾﴾

تأتي الآيات التالية التي تدعو إلى المحافظة على أداء الصلوات المفروضة، وهي تتوسط آيات الأحكام في شأن الطلاق وما يعقب ذلك من عداء وهموم وأحزان، فالصلاة أفضل وسيلة تربط الإنسان بخالقه، ذلك أنها إذا أقيمت بالشخص الصحيح تطهر القلب من المعاصي والذنوب.

[1]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم،ج3، ص160.

[2]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج3، ص32.

[3]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص456.

– **الأمر**: في قوله تعالى:﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[1] الآية أمر بالمحافظة على إقامة الصلوات في أوقاتها بجميع شروطها،"والأصل في الأمر الوجوب "[2] وهناك أمر آخر في آخر الآية بقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أي قوموا لله في صلاتكم خاضعين طائعين، "لأنّه كان أحدهم يكلم صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فأمروا بالسكوت، ونهو عن الكلام "[3].

– **الجواز/الإباحة**: في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ جواز الحركة الكثيرة في الصلاة للضرورة، وجواز الصلاة على الراحلة في حال الخوف "من عدو في حال الحرب أو غيره لسبب من الأسباب فصلّوا: راجلين: أي مشاة على الأقدام أو راكبين على أي أداة من أدوات الركوب مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، فالصلاة لا تسقط عن المكلف بها بحال من الأحوال، سواء في الأمن أو الخوف، أو الصحة أو المرض"[4].

– **الامتنان**: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ أي في حالة الأمان عليكم أداة الصلاة بالصورة الطبيعية مستوفية لكل شروطها وأركانها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾" أي:اشكروه على هذه النعمة في تعليمكم هذه الصلاة التي وقع بها الإجازة، ولم تفتكم صلاة من الصلوات "[5]، فجلّ جلاله قد منّ عليكم بهذا التعليم الذي كنتم تجهلونه من قبل.

---

[1]– أما الصلاة الوسطى التي أمر بالمحافظة عليها، فقد اختلف العلماء في تحديدها فرجّح بعضهم أنها صلاة العصر لما رُوي عن النبيﷺ أنه قال يوم معركة الأحزاب: (شغلونا عن الصلاة الوسطى:صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وأجوافهم نارا) أو لأنها تقع في وسط الصلاة الخمس فقبلها اثنتان وبعدها اثنتان، وقد خُصّت صلاة العصر بمزيد من التأكيد بالمحافظة عليها مما يشهد بأنها هي الصلاة الوسطى، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: (الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وُتر أهله وماله).(راجع عفيف طبارة: روح القرآن،ج1، ص315).

[2]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم،ج3، ص180.

[3]– راجع البخاري، ص93، كتاب العمل في الصلاة، أبواب العمل في الصلاة، باب 2: ما ينهى من الكلام في الصلاة، حديث رقم 1200.

[4]– عفيف طبارة: روح القرآن،ج1، ص316.

[5]– القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص202.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿268﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿269﴾ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿270﴾إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿271﴾﴾

هاتين الآيتين أعلاه يدور الحديث على فضيلة الإنفاق وعلى كيفية الإنفاق:

– **التحذير**: فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى:﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾[1]،فقد حذر جل جلاله من وساوس الشيطان في نفس الغني بأن الإنفاق في وجوه الخير يُنقص من ماله، فلو سيطر هذا الشعور على صاحبه قاده إلى طريق البخل، فإذا كان الشيطان يهدد المنفقين بالفقر فالله تعالى يعد المنفقين في سبيله بالمغفرة لذنوبهم ونماء وزيادة في خيراتهم وهذا في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ لأن الصدقة تزيد البركة في الرزق.

– **الوعد والوعيد**:فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[2] في الآية معنى الوعد والوعيد: أي ما أنفقتم من نفقة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ وعد بثواب الله لمن حقق ما نذر به، ووعيد لمن لم يفي بنذره.

وفي ختام الآية بقوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾،" (الظالمين) هنا إشارة إلى المحتكرين والبخلاء والمرائين الذين ينفقون بالمنّ والأذى، فإن الله تعالى لا ينصرهم، وسوف لا

[1]– **الفحشاء**: و هي المعاصي كالزنى، والسرقة، وشرب الخمر، كما تطلق كلمة الفحشاء على البخيل الشديد البخل، وبهذا التفسير اللغوي قد يكون معنى:﴿يَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ يأمركم بالبخل.

[2]– **النذر**: هو ما يوجبه الإنسان على نفسه في طاعة من طاعات الله من غير أن يلزمه الله به إذا حصل له ما يرغب فيه، كأن يقول: (نذرت لله كذا من المال للمساكين إذا شفى الله ولدي من المرض الذي هو فيه).

ينفعهم ما أنفقوا لا في الدنيا ولا في الآخرة "[1]، كما يندرج فيهم الذين لم يوفوا بنذورهم فهؤلاء ليس لهم من ينصرهم يوم القيامة وبدفع عنهم عقابه عزّ وجل.

– **الترغيب:** فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[2] أي أن تخرجوا الصدقات وتعطوها للفقراء والمحتاجين سرّا، خيرا لكم من أن تظهروها وتعلنوها بين الناس، "كل مقبول إذا كانت النيّة صادقة، وصدقة السّر أفضل، وذُكر لنا الصدقة تطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النارَ"[3]، وقد جاء في تفسير الطبري أن الآية ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ نزلت في الصدقة على اليهود والنصارى.

– **المدح والثناء:** فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثناء على إبداء الصّدقة، أي إن تبدوا صدقاتكم فنعم شيئا يستحق المدح والثناء تلك الصدقات.

– **الوعد والوعيد:** في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ وذلك بأن لا يفقدنا حيث أمرنا ولا يرانا حيث نهانا عنه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً

[1]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج3، ص119.

[2]– ذهب جمهور المفسرين إلى أنّ هذه الآية في (صدقة التطوع)، لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار، وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها، لانتفاء الرّياء عنها. (راجع تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص359).

[3]– تفسير الطبري، ج5، ص15.

حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿282﴾ ﴾

مما يشهد بعظمة القرآن وأنه وحي إلهي أنّه وبعد أن شنّ حربا على الربا والاحتكار في الآيات السابقة،أمر في هذه الآيات التي بين أيدينا بتنظيم العلاقات المالية بين الناس، وأكد تدوينها وتسجيلها، بل والإشهاد عليها حفظاً لحقوق كل الأطراف، فالكتابة أمر مفروض بالنص، غير متروك للاختيار في حالة الدّين إلى أجل.جاءت هذه الآية «آية الدَّين» وهي أطول آية في القرآن الكريم، لتعطي للمال حقه، وترفع شأنه، فإنه قوام الحياة، فقررت واجب الحفاظ عليه، بكتابة الديون، والإشهاد عليها بمن تُرضَى عدالتهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تصدير الحكم بالنداء، هو للعناية بما ذكر من الأحكام وهذا ما مر في بحثنا سابقا، وتوجه النداء هنا للمؤمنين دليل على الاهتمام بهذه الأحكام.

– **الأمر**: تعددت الأفعال الكلامية المباشرة في هذه الآية الشريفة، قوله تعالى:﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[1] أمر الله تعالى بوجوب كتابة الدّين ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾" يعني الدين والأجل"[2]، لئلا يقع نسيان أو جحود. كما أمر الله سبحانه أن يكتب وثيقة الدين كاتب عالم بشروط العقود وتوثيقها، عالم بأحكام الشريعة، وخبير بمعاملات الناس وذلك لقوله تعالى: ﴿فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، كما أن هناك أمر آخر في قوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ " الإملالُ والإملاء بمعنى واحد:وهو التلقين، أي إن الذي يُلقن الكاتب مقدار الدَّين وموعد سداده بوجود الدائن هو المدين، ليكون إملاؤه إقرارا بالدّين وبالحقوق التي

[1]– الجدير بالذكر يستعمل كلمة (دين) ولا يستعمل كلمة (قرض)، وذلك لأن القرض هو تبادل شيئين متشابهين كالنقود أو البضاعة التي يقترضها المقترض ويستفيد منها، ثم يعيد نقودا أو بضاعة إلى المقرض مثلا بمثل، أمّا (الدّين) فأسع معنى، فهو يشمل كل تعامل، مثل المصالحة والإيجار والشراء والبيع وأمثالها، بحيث إنّ أحد الطرفين يصبح مدينا للطرف الآخر، وعليه فهذه الآية تشمل جميع المعاملات التي فيها دين يبقى في ذمة المدين، بما في ذلك القرض (راجع الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج3، ص141).

[2]– تفسير الطبري،ج5، مرجع سابق، ص430.

يجب عليه الوفاء بها "[1]﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ " الخطاب هنا يصلح أن يكون للمدين: أي وليتق الله المدّين الذي عليه حق أداء دينه،ولا ينقص من الدَّين حين الإملاء شيئا، ويصلح أن يكون الخطاب للكاتب فيكون المعنى: وليتق الله الكاتب ولا ينقص من حق كل من الدائن والمدّين شيئا، بل يثبت لكل منهما حقه كاملا دون زيادة أو نقصان "[2].

– **التحذير**: في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ تحذير الله تعالى للكاتب أن يكتب بدون مماطلة.

– **النهي**: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ النهي عن السأم في كتابة الدَّين سواء كان صغيرا، أو كبيرا، و" (تسأموا) معناه تملّوا "[3]، لأن إهمال الدَّين الصغير يؤدي إلى جحوده، وعندها تذهب الثقة، وينشب النزاع والخصام بين الطرفين (المِدِّين والمدان).

– **الأمر/ الإرشاد**:فعل كلامي مباشر هو الأمر بصيغته الحرفية لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أمر الله تعالى بالإشهاد على البيع فقال:﴿وَأَشْهِدُوا﴾ فالمقصود بالأمر هنا الإرشاد إلى طريق الاحتياط لا الوجوب، " لأن النبي ﷺ اشترى، ولم يُشهِد" [4].

– **التهديد**:﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ أي وإن فعلتم ما نهيتم عنه من الإضرار بالكاتب أو الشهود على كتابة الدَّين، وتلحقوا الأذى بهم، فإنّ ذلك معصية وخروج من طاعتي.

– **الأمر**:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي خافوه وذلك بإتباع ما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه.

– **الوعد والوعيد**:﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وعد الله تعالى المتّقين بتعليمهم العلم النافع، أما الوعيد وارد في قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي أنه سبحانه يعلم كل كبيرة وصغيرة ويعدها ليجازي كل بعمله.

---

[1]– عفيف طبارة: روح القرآن،ج1، ص386.

[2]– نفسه، ص386.

[3]– القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص456.

[4]– محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم،ج3، ص419.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿283﴾﴾

هذه الآيات تكملة للآيات السابقة، وتشمل أحكام كيفية التعامل إذالم يكن هناك كاتب، يكتب العقود.

– **الأمر**: فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى:﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ أي: إن كنتم مسافرين وتداينتم إلى أجل مسمى ولم تجدوا كاتبا يكتب لكم الدَّين، فليكن بدل الكتابة رهان مقبوضة يقبضها صاحب الحق وثيقة لدينه من المدِيْن.

– **التنبيه/التحذير**: في قوله تعالى:﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ أي إن أمن الدائن المدِينَ فاستغنى عن الرهن ثقة بأمانة صاحبها، فعليه أن يرد الدّين لصاحبه في أحله المحدد لأنه أمانه في عنقه.

– **التحذير**: في قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أي أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما يصدر من عباده خيرا كان أم شر، فهو يجازي المحسن إحسانا والمسيء سوءا،" ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها"[1].

ب– في التـــــــــوبة:

ومثـال هذا الصنف ما يلي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿34﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴿35﴾﴾

[1]– الخازن، ج1، ص 217.

– **التنبيه والتحذير**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، تحذير الله تعالى من علماء السوء وعباد الضلال وفتنة المال، وذلك بذكر الأوصاف الخسيسة لهؤلاء الأحبار والرهبان [1]. فالآية الكريمة تحرم الكنز وجمع المال، وتأمر المسلمين أن ينفقوا أموالهم في سبيل الله وما فيه النفع والفائدة للعباد، وأن يجتنبوا كنزها وتكديسها، وإلاّ فعليهم انتظار العقاب الأليم.

– **الوعيد**:﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يعني الكافرين الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، بشرّهم بعذاب أليم موجع عند الله.وفعل الأمر﴿بشِّرهم﴾مستعار للإنذار والوعيد على طريقة التهكم لأن حقيقة التبشير: الإخبار بما يَسرّ وينفع،فلما علق بالفعل عذاب أليم كانت قرينة التهكم كنَار على عَلم ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾" استعارة بلاغية لزيادة الإيلام لهم "[2].

– **الأمر**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي ذوقوا العذاب الأليم جزاء أعمالكم وما كنتم تمنعون من أموال على المستحقين لها.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿58﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴿59﴾إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴿60﴾﴾

قال ابن جريج: أخبرني داود بن أبي عاصم قال: أتى النبي ﷺ بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت ووراءه رجل من المنافقين فقال: ما هذا بالعدل فنزل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾.

---

[1]– **الأحبار**: جمع حبر وهو عالم اليهود، والرهبان جمع راهب وهو العابد من النصارى (راجع شيبه الحمد: تفسير آيات الأحكام، ص109).

[2]– عفيف طبارة: روح القرآن (تفسير سورة الأنفال وسورة التوبة)، ج1، ص116.

– **الإخبار**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ الخطاب هنا موجه للنبي ﷺ، أي هناك" من المنافقين من يعيبك –أيها النبي– ويطعن فيك عند قسمتك الصدقات وتوزيعها على مستحقيها ومن أقوالهم: والله لا يعطيها محمد إلاّ من أحب، ولا يوثر بها إلاّ هواه"[1] ﴿فإن أعطوا منها﴾ أي من تلك الصدقات ﴿رضوا﴾ وأقروا بالعدل ﴿وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ أي يغضبون ويعيبونك.

– **الإرشاد**: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أي: ولو أنهم قنعوا بما أعطاهم من قليل وكثير، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾أي: كافينا الله، فنرضى بما قسمه لنا وليؤملوا فضله وإحسانه إليهم بأن يقولوا:﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾أي:متضرعون في جلب منافعنا، ودفع مضارنا،لسلموا من النفاق ولهدوا إلى الإيمان، فقوله:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا...﴾" واقعة في حيز الشرط ﴿لَوْ﴾ سيقت لإرشادهم إلى الآداب التي يجب التحلي بها وبخاصة مع الرسول ﷺوجواب الشرط محذوف تقديره: لكان خيرا لهم"[2].

– **التخصيص والتوضيح**: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ يبن الله تعالى في هذه الآية الموارد الحقيقية التي تصرف فيها الزكاة،أي أنّ الصدقات[3] مقصورة على الذين نصت عليهم هذه الآية دون سواهم، وحدّدهم سبحانه وتعالى في ثمانية أصناف[4]:

---

[1]– نفسه، ص143.

[2]– عبد شيبه الحمد: تفسير آيات الأحكام، مكتبة العبيكان، ط1،الرياض، (1427هـ-2006م)، ص118.

[3]– المراد بالصدقات هنا:الزكاة المفروضة.

[4]– عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن (تفسير سورة الأنفال وسورة التوبة)،(بتصرف)، ج1، ص145-146.

- ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: جمع فقير وهو من له أدنى شيء من المال وليس له كسب يفي بحاجته، وهو مع حاجته يتعفف عن سؤال النَّاس.
- ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾: جمع مسكين وهو من لاشيء له من المال فيحتاج إلى المسألة والتذلل للنّاس للحصول على القوت.
- ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ يعني الساعين في جمعها كجباتها و كتّابها.
- ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المراد بهم الأشخاص الذي يرى الإمام دفع شيء من أموال الزكاة إليهم تأليفا لقلوبهم رجاء دخولهم إلى الإسلام.
- ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ أي في فكاك الأرقاء والأسرى، فقد كان من عادة العرب أن يتفق السيد مع عبده المملوك على مال معيّن إذا أداه له يعتقه من الرق فهذا يُعان من مال الزكاة.
- ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ جمع غارم وهو من استدان في غير معصية ثم عجز عن الوفاء بدَينِهِ ولم يمهله صاحب الدَّيْن ولم يتنازل عن دَينِهِ، ففي هذه الحالة يقوم بيت مال المسلمين بالمساهمة في سداد هذا الدَّيْن من سهم الزكاة.
- ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في الغزو وقيل: الحج، والمراد (بابن السبيل) أي المسافر البعيد عن أهله وماله وقد أضيف إلى الطريق لملازمته له.

– الأمر: فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ يعني أن هذه الأحكام التي ذكرناها في الآية فريضة واجبة من الله، تفيد " معنى فرض الله أو أوجب، فأكدّ بفريضة من لفظ المقدّر ومعناه"[1].

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿104﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص240.

تَعْمَلُونَ﴿105﴾ ﴾

في هذه الآية إشارة إلى أحد الأحكام الإسلامية المهمّة، وهي مسألة الزكاة.

– **الأمر**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ الخطاب هنا موجه إلى النبي ﷺ، فالله تعالى أمر رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم بها ويزكيهم بها،أي﴿خُذْ﴾يا محمد ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾"وهي صدقة الفرض (الزكاة) وتشمل صدقة التطوع"[1]، فالله أمر بوجوب حكم الزكاة. وهناك خطابا آخر للنبي ﷺ بأنّك حينما تأخذ الزكاة منهم ﴿صَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ "أي ادع لهم واستغفر لهم، كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم فأتاه أبي بصدقته، فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى"[2].

– **المدح**: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾أي نّ دعاء الرسول –ﷺ– للمسلمين هو طمأنينة لقلوبهم وراحة لنفوسهم.

– **التحذير**:﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي أنّ الله تعالى يسمع ويعلم بكل ما يقول به الإنسان، فإثبات الاسمين من أسماء الله، وهما (السميع) و(العليم)، وما تضمناه من الصفة والحكم الذي هو الأثر، فالله يسمع اعترافهم بذنبهم،مُجيبٌ لِدُعائِهم– ومن ذلك سماعُه دُعاءَ النبي ﷺ – ويعلم ما تخفي صدورهم، ويُجازيهم بحسَبِ أعمالِهم.

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ تضمنت ما يلي:

– **التقرير**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ هذه صيغة استفهام ولكن خرج عن معناه

[1]– نفسه، ص184.

[2]– تفسير ابن كثير، ج4، ص207.

الأصلي الطلب إلى التقرير، فبشّر التائبين بأنَّ اللهَ وَحْدَه يقبَلُ التَّوبةَ من التَّائبينَ، ويقبَلُ الصَّدَقاتِ مِن عبادِه.

– **الترغيب**: فعل كلامي غير مباشر، فالتعبير بالأخذ في بذل الصدقات، وإعطائها الفقراء، "وقيل: إن المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة "[1].

– **التخصيص**: في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾" أي أنه جل وعلا يقبل التوبة لا رسوله عليه الصلاة والسلام لأن كثرة رجوعهم إليه مظنة لتوهم ذلك"[2].

– **الأمر**: فعل كلامي مباشر في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ فالآية تأمر النبي ﷺ أن يبلّغ الناس، أي:"﴿وقل اعملوا﴾ يا معشر عبادي المحسن والمسيء ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عملكم ورسوله والمؤمنون﴾"[3]، والمعنى:وقل -أيها الرسول الكريم- لهؤلاء التائبين وغيرهم، قل لهم :اعملوا ما تشاءون من الأعمال، فإن الله مطلع عليها، وسيطلع رسوله والمؤمنون عليها كذلك.... وأنكم سترجعون بعد موتكم إلى الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء، فينبئكم بما كنتم تعملونه في الدنيا وهنا وعيد شديد.

3– الإفصاحيات (التعبيريات، الأفعال التعبيرية):

والغرض الإنجازي لهذا الصنف هو التعبير عن الحالة النفسية المخصوصة ضمن شرط الإخلاص، وتتعلق بحالة أشياء محددة في المضمون القضوي، ففي التعبيريات نعبر عن أحاسيسنا وواقعنا. ولا وجود لأثر المطابقة بين العالم والكلمات لاقتضاء حقيقة القضية المعبر عنها فقط.

سنتطرق إلى ذكر نماذج من آيات الأحكام الوارد فيها هذا النوع وهي كالتالي:

---

[1]– الخازن، ج2، ص404.

[2]– الألوسي، ج11، ص15.

[3]– أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: صفوان عدنان داوودي، ج1، دار القلم –الدار الشامية، (1415هـ-1995م)، ص480.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿238﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿239﴾﴾

– **الامتنان:** أمر الله تعالى في هذه الآية بوجوب المحافظة على الصلاة وذلك بالقيام له في الصلاة بحال قنوت–وهو الوقار والطمأنينة والسكينة والأمن وهدوء الجوارح وخشوع القلب –، كما ذكر حالة الخوف الطارئة أحيانا، وهي الخوف من العدو، وبيّن أن هذه العبادة لا تسقط عن العبد ورخّص أن يصلي الإنسان حيثما وكيفما كان،" فإذا زال خوفكم الذي ألجأكم إلى هذه الصلاة "[1] فقوموا بأداء العبادة على التمام والكمال و﴿اذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم﴾أي اشكروه بالشكر له والثناء عليه على ما أنعم عليكم في تعليمكم ما لم تكونوا من قبل تعلموه، " فالكاف في قوله: (كما) بمعنى الشكر[2].

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴿200﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿201﴾﴾

احتوت هذه الآية على:

– **التعريض:** في قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ فالمقصود من الآية "التعريض يذم حالة المشركين، فإنهم لا يؤمنون بالحياة الآخرة"[3]. والمعنى:أي من المسلمين فريق ممن يشهدون مواسم الحج، يكون جلّ اهتمامهم في ذكرهم ودعائهم حظ الدنيا، فهؤلاء لا حظ لهم في الآخرة مما أعده الله للمتقين من رضوانه.

أ– في التـــــوبة:

ومثاله في ذلك مايلي:

---

[1]– القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص202.

[2]– نفسه، ص202.

[3]– ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص247.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴿17﴾﴾

– الذم: فعل كلامي مباشر، أي:ليس من شأن المشركين إعمار بيوت الله، وهم يعلنون كفرهم بالله ويجعلون له شركاء. هؤلاء المشركون بطلت أعمالهم يوم القيامة، ومصيرهم الخلود في النار.

قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴿19﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴿20﴾﴾

احتوت الآية على مايلي:

– التوبيخ: فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾" قال أبو جعفر: وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت، فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله، لا في الذي افتخروا به من السِّدانة والسقاية "[1].

– التهويل: فعل كلامي مباشر دلت عليه الصيغة الخبرية في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿79﴾﴾ أي: هؤلاء المنافقين الذين سخروا من المؤمنين بسبب ما بذلوه من الصدقات، فالله تعالى سيجازيهم على سخريتهم فأنزل الله الآية فاضحا لهم ساخرا منهم، هذا في الدنيا، إلا أن الهول الجسيم والعذاب الشديد ما ينتظرهم في الآخرة.

4– الوعديات(الإلتزاميات، أفعال الوعد):

[1]– تفسير الطبري، ج 6، ص 335.

يلتزم المخاطب بفعل شيء تجاه المخاطَب طوعا، وتمثّله أفعال الوعد والوعيد والضمان والإنذار، وهي كثيرة في الخطاب القرآني، والفرق بينها وبين الأفعال الطلبية كونها متجهة نحو المتكلّم، بينما تتجه الأفعال الإلتزامية نحو المخاطب[1].

يصنّف الشاطبي بعض الخطابات على أنّها أوامر غير صريحة، فمنها ما جاء على شكل أخبار، ومنها ما جاء على شكل مدح للفاعل في الأوامر، والعقاب في النواهي، وهذه الأمور دالّة على طلب الفعل في الأمور المحمودة، وطلب التّرك في الأمور المذمومة[2].

أ- في سورة البقرة:

ونورد نماذج من أفعال الوعد والوعيد الواردة في هذا الصنف:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿278﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿279﴾﴾

احتوت الآية على:

- التهديد: فالله تعالى يخاطب المؤمنين، ويأمرهم بالتقوى وأن يتنازلوا عما بقي لهم من فوائد ربوية، فإن لم يسلّموا لأوامر الله فيجب عليهم أن يعلموا بأن الله ورسوله ﷺ سيحاربهم،ومن كان في حرب معهما فهو حتما خاسر، وإعلان الحرب بمثابة معنى المبالغة في الوعيد وذلك بما سيصيب المرابين من عذاب في الآخرة ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أما إن تبتم وتركتم تعاطي الربا، فاعلموا أنه ليس لكم أن تأخذوا من المدِين بعد تحريم الربا رؤوس أموالكم فقط (بدون ربح)، وهذا من عدل الله على الطرفين المدِين والمدان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ

---

[1]- نعمان بوقرة: **"نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية"**، مجلّة اللغة والأدب، ع 17، ص197.

[2]- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي:**الموافقات في أصول الشريعة**، تخريج وضبط: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ج 3،ط 3،141&7 هـ-1997م، ص 142 -143.

أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿159﴾إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿160﴾إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿161﴾خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿162﴾﴾

احتوت الآية على:

– **وعيد شديد:** فعل كلامي غير مباشر، معناه: علماءَ اليهود وأحبارَها، وعلماءَ النصارى، لكتمانهم الناسَ أمرَ محمد ﷺ، وتركهم إتباعه وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل"[1]،فهنا وعد شديد لهؤلاء المتلاعبون بأحكام الدين، المحرفون للتوراة والإنجيل، يستحقون الطرد والإبعاد من رحمة الله، ويستوجبون اللعنة من الملائكة والناس أجمعين، إلاّ من تاب عن كتمانه، وأصلح أمره بالإيمان بمحمد رسول الله ﷺ، وبيّن ما أوحاه الله تعالى إلى أنبيائه، فلم يكتمه ولم يُخفه، فهؤلاء يتوب الله عليهم، ويفيض عليهم مغفرته ورحمته، وهو جل ثناؤه كثير التوبة على العباد، يتغمدهم برحمته، ويشملهم بعفوه، ويصفح عمّا فرط منهم من السيئات.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿114﴾﴾

– **التعظيم والتهويل:** فعل كلامي غير مباشر دلّت عليه الصيغة الخبرية، وذلك في قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ...﴾قد خرج الاستفهام هنا إلى النفي، وأفادت الآية معنى أي لا أحد أظلم من هؤلاء الكافرين الذين منعوا النبي وأصحابه من دخول المسجد الحرام.هؤلاء الذين يخربونها الخراب المعنوي أو الحسي أن من عمَّر المساجد العمارة الحسيّة أو العمارة المعنوية أنه له في الدنيا أحسن الجزاء وفي الآخرة أحسن العاقبة،﴿خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾هذه العبارة للتعظيم والتهويل، يعني خزي عظيم،

[1]– تفسير الطبري، ج1، ص441.

وهذا يدل على أن الذين يخربون بيوت الله خرابًا معنويًّا أو خرابًا حسيًّا متوعدون بالعقوبة العاجلة في الدنيا، هذا مما تعجل عقوبته، الخزي في الدنيا، فهؤلاء اليهود ماذا ينتظرون إلا الخزي، فإن أفعالهم تجلب الخزي مع ما يلاحقهم من لعنة الله وغضبه.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿275﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿276﴾إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿277﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿278﴾فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿279﴾﴾

تحريم الربا في القرآن:

بعد أن بيّن الله في الآيات السابقة ثواب الإنفاق على الفقراء والمحتاجين، بيّن في هذه الآيات قُبح الربا والذي يقف في الجهة المضادّة للإنفاق، وإثم مرتكبيه، حيث أنّ " سبب نزول هذه الآية وسائر الآيات التي تخص الربا نزلت في وقت كان فيه تعاطي الربا قد راج بشدة في مكة والمدينة والجزيرة العربية حتى غدا عاملا مهما من عوامل الحياة الطبقية، وسببا من أهم أسباب ضعف الطبقة الكادحة وطغيان الأرستقراطية، لذلك فإن الحرب التي أعلنها القرآن على الربا تعتبر من أهم الحروب الاجتماعية التي خاضها الإسلام"[1].

– **الوعيد /التهديد:** فعل كلامي مباشر في صيغته الحرفية وارده في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...﴾ فهنا وعيد لمن استحلّ الربا وأصر على فعله، يخبر المولي جل وعلا المرابين، الذي يتعاملون بالربا فيمتصون دماء الناس، بأنهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة، إلاّ كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، يتعثر ويقع ولا يستطيع أن يمشي سوياً، لأن به مساً من الشيطان، ذلك التخبط والتعثر بسبب

[1]– الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج3، ص131.

أنهم استحلوا الربا الذي حرّمه الله، فقالوا: الربا مثل البيع،ثمّ جاء الوعيد والتهديد الشديد لمن تعامل بالربا، وخاصة إذا كان هذا الشخص من المؤمنين، فالربا والإيمان لا يجتمعان، ولهذا أعلن الله الحرب على المرابين ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾،فأي مسلم يسمع مثل هذا الوعيد ثم يتعامل بالربا، يستوجب العقوبة الشديدة بالخلود في نار جهنم لاستحلاله ما حرّم الله.

ب- في سورة التـــــــوبة:

و مثـــــاله في ذلك مايلي:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴿34﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴿35﴾﴾

احتوت هذه الآية على ما يلي:

- التهديد/الوعيد:في الآية تهديد ووعيد لمن يكنزون الذهب والفضة ولا يؤدون زكاتها بقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ "استعارة بلاغية لزيادة الإيلام لهم لأن البشارة لا تكون إلا بالخير السار، فكيف إذا كانت البشارة بالعذاب"[1].

- التهكم/التقريع:﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ أي: "تجمع من الحطب في النار وتلقي عليه،ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن هو أشفق عليه - كان - في الدنيا، كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأشياء على أربابها، كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة،فيحمى عليها في نارجهنم - وناهيك بحرها - فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم" [2].

[1]- عفيف عبد الفتاح طبارة: روح القرآن (تفسير سورة الأنفال وسورة التوبة)، ج1، ص116.

[2]- ابن كثير: تفسير ابن كثير، ج4، ص141.

5- الإيقاعيات (الإعلانيات، الإعلانات):

وغرضها إحداث أو خلق تغيير في العالم حتى يطابق المحتوى القضوي،وتستند إلى مؤسسة غير لغوية وليس لها شرط خاص، وهي تعبر عن الاعتقاد وتمتاز بكون جميع الإيقاعيات الصحيحة تحمل محتوى قضوي صادق واتجاه المطابقة فيها مزدوج.

أ- في ســـــورة البقرة:

ومثـــاله في ذلك:

وجـــوب القصاص: قوله تعالى:﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿179﴾﴾

فعل كلامي إيقاعي، فالخطاب هنا من السلطة العليا –الله عزّ وجل- إلى من يعنيهم أمر هذا التغيير –المؤمنون-،والغرض من هذا الفعل الكلامي هو تشريع حكم القصاص،بديل الثأر الذي كان سائد في الجاهلية، و لفظ القصاص الذي يدل على إنزال عقوبة بالمجرم مماثلة لما ارتكبه هو وهذا دليل أن حكم القصاص يحفظ حرمة الدماء وينفي العادات وكل ما يتعلق بالجاهلية، وبالتالي هو نقلة من أحكام الجاهلية إلى عدالة الإسلام.

تحريم الربا تحريم قاطعا و حليّة البيع: قوله تعالى:﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾

في الآية فعلا كلاميا إيقاعيا، صادر من الله تعالى للمشركين ردا عليهم،على ما قالوه من اعتراضهم على أحكام الله في شرعه، مع علمهم بتفريق الله بين هذا وهذا حكما، وهو الحكيم العليم،و هذه الدلالة واضحة تفهم و يمكن الوقوف عليها بأدنى تأمل بدون اجتهاد أو قرائن، لكن هذا الحكم الذي توصلنا إليه يدخله التخصيص، إذ يقر أن هناك بيوع منهي عنها، فلا نستطيع أن نقول أن جميع البيوع حلال من هذه الآية، فالفعل الكلامي أنجز لإحداث التغيير من حال إلى حال.

ب- في التـــــــــوبة:

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا

عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿4﴾

في الآية فعلا كلاميا إيقاعيا، صادر من الله تعالى ورسوله إلى عامة النَّاس، لأن ذلك مما يجب أن يعرفه المشرك والمؤمن من حيث كان الحكم متعلق بإلغاء العقود مع الكفار والمشركين،الذين قاموا بإلغائها مع النبي ﷺ دون سابق إنذار وبدون حجة واضحة، لذا أعلن تاريخ هذا الإلغاء في هذه الآية، على الملأ العام، في مكة المكرمة وفي اليوم العظيم (يوم الحج الأكبر)، ليحذرهم ويوصدهم على ما يجرؤون بالقيام به وذلك ترغيبا وترهيبا لعلهم يرجعون يهتدون، فالحكم فنا واضح وفيه تغيير من حالة التعامل مع الكفار والمشركين إلى تأكيد إلغاء موضوع المعاهدات بين النبي ﷺ والمشركين، فالفعل الكلامي أنجز لإحداث التغيير من حال إلى حال من حال النقض إلى حالة الأمر بالالتزام بالحكم والوفاء بالعهود .

المــطلب الثالث: الاستلزام الحواري في سورتي(البقرة والتوبة).

سنتناول في هذا الجزء ظاهرة الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني من خلال دراسة وتحليل المعاني المستلزمة التي خرجت إليها بعض الأساليب الخبرية، والأساليب الإنشائية (الطلبية) في خطاب سورة (البقرة والتوبة)، والأغراض التداولية التي تؤديها، مع الأخذ بعين الاعتبار المقامات التخاطبية والسياقات التي وردت فيها، وهذا بالاعتماد على آراء بعض العلماء والمفسرين.

المعاني المستلزمة نتيجة خرق قاعدة الكم: تتعلق بكمية المعلومات الواجب توفيرها وتؤدي بقاعدتين أساسيتين هما[1]:

- لتكن مشاركتك محتوية الحد المطلوب من المعلومات.
- لتكن مشاركتك غير محتوية حدا يفوق الحد المطلوب من المعلومات.

ونورد أمثلة من مدونة البحث اشتملت على هذا الأمر وهي على سبيل المثال:

1- المعاني المستلزمة حواريا في سورة البقرة:

[1]- آن روبول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص215.

قـــــــوله تعالى:

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿45﴾﴾

هذه الآية هنا تنجز فعل الأمر المدلول بصيغته الحرفية لقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾، وذلك بقرائن بنيوية وهي صيغة الأمر (افعل)، غير أن الجملة في المقام والسياق الذي وردت فيه لا يقصد بها إنجاز فعل الأمر، وإنَّما أنجز بها فعل الوعظ والإرشاد نتيجة خرق قاعدة الكم، لأنّ المخِاطب (الله) بعد أن ذكّر المخَاطب (بنو إسرائيل) بالنعم التي أنعم عليه بها وأمره بالإيمان بمحمد ﷺ وأرشده ونصحه بالإستعانة بالصبر وما فيه من قمع للنفس و بالصلاة وما فيها من التزام، أضاف بعد المعلومات ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ التي دلّت على الثناء على المسلمين وإرشاد وتحريض "بني إسرائيل" على الاقتداء بالمسلمين مما أدى إلى خروج الأمر إلى معنى الوعظ والإرشاد [1].

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴿200﴾﴾

تأتي الآية في إطار بيان الحج والعمرة، حيث حثّ سبحانه وتعالى عبادة المسلمين على الإكثار من ذكره، مستعملا صيغة ﴿فَاذْكُرُوا﴾ التي خرجت عن دلالتها الأصلية، ويرجع ذلك حسب تحليل "غرايس" إلى خرق قاعدة الكم، فقد ساهمت القرينة اللغوية ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ باعتبارها معلومات مضافة في إضفاء دلالات الحث على صيغة الأمر[2].

﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاوَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ

[1]- ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص480.

[2]- ابن عاشور: المرجع السابق، ج 2، ص245.

فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿282﴾

بعد أن شنَّ القرآن على الربا والاحتكار والبخل وأمر بمحاربتها ، وضع تعليمات دقيقة لتنظيم الروابط التجارية والاقتصادية،وفي الآية التي بين أيدينا خطاب الله لعباده المؤمنين، وذلك بإرشادهم إلى تدوين المعاملات التجارية ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها، وأضبط للشاهد فيها،لقوله:﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾، أي لا تملّوا أن تكتبوا الحق على أي حال كان من القلة والكثرة إلى أجله"[1].

فالنهي هنا ليس لغرض التحريم بل لغرض الإرشاد والوعظ، وتحقق هذا المعنى المستلزم نتيجة خرق قاعدة الكم، فقد أضاف المخاطِب (الله) بعض المعلومات ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ التي وهبت النهي معنى الإرشاد والبعث على الكتابة قلّ المال أو كثر، لأنّ النزاع الحاصل بسبب القليل من المال قد يؤدي إلى فساد عظيم ولجاج شديد، كما أنّ الدين إذا كان مكتوبا كان إلى اليقين والصدق أقرب وعن الجهل والكذب أبعد فكان أعدل عند الله، والكتابة أقوم للشهادة لأنّها سبب للحفظ والذكر وأقرب إلى الاستقامة[2].

أ- المعاني المستلزمة الناتجة عن خرق قاعدة الكيف: "حاول أن تكون مشاركتك صادقة " وتحتوي قاعدتين [3]:

- لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب.
- لا تقل ما تفتقر إلى دليل واضح عليه.

---

[1]- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص722.

[2]- الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج7، ص125-126.

[3]- آن روبول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص215.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿237﴾﴾

جاءت هذه الآية كما ذكرنا سابقا في سياق الحديث عن حكم المطلقة، فالله يقول لا حرج عليكم أيها الرجال إذا طلقتم النساء ما لم تجامعوهن وقد فرضتم لهن فريضة، فلهن عليكم نصف ما كنتم فرضتم لهن من قبل طلاقكم إياهن، إلاّ إذا صفحن لكم عنه تفضلا منهن عليكم، أو يعفو الزوج فيعطيها الصداق كاملا، ثم خاطب سبحانه وتعالى الزوجات قائلا:﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، أي أن تعفوا أقرب لتقوى الله[1].

عملية التخاطب كما صوّر "غرايس" هي عملية على شكل لعبة لها قوانينها التي يفترض أن تكون محترمة [2]، لكن قد يحدث أحيانا أن يتم الخروج عن إحدى القواعد الفرعية مع احترام المبدأ العام، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾،حيث تم خرق قاعدة الكيف، لأن المخاطِب (الله) لم يدل بقصده صراحة، بل استعمل مفردات تعبر حرفيا عن معنى غير المعنى المقصود، فصيغة النهي﴿لَا تَنسَوُا﴾ تعبّر ظاهريا عن تحريم النسيان مع العلم أنّه فعل لا إرادي وغير خاضع للطاقة البشرية فليس في وسع المخاطَب أن يتذكر وينسى ما يريد، وهذا يعني أنَّ المخاطِب لا يرغب في التزام المخاطَب بترك المنهي عنه (حقيقة النهي)، بل يرمي إلى تبليغ معنى معين كامن وراء الصورة الحرفية وهو الترغيب في الفضل[3].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴿267﴾﴾

قال الله تعالى:﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾، أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالصدقات ثم أخبرهم أنّه غني عن انفاقهم وإنّما يأمرهم لمنفعتهم، وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور

[1]- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص84-90.

[2]- Logique et coversation ; P44. : Herbert Paul Grise

[3]- ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص464.

علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون، لأن المتكلم (الله) لا يريد من المخاطَب (المؤمنون) أن يعلم لأنّه يعلم أصلا بل يريد توبيخه، وبالتالي خرق قاعدة الكيف [1].

ب- المعاني المستلزمة نتيجة خرق قاعدة الإضافة أو الملائمة:

"اجعل مشاركتك ملائمة"[2]، ومن صور ذلك قوله تعالى:

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴿200﴾وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿201﴾﴾

الخطاب حسب ما يظهر من نظام اللغة يفيد الأمر، فلم يخالف المرسل سنن اللغة العربية لا في تركيب الملفوظ ولا في انتقاء الألفاظ الدالة على قصده، لكن معطيات السياق لا تؤكد ذلك، إذ يحتل المرسل (الناس) درجة أدنى من درجة المرسل إليه (الله) وذلك حسب تصنيف الرتب في درجات تنظم العلاقة، وتمارس درجة العلاقة بين طرفي الخطاب دورها في اختيار استراتيجية الخطاب، فمرتبة المرسل دون مرتبة المرسل إليه في الواقع، فيظهر شكليا عدم التناسب بين دلالة لغة الخطاب الشكلية وبين معطيات السياق، وكل ذلك يجري لغاية مقصودة[3].

ولأن الطلب في الآية جاء من الأدنى (النّاس) إلى الأعلى (الله) فقد أخل ذلك بقاعدة الإضافة، إذ لا يعقل أن يأمر الناس الله على وجه الإلزام فذلك غير ملائم، وعليه اقتضت المسألة خروج الأمر إلى معنى الدعاء.

ج- المعاني المستلزمة نتيجة خرق قاعدة الجهة:

[1]- ابن عاشور: المرجع السابق، ج3، ص55.

[2]- آن روبول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص215.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص115-116.

هذه القاعدة لا تهتم بما هو مقول أو منطوق بل بكيفية قوله ونطقه قاعدتها العامة " كن واضحا "وعنها تتفرع القواعد الآتية[1]:

- تجنب الإبهام في التعبير.
- تجنب اللّبس.
- تجنب كل إطناب غير مفيد.
- كن منظما.

ومن الآيات التي تحققت فيها نتيجة هذه القاعدة قوله تعالى:

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿191﴾﴾

خرج الأمر في الآية الكريمة للدلالة على معنى التهديد نتيجة خرق القاعدة الرابعة من مبدأ التعاون وهي قاعدة الجهة التي تقتضي الوضوح والإيجاز والتنظيم والابتعاد عن اللبس والإبهام والإطناب، فالمخاطِب (الله) لم يقل (مكة) التي توضح تحت بند الإيجاز، وعنوة اختار جملة ﴿ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ التي نأت عن الإيجاز بهدف تأدية معنى التهديد[2].

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿142﴾﴾

في الآية الكريمة الله حوار بين السفهاء و الله تعالى يتحدث عن التمهيد لتحويل القبلة فيها انتهاك مبدأ الجهة، نظرا لشكل الكلام في الحوار، وذلك بقول السفهاء: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ فأراد الله سبحانه وتعالى أن يرد على هؤلاء السفهاء فقال:﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾...أي أنك إذا اتجهت إلى بيت

[1]- آن روبول وجاك موشلار، المرجع سابق، ص215.

[2]- ابن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص202.

المقدس أو اتجهت إلى الكعبة أو اتجهت إلى أي مكان في هذا الكون فالله موجود فيه، و معنى القول: أن المشرق والمغرب ملكا لله ليس جهة خارجة من ملكه ويأمر اله تعالى باستقبال القبلة التي كانت الكعبة في مكة.

2- المعاني المستلزمة حواريا في سورة التوبة.

تجدر الإشارة هنا، إلى أن الآيات موضوع البحث في سورة التوبة لا تتضمن أي نوع من أنواع الاستلزام الحواري.

نتـــــائج الفصل الثاني:

تحدثنا في هذا الفصل الثاني عن الأبعاد التداولية في آيات الأحكام المالية، كالربا، والبيوع...إلخ، والأحكام التعبدية، كالصلاة والزكاة والصوم الحج...إلخ، في سورتي البقرة والتوبة. وقد خلصنا إلى ثراء هاتين السورتين بالدلالات التي تتعلق بآيات الأحكام التعبدية والمالية، وقد ظهر ذلك في معرض تطبيق مفاهيم التداولية، حيث خلصنا إلى وجود أفعال الكلام بمختلف عناصرها (الأمر، والنهي، والاستفهام، والطلب، والإشاريات...إلخ)، وقد لوحظ غياب الاستلزام الحواري في الآيات التي تم بحثها في سورة التوبة، وتفسير ذلك هو أن الاستلزام يقتضي وجود شرط التفاعل بين المرسل والمرسل إليه في سياق محدد، وفي لحظة زمنية محددة، ليتحقق تداعي الدلالات في الحوار. وقد أشرنا سابقا إلى أن من صعوبات تحليل آيات الأحكام في سورتي التوبة والبقرة، والقرآن الكريم عموما، هو وجود مرسل (الله) قال كل شيء في لحظة زمنية دقيقة، ومتلق (القارئ أو الدارس) يحاول التأويل منذ تلك اللحظة إلى يوم الساعة. ومن النتائج التي خلصنا إليها أيضا وجود مظاهر الانزياح الدلالي واللغوي في بعض الآيات، وبالتالي التداولي؛ كاختراق قاعدة الملاءمة مثلا في الآية 200-201 من سورتي التوبة كما هو موضح في ثنايا التحليل، بمعنى أنه تم استعمال عبارات في ظاهرها فعل كلامي يقضي بأمر "آتنا في الدنيا حسنة"، لكن باطنه طلب، والدليل على ذلك هو إعادة ضبط العلاقة السياقية بين المرسل والمرسل إليه حتى تكون ملائمة للفظ اللغوي؛ فلا يُعقل أن يأمر الناس الله، بل يطلبون منه.

الخاتـــمة

ختامًا، حاول بحث "آيات الأحكام دراسة في ضوء المنهج التداولي في سورتي البقرة والتوبة" الإجابة عن إشكالية أساسية هي؛ كيفية تطبيق وتحليل آيات الأحكام في القرآن الكريم انطلاقا من السورتين موضوع التطبيق، وقد تفرع عن تلك الإشكالية إشكاليات فرعية من قبيل؛ تحديد المفاهيم والمصطلحات العامة التي تتشكل منها التداولية، وعلاقتها بالنص، والنص القرآني عمومًا، ثم آليات تحليل النص القرآني تداوليا، والإمكانات التي يتيحها هذا المنهج لتحقيق فهم أعمق بهذا النوع من الآيات في القرآن الكريم، باتجاه بلورة منهج صارم يمكِّن من استنباط الأحكام الجديدة، بدل تحليلها وفهمها فقط، وذلك بتطبيق المنهج على آيات الأحكام المالية والتعبدية كأنموذج للبحث.

هذا، وقد خلصنا في الفصل الأول على عدة نتائج يمكن أن تكون خطوة منهجية مهمة في تقدم التحليل، من ذلك:

– أن التداولية في تعريفها العام غير مستقرة على تحديد واحد، وعلى خلاف ما قد يبدو أن هذا جانب سالب قد يسبب ضعفا نظريا في اتصال المقدمات المفهومية بالنتائج النظرية، فإنه يظهر للباحث أن عدم الاستقرار على تعريف واحد يمنح إمكانات واسعة للفهم والتحليل وتتبع الدلالات المختلفة للمفهوم من جهة، وتوسيع إمكانات تطبيقها على النصوص من جهة أخرى.

– وقد ترتب عن النتيجة السابقة استنتاجٌ آخر هو أن التداولية تركز على اللغة في الاستعمال، والبنيات اللغوية في مفهومها ليست إلاّ قوالب لحفظ معاني يتم استخدامها في سياقات تداولية معينة، وفائدة هذه النتيجة ستكون كبيرة في تقدم تحليل آيات الأحكام في سورتي البقرة والتوبة، بمعنى أن ربط التداولية باستعمال اللغة لتوليد المعنى في سياقات محددة، يحيل على ضرورة تفسير آيات الأحكام في السورتين كلما دعى الاستعمال لذلك، وكلما تجدد السياق.

أما الفصل الثاني فقد تحدث عن الأبعاد التداولية في آيات الأحكام المالية، كالربا، والبيوع...إلخ، والأحكام التعبدية، كالصلاة والزكاة والصوم الحج...إلخ، في سورتي البقرة والتوبة. وقد خلصنا إلى:

– ثراء هاتين السورتين بالدلالات التي تتعلق بآيات الأحكام التعبدية والمالية، وقد ظهر ذلك في معرض تطبيق مفاهيم التداولية، حيث خلصنا إلى وجود أفعال الكلام بمختلف عناصرها (الأمر، والنهي، والاستفهام، والطلب، والإشاريات...إلخ).

– و قد لوحظ غياب الاستلزام الحواري في الآيات موضوع البحث في سورة التوبة ،فهي لا تتضمن أي نوع من أنواع الاستلزام الحواري، وتفسير ذلك هو أن الاستلزام يقتضي وجود شرط التفاعل بين المرسل والمرسل إليه في سياق محدد، وفي لحظة زمنية محددة، ليتحقق تداعي الدلالات في الحوار. وقد أشرنا سابقا إلى أن من صعوبات تحليل آيات الأحكام في سورتي التوبة والبقرة، والقرآن الكريم عموما، هو وجود مرسل (الله) قال كل شيء في لحظة زمنية دقيقة، ومتلق (القارئ أو الدارس) يحاول التأويل منذ تلك اللحظة إلى يوم الساعة. ومن النتائج التي خلصنا إليها أيضا وجود مظاهر الانزياح الدلالي واللغوي في بعض الآيات، وبالتالي التداولي؛ كاختراق قاعدة الملاءمة مثلا في الآية 200-201 من سورتي التوبة كما هو موضح في ثنايا التحليل، بمعنى أنه تم استعمال عبارات في ظاهرها فعل كلامي يقضي بأمر "آتنا في الدنيا حسنة"، لكن باطنه طلب، والدليل على ذلك هو إعادة ضبط العلاقة السياقية بين المرسل والمرسل إليه حتى تكون ملائمة للفظ اللغوي؛ فلا يُعقل أن يأمر الناس الله، بل يطلبون منه.

إن الإشكالات التي تطرحها هذا البحث لها جوانب كثيرة من التعقيد سواء من جهة المنهج الذي يتميز بالثراء المعرفي و المفهومي من جهة، وبالتنافر بين نظرياته من جهة ثانية، أو من جهة الموضوع "القرآن الكريم"، الذي يكتسي قداسة تجعله متعالية عن الأحكام المبتسرة، أو التي تتجاوز حدود الشريعة، إضافة إلى كون آيات الأحكام المالية والتعبدية، موضوع التطبيق، تترتب عنها أحكام تعتبر أركان الدّين، والعبادات التي يجب على المسلم أن يلتزم بها.

ورغم ذلك، فإن المنهج التداولي فتح أفقا جديدا للدراسة والبحث، فإن لم تكن الأحكام التي تنتج عنه مُلزمة فقها وشريعة، فإن تطبيقه، المنهج التداولي، يساعد على الفهم والتحليل في الدرجة الأولى، في أفق الانتقال إلى بلورة منهج تداولي صارم يمكن الباحث في القرآن والفقيه من الانتقال من درجة البحث عن فهم معاني جديدة، إلى البحث عن الحكم انطلاقا من نتائج المنهج.

إن هذا البحث محاولة من عدة محاولات لتطبيق النظريات اللسانية الحديثة على القرآن الكريم، وحسبي أن أقول أنه لم يدع الإجابة عن الموضوع بشكل جامع مانع، وهو بذلك يفتح أفقا للبحث، ومجالا للتطوير.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المراجع العربية:

1– ابن عاشور: **تفسير التحرير والتنوير**، ج2، ج10، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1984م.

2–ابن كثير الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط2، 1999 - 1420 م.

3–أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي: **الموافقات في أصول الشريعة**، تخريج وضبط: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ج 3، ط 1417،3 هـ-1997م.

4–أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر/ بيروت، مجلد11،ط1994،3 م.

5–أبو عبد الله الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 02-02-2007م.

6–أبي بكر جابر الجزائري، **أيسر التفاسير**، ج1، نهر الخير على أيسر التفاسير، 1410هـ-1990م.

7–أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: **تفسير الطَّبري(224هـ–310هـ)**، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج4، هجر، القاهرة، 1422هـ-2001م.

8–أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، ط1، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، 1423هـ-2002م.

9–أحمد المتوكل: **اللسانيات الوظيفية –مدخل نظري–**، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط2، 2010م.

10–أحمد المتوكل: **اللسانيات الوظيفية**، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، دط، 1987م.

11–أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين: **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر،ط2، 1991م.

12–أحمد عزوز: **المدارس اللسانية (أعلامها –مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي)**، دار آل الرضوان، وهران، ط2، 2008 م.

13–الأزهر الزنَّاد: **نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)**، المركز الثقافي العربي، بيرت، ط1، 1993م.

14–الألوسي أبو الفضل شهاب الدين محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، ج1، تح: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، 2005م.

15–الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي: **زاد المسير في علم التفسير**، ج1، دار ابن حزم، ط1، بيروت –لبنان، 1423هـ-2002م.

16–الآمدي، علي بن أبي علي: **الإحكام في أصول الأحكام**، ج2، دار الصميعي للنشر والتوزيع،2003م.

17–التفسير لمصطفى المنصوري: **المقتطف من عيون(باختصار)**، ج2، الدار الشامية / بيروت، ط2، 1996م.

18–الجاحظ: **الحيوان**، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1969م.

19–جيلالي دلاش: **مدخل إلى اللسانيات التداولية**، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،1992 م.

20–حاتم الصكر: **ترويض النص "دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر، إجراءات ومنهجيات"**، سلسة دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1998 م.

21–حسام أحمد القاسم: **تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة-مصر،2007 م.

22–خالد ميلاد: **الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية**، جامعة منوبة، تونس، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001 م.

23–خليفة بوجادي: **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، بيت الحكمة، الجزائر، ط2009،1م.

24–الزمخشري: **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

25–الزمخشري، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج3، دار المعرفة، 1430هـ-2006م.

26–سعيد حسن بحيري: **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2005 م.

27–السكاكي أبو يعقوب: **مفتاح العلوم**، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1987،2م.

28–الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، ج2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1434هـ- 2013م.

29–صلاح فضل: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، دار الكتاب اللبناني المصري، بيروت، القاهرة،2004 م.

30–طه عبد الرحمان: **تجديد المنهج في تقويم التراث**، المركز الثقافي العربي، بيروت،2005م.

31–طه عبد الرحمان: **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء،2000م.

32–عباس حشاني: **خطاب الحجاج والتداولية –دراسة في نتاج ابن الأدبي**، عالم الكتب الحديث، ط1، 2013م.

33–عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب،** مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، طرابلس، ط1، 2004م.

34–عبد شيبه الحمد: **تفسير آيات الأحكام،** مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 1427هـ-2006م.

35–عطية سليمان أحمد: **الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية،** الأكاديمية الحديثة للكتاب، جامعة السويس، دط، 2014م.

36–عفيف عبد الفتاح طبارة: **روح القرآن (تفسير سورة الأنفال وسورة التوبة)،** ج1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1، سبتمبر 2001م.

37– عفيف عبد الفتاح طبارة: **روح القرآن (تفسير سورة البقرة)،** دار العلم للملايين، ط1، سبتمبر2007 م.

38–العياشي أدراوي: **الاستلزام الحواري،** منشورات دار الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، المغرب، ط1، 2011م.

39–الفضل بن حسن الطبرسي: **مجمع البيان في تفسير القرآن،** ج2، كارخان عالجاه علبقلى خان، طهران، 1304هـ-1886م.

40–محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر: **تفسير فخر الرازي،** ج4، دار الفكر، ط1، 1401هـ-1981م.

41–محمد بن ابراهيم البغدادي: **تفسير الخازن (المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل)،** ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

42–محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)،** تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1، مؤسسة الرسالة ج 10،ج4، 1427هـ-2006م.

43–محمد بن صالح العثيمين: **تفسير القرآن الكريم،** ج2،ج3، دار ابن الجوزي، دت.

44–محمد عبد العظيم الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

45–محمد علي الصابوني: **روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن**، ج1، مكتبة الغزالي- مؤسسة مناهل العرفان، دمشق، 1400هـ-1980م.

46–محمود أحمد نحلة: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ط1، دار المعرفة الجديدة، القاهرة، 2002م.

المراجع المترجمة:

1–أرمينيكوفرنسواز:**المقاربة التداولية**،تر:سعيد علوش،الدار البيضاء،المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع،1987م.

2– فيليب بلانشيه: **التداولية من أستين إلى غوفمان**، تر: صابر الحباشة، دار الحوار،سورية، اللاذقية، ط2، 2007م.

3–جورج يول: **التداولية**، تر:قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم،بيروت،ط1431،1هـ-2010م.

4–زاتسيسلاف واورزنياك:**مدخل إلى علم النص**، تر:سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1424هـ/2003م.

5–عطية سليمان أحمد:**الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية**، الأكاديمية الحديثة للكتاب، جامعة السويس، دط، 2014م.

6–جون لانكشو أوستين:**نظرية أفعال الكلام العامة**، تر: عبد القادر قينيني، المغرب،إفريقيا الشرق، ط2، 2008 م.

7–جيوفري ليتش:**مبادئ التداولية**، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا، الشرق، الدار البيضاء، 2013م.

المقالات:

1– نعمان بوقرة:**التفكيراللغويالتداوليعندالعرب،الكتابةاللسانيةالعربيةوإشكالياتالمصطلح**

2–هديل حسن عباس: **اللسانيات النشأة والتطور**.(بحث منشور على الانترنت)

3–محسن وارد جواد: **اللّسانيات التداولية**، جامعة البصرة، ص 4 (بحث على الانترنت)

4–عمر بلخير:**إجراءات التحليل التداولي للخطاب**،http://omarbelkher.wordpress.com.

5–رضوان الرقبي: **التداولية المفهوم والتصور، صحيفة المثقف**، العدد4281، http://:allmoyhaqaf.com

6–الحسين أخدوش:**نظرية أفعال اللغة لدى الفيلسوف أوستين**، أسسها وحدودها الفلسفية، 21أكتوبر 2016م.https://www.mominoun.com

7–عادل فاخوري:**الاقتضاء في التداول اللساني (بحث)**،أستاذ بقسم الفلسفة –جامعة الكويت– عالم الفكر، مجلد20، عدد3، 1989م.

8–مقاصد السور القرآنية،**مقاصد سورة البقرة**، 13-03-2016، ar.islamay.net

9–يوسف العليوي: **الأساليب البلاغية في تيسير الصيام في القرآن**، مركز تفسير الدراسات القرآنية، www tafsir.net.

المجالات والدوريات:

1–نعمان بوقرة: **محاضرات في المدارس اللِّسانية المعاصرة**، منشورات باجي مختار، عنابة،الجزائر،2006م.

2–خديجة بوخشة: **محاضرات في اللّسانيات التداولية**، مستوى الثالثة ل م د (LM D).

3–هديل حسن عباس: **اللسانيات النشأة والتطور**، ص6 (بحث منشور على الانترنت)

4–طه عبد الرحمان: **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الملتقى الوطني لتحليل الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة تيزي وزو، 16-17-18 ديسمبر 2002م.

5–رضوان الرقبي:**النظرية التداولية (المفهوم والتصور2)**،صحيفة المثقف، العدد4943، الأربعاء 18-03-2020 م.

6–محمد مدور: **نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، الجزائر،غرداية، العدد 16،2012م.

7–زينب عادل محمود الشِّمري:**قواعد التخاطب اللِّساني في معاني القرآن للفرَّاء(ت207هـ)**، جامعة بابل/كلية الدراسات القرآنية، العدد 32، 2017م،ص 422.

8–عيسى تومي: **الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني–مقاربة تداولية في آيات من سور البقرة–**، جامعة محمد خيضر بسكرة: الجزائر، المجلد:8، عدد: 01 السنة 2019، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، 2019/02/10، ص54.

9–عبد الرحمان مرواني: **ترجمة الفعل الكلامي في الخطاب القرآني في ضوء نظرية أفعال الكلام**، مجلة العلوم الإنسانية، عدد51 –جوان 2019م.

10–أمزايتي مريم: **التداولية (نشأة المفاهيم والتصورات)**، المركز الجامعي لتسمسيلت،الجزائر، العدد 8، ديسمبر2015 م.

الرسائل الجامعية:

1–مؤيد آل صونيت:**الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي**،مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، الجامعة المستنصرية، العراق،2009م،

2–حورية رزقي: **الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية**، رسالة ماجستير في علوم اللسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2006م.

3– عماري محمد: **مبادئ التداولية في التراث العربي (نظرية الخبر والإنشاء نموذجا)**، بحث معد لنيل درجة دكتوراه العلوم في علوم اللغة، جامعة باتنة 1، 2016-2017م.

المراجع الأجنبية:

1-Jaque Moeschler_Anne Reboul; **Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique** ; Edition Seuil 1994.

2-Dominique Maigueneau;**Aborder La linguistique** ;Edition du Seuil collections Mémo ; paris.

3-Reboul A: Moeschler(1998) **،la pragmatiquedu duscous.A ، Mmandcalin،** Paris.

4-D.Maingueneu pchareudeau.(2002) **dictionnaire: d'analyde du discoui** paris.

5-Thomas، J، (1996):**Meaning in Interaction ،An Introduction to Pragmatics،** Longman London and New York.

ملخص الدراسة

ملخص البحث:

الفكرة الأساس لهذا البحث مفادها أنه يمكن للمنهج التداولي أن يكون منطلقا لدراسة آيات الأحكام في القرآن الكريم. وبهذا المعنى، يهدف هذا البحث إلى دراسة آيات الأحكام المالية والتعبدية في سورتي البقرة والتوبة. لقد حصل نقاش نظري جدي بين المشتغلين في اللسانيات من جهة، وبين المختصين في الفقه حول إمكانية تطبيق مناهج غربية على النص القرآني، فهنالك فريق يرى أن القرآن متعالٍ عن تلك المناهج بسب أنها تمتح من بيئة غربية من جهة، ولوجود علوم اللغة العربية التي قال فيها القدماء قولهم الفصل من جهة أخرى، في حين يوجد طرفٌ آخر يرى ضرورة تبيئة تلك المناهج حتى تتساوق ومقتضيات اللغة العربية ابتداءً، ثم مقاصد الشريعة ثانيًا. إن هذا البحث يحاول إثبات أن اكتشاف دلالات جديدة، ومعاني مستغلقة في القرآن الكريم غير ممكن دون تغيير أدوات ومناهج الاشتغال على النص القرآني، خصوصا التداولية منها. فمحاولات اكتشاف المعاني الجديدة في القرآن دون أبْهٍ بتجديد أدوات الدراسة يكرس الاجترار الذي تقع فيه كثير من الدراسات رغم المجهودات المهمة التي يقوم بها الدارسون بهذا الصدد.

على هذا الأساس حرص البحث على الإجابة على إشكاليته من خلال فصلين: الأول نظري، والثاني تطبيقي. وقد تمت أجرأة المنهج الاحصائي والمنهج التحليلي في البحث وتحليل المعطيات، وذلك بالعودة إلى الأبحاث اللسانية المتصلة بالتداولية، والأبحاث السابقة في تطبيق المناهج اللسانية على القرآن الكريم، إضافة إلى كتب التفاسير والفقه...إلخ، ثم بالعودة إلى الآيات موضوع الدراسة في القرآن الكريم.

لقد توصل هذا البحث إلى عدة نتائج من خلال دراسة إشكاليته في فصلين اثنين، ومن بين تلك النتائج نذكر على سبيل المثال، أولا؛ أن التعدد والتنافر المفهومي الذي يعرفه مفهوم التداولية يمكن النظر إليهما بشكل إيجابي، كما يمكن الاستفادة من ذلك التعدد. بمعنى آخر، يشكل اختلاف المختصين في التداولية حول تحديد تعريف دقيق لها، والاجماع على نظريات مخصوصة مكسبا للباحث الذي يطبق على النصوص، خصوصا القرآنية، حيث يتيح

إمكانات متعددة للتطبيق، وبالتالي إمكان الوصول إلى نتائج مختلفة وذات جدوى. ثانيا؛ اتضح من خلال البحث أن آيات الأحكام المالية والتعبدية في سورتي البقرة والتوبة تُظهر ثراء في المعطيات التي يمكن الاستدلال بها حول جدوى المنهج التداولي في دراسة القرآن الكريم، والدليل على ذلك وجود كل المفاهيم التي تحدث عنها الفصل الأول في آيات الأحكام المذكورة في السورتين، من خلال دراسة الأبعاد التداولية في آيات الأحكام المالية والتعبدية في السورتين. ثالثا؛استنتج البحث أن التداولية لها دعوى عامة وجوهرية، وهي دراسة اللغة في الاستعمال، وهذه النتيجة تساعد الباحث في آيات الأحكام على تجديد أدواته ومفاهيمه كلما تجدد الاستعمال أو المقام...إلخ.

الكلمات المفتاحية:المنهج التداولي، آيات الأحكام، التداولية، البقرة، التوبة.

Résumé de la recherche

L’idée de base de cette recherche est que la méthode pragmatique peut être un point de départ pour étudier les versets de disposition dans le Noble Coran. En ce sens، cette recherche vise à étudier les versets des dispositions financières et dévotionnelles dans la sourate al-Baqarah et al-Tawbah. Un débat théorique sérieux a eu lieu entre ceux qui sont intéressés par la linguistique et les spécialistes en jurisprudence sur la possibilité d’appliquer les méthodes occidentales au texte coranique. Une équipe estime que le Coran transcende ces méthodes qui émanent d’un environnement occidental، d’un côté، et de l’autre parce qu’il y a les sciences de la langue arabe à propos de laquelle les anciens ont dit leur dernier mot. Une autre équipe pense qu'il est nécessaire d'adapter ces programmes afin d'être cohérents avec les exigences de la langue arabe en premier lieu، puis les finalités de la charia en second lieu. Cette recherche tente de prouver que découvrir de nouvelles connotations et des significations exploitées dans le Noble Coran n'est pas possible sans changer les outils et les méthodes de travail sur le texte du Coran، notamment celles de la pragmatique. Les tentatives de découverte de nouvelles significations dans le Coran sans prêter aucune attention au renouvellement des outils d’étude perpétuent la rumination dans laquelle de nombreuses études tombent malgré les efforts importants que les chercheurs font à cet égard.

Sur cette base، la recherche a tenu à répondre à sa problématique à travers deux chapitres، le premier théorique et le deuxième pratique. La méthode qualitative a été mise en œuvre dans la recherche et l'analyse des données، et ce، en se référant aux recherches linguistiques liées au pragmatisme، et aux recherches antérieures sur l'application des approches linguistiques au Noble Coran، en plus des livres d'exégèse et de jurisprudence، etc.، puis en revenant aux versets faisant l'objet d'étude dans le Noble Coran.

Cette recherche a obtenu beaucoup de résultats en étudiant sa problématique en deux chapitres. Parmi ces résultats nous mentionnons à titre d'exemple ce qui suit: primo، la multiplicité et les controverses conceptuelles que connait la pragmatique peuvent être perçues positivement، comme il possible d'en tirer profit. Autrement dit، le désaccord des spécialistes de la pragmatique consiste à en trouver une définition précise، et le consensus sur des théories spécifiques est un gain pour le chercheur qui applique aux textes، en particulier au Coran، comme il offre plusieurs possibilités de l'application، et donc la possibilité d'accéder à des résultats différents et utiles. Secundo، il s'est avéré à travers cette recherche que les versets de dispositions financières et de dévotion dans la sourate Al-Baqarah et Al-Tawbah affichent une richesse de données dont on peut inférer sur la faisabilité de l'approche pragmatique dans l'étude du Noble Coran. Ceci est mis en évidence par la présence de tous les concepts abordés dans le premier chapitre à propos des versets des dispositions mentionnées dans les deux sourates، à travers l'étude des dimensions pragmatiques dans les versets des dispositions financières et dévotionnelles dans les deux sourates. Tertio، cette recherche a conclu que la pragmatique a une revendication générale et fondamentale، qui est l'étude du langage dans l'usage، et ce résultat aide le chercheur sur les versets de dispositions à renouveler ses outils et ses concepts chaque fois que l'usage ou le statut est renouvelé، etc.

Mots clés: la méthode pragmatique، les versets des dispositions، pragmatique، al-Baqarah، al-Tawbah.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
البسملة	
قائمة المختصرات	
الإهداء	
المقدّمة	أ
الفصل الأول: التداولية المفاهيم والمصطلحات	
المبحث الأول: الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي	**13**
المطلب الأول: مفهوم التداولية	**13**
المطلب الثاني: إشكالية المصطلح (الترجمات الأخرى)	**22**
المطلب الثالث: نشأة التداولية وأشكال تطورها	**24**
المطلب الرابع: مجالات الدرس التداولي	**32**
المطلب الخامس: أهمية التداولية ومهامها	**37**
المبحث الثاني: التحليل التداولي للنص	**39**
المطلب الأول: مفهوم النص	**39**
المطلب الثاني: آليات وإجراءات تحليل النص من منظور تداولي	**45**
المبحث الثالث: نظرية أفعال الكلامية في الدرس اللغوي	**50**
المطلب الأول: نظرية الأفعال الكلامية المباشرة "أوستين وسيرل"	**50**
المطلب الثاني: الفعل اللغوي غير المباشر "بول غرايس"	**62**
نتائج الفصل الأول	**78**

الفصل الثاني: التحليل التداولي لآيات الأحكام في القرآن الكريم

المبحث الأول: التعريف العام لسورتي البقرة والتوبة	**80**
المطلب الأول: التعريف العام لسورة البقرة	**82**
1- أسماء السورة	**82**
2- سبب نزول السورة	**83**
3- محتوى السورة وفضلها	**83**
المطلب الثاني: التعريف العام لسورة التوبة	**84**
1- أسماء السورة	**84**
2- سبب عدم ابتداء السورة بالبسملة	**85**
3- سبب نزول السورة	**87**
4- هدفها العام وفضلها	**88**
المبحث الثاني: آيات الأحكام في سورتي البقرة والتوبة (دراسة في ضور المنهج التداولي)	**89**
المطلب الأول: البعد التداولي للإشاريات في القرآن الكريم (البقرة- التوبة)	**89**
1- الإشاريات في سورة البقرة	**87**
2- الإشاريات في سورة التوبة	**89**
المطلب الثاني: أفعال الكلام في القرآن الكريم (البقرة- التوبة)	**84**
1- الإخباريات (التقريريات، أفعال الإثبات، الأفعال التمثيلية)	**84**
2- الطلبيات (التوجيهات، أفعال التوجيه)	**123**
3- الإفصاحيات (الإلتزاميات، أفعال الوعد)	**190**
4- الوعديات (الإلتزاميات، أفعال الوعد)	**192**
5- الإيقاعيات (الإعلانيات، الإعلانات)	**197**
المطلب الثالث: لاستلزام الحواري في القرآن الكريم (البقرة- التوبة)	**198**
1- المعاني المستلزمة حواريا في سورة البقرة	**199**
2- المعاني المستلزمة حواريا في سورة التوبة	**204**

نتائج الفصل الثاني	**204**
الخاتمة	**206**
قائمة المصادر والمراجع	**210**
ملخص الدراسة	**221**
فهرس المحتويات	**225**